أثر العلاقات النحوية في القرآن الكريم
دراسة علمية

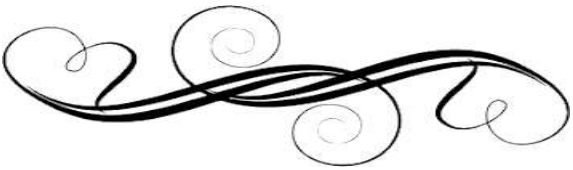

السيد أحمد محمد عبد الراضي

الطبعة الأولى ٢٠٢٢

ديـوان العـرب للنشـر والتـوزيع

عنـــوان الكتاب: أثر العلاقات النحوية في القرآن الكريم

اسم المـؤلف: السيد أحمد محمد عبد الراضي

التصنيف الأدبي: دراسة علمية

رقم الإيـــــداع: 13492 / 2022

الترقيـم الدولي: 6 - 447 - 998 - 977 – 978

التدقيـق اللغوي: السيد أحمد محمد عبد الراضي

تـصـميـم الغلاف: مـنـى المـوجـي

التنسيق الداخلي: محمد وجـيـــه

رقـــم الطـبـعـة: الطبعة الأولـى

المديـــــر العام: د. فادية محمد هندومة

دار ديوان العرب للنشر والتوزيع - مصر – بورسعيد

تليفون: 00201211132879 – 00201030502390

بريد الدار: mohamedhamdy217217@gmail.com

أثر العلاقات النحوية في القرآن الكريم

دراسة علمية

السيد أحمد محمد عبد الراضي

ديوان العرب للنشر والتوزيع

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين: سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد ، فإن العلاقة بين النحو والدلالة علاقة قوية؛ فدلالة التركيب ترتبط ارتباطا كبيرا بالعلاقات النحوية التي ترتبط بواسطتها الكلمات داخل هذا التركيب، ومن ثم فإن أي دراسة تحليلية للنصوص الأدبية لا بد أن تنطلق من مراعاة الجانب النحوي التركيبي في هذه النصوص، وربط ذلك بالمعنى إيمانا من الدارس بأن دلالة التركيب تتغير بتغير شكل العلاقات النحوية بين الكلمات المكونة لهذا التركيب، فاللغة قد اصطنعتْ - للتعبير عن الباب الواحِد – صِيغًا متعدِّدة، وعلى الباحث « أن يَقتنع بأنَّ لكلِّ صيغة من تلك الصِّيغ معنًى يُراد منها، وهدفًا دَلاليًّا مقصودًا فيها، وسرًّا وراءها، مطلبًا تسعَى إليه، هذا المعنى وذاك السرُّ مرتبطٌ بشكلِ الصيغة نفسها دون سواها، مـ الإقرار سلفًا بوجودِ نوع مِن القربى بيْن الصِّيَغ المشترَكة في أداء المعنى الواحد »[1].

وانطلاقا من هذا الارتباط الوثيق بين دلالة النص والعلاقات النحوية داخله جاء هذا الكتاب بعنوان :

أثر العلاقات النحوية في القرآن الكريم على دراسة المعنى في تفاسير القرن التاسع الهجري

ليتناول بالدراسة الارتباط الوثيق بين العلاقات النحوية والدلالة في النص القرآني اعتباره خير نص يمكن تطبيق ذلك عليه، وذلك من خلال تفاسير القرن التاسع الهجري.

والعلاقات النحوية علاقات تركيبية معنوية « تنشأ في عالم التجريد، وتحديدا بين المعاني والأفكار، وهي تتحول في النهاية إلى عالم المحسوس نطقا وكتابة؛ لأن اللغة

([1]) المصدر المؤول: بحث في التركيب والدلالة للدكتور / طه الجندي ، ص2 ، دار الثقافة العربية بالقاهرة، الطبعة الأولى 1999م. .

قبل أن تصبح حروفا وكلمات وجملا تبدأ على شكل معان وأفكار يحولها المتكلم إلى شقها المنطوق حسبما تواضع عليه الناس وحسب نظام كل لغة »[1] .

وتتمثل هذه العلاقات النحوية في أربع علاقات كبرى هي: علاقة الإسناد، وعلاقة التخصيص، وعلاقة الإضافة، وعلاقة التبعية، وتتفرع هذه العلاقات إلى علاقات فرعية، فعلاقة الإسناد مثل علاقة المبتدأ بالخبر، وعلاقة الفعل بالفاعل أو نائب الفاعل، وعلاقة التخصيص كعلاقة المفاعيل والحال والظروف بالفعل، وعلاقة الإضافة كعلاقة المضاف المضاف إليه وعلاقة الجار والمجرور بمتعلَّقهما، وعلاقة التبعية كعلاقة التوابع بمتبوعاتها.

وقد دفعتني إلى هذه الدراسة عدة أسباب، وهي:

1- بيان دور العلاقات النحوية في تفسير النص القرآني والوصول إلى دلالاته.

2- إبراز الارتباط الوثيق بين شكل التركيب ومجيئه على وجه نحوي معين من بين عدة وجوه جائزة من ناحية والمعنى من ناحية أخرى.

3- بيان مدى إدراك علماء التفسير في القرن التاسع الهجري لدور النحو في تفسير النص القرآني، وأهمية الاعتماد عليه باعتباره ركيزة مهمة من الركائز التي يُستند إليها في تفسير القرآن الكريم، وتطبيقهم لذلك عمليا من خلال تفسيرهم.

4- توضيح لطبيعة دراسة النحو عند المفسرين ، فالدرس النحوي عندهم هو دراسة نصية تتم من خلال نص القرآن الكريم، وليس الهدف منها هو وضع قواعد أو ذكر خلافات أو ترجيحا بين آراء نحوية مختلفة، وإنما الهدف هو الاستعانة بالنحو باعتباره أداة مهمة من الأدوات التي يعتمد عليها المفسر في تفسيره للقرآن الكريم، وليس معنى ذلك عدم وجود ترجيحات نحوية لآراء السابقين، بل على العكس من ذلك، فهي موجودة، ولكن ليست هدفا وإنما هي أداة ووسيلة لتفسير القرآن الكريم.

([1]) العلاقات النحوية وأثرها في بناء الأسلوب (رياض الصالحين نموذجا)، رسالة دكتوراه للباحثة/ سليمة عياض ص26 .

وهذا يختلف بالطبع عن الدرس النحوي عند النحاة، حيث إن هدفهم في المقام الأول هو وضع القواعد وذكر الخلافات والترجيح بين الآراء، والاستعانة بالنصوص تكون من أجل الاستشهاد والتمثيل والتطبيق.

5– عدم وجود دراسات سابقة تناولت دراسة العلاقات النحوية من خلال تفاسير القرن التاسع الهجري، ودراسة تأثيرها على توجيه المعنى عند أصحاب هذه التفاسير.

6–كان اختياري لتفاسير القرن التاسع الهجري محورا للدراسة بسبب ما تميزت به تفاسير هذا القرن من سمة بارزة وهي الربط بين النحو والدلالة، والاعتماد في الوصول إلى دلالة الآيات على العلاقات النحوية القائمة داخل التراكيب، والترجيح بين الوظائف النحوية المختلفة للكلمات وفقا للمعنى المراد، وإذا كانت هذه السمة قد تميزت بها بعض كتب التفسير في القرون السابقة إلا أنها بدت بصورة واضحة جلية في تفاسير هذا القرن، فما من آية إلا ويربط فيها المفسرون بين النحو والدلالة من خلال تحليل العلاقات النحوية التي ترتبط بواسطتها الكلمات.

الدراسات السابقة

1– العلاقات الإسنادية في كتاب ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبي حيان الأندلسي – في ضوء النظرية التوليدية التحويلية ، تأليف/ طارق حسن، رسالة ماجستير – جامعة مؤتة يبربريم.

ير– العلاقات النحوية وأثرها في بناء الأسلوب (رياض الصالحين نموذجا)، رسالة ماجستير للباحثة/ سليمة عياض، جامعة قاصدي مرباح – الجزائر برتربريم.

سم– العلاقات النصية في القرآن الكريم : دراسة نحوية لجهود المفسرين، بحث للدكتور/ مصطفى عبد العليم، بحث منشور بمجلة الشريعة والقانون – جامعة الإمارات المتحدة – كلية القانون – العدد لهبرير ، بيبربريم.

4– العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم د/ أحمد عزت يونس ، دار الآفاق العربية القاهرة، الطبعة الأولى 2014م.

5– العلاقات الفعلية في كتاب سيبويه: دراسة في التراث النحوي وعلم اللغة الحديث ، أليف/ خليل عبد الله– دار النهضة العربية – الطبعة الأولى لهتربريم.

وهذه الدراسات منها ما اقتصر على دراسة بعض العلاقات مثل الدراسة الأولى التي تناولت بالدراسة علاقة الإسناد فقط، ومنها ما تناولها كلها بالدراسة ولكن بالتطبيق على غير القرآن الكريم مثل الدراسة الثانية، ومنها ما تناولها مرادا بها المعايير النصية التي تناولها علماء لغة النص، مثل الدراسة الثالثة حيث تناول صاحبها بالدراسة التماسك، والمناسبة، وأدوات الربط، والسياق، وحال المتكلم، ودور المخاطب، والاستدعاء النصي، وهذا يختلف بالطبع عن العلاقات النحوية بالمفهوم الذي تناولته، فالعلاقات النصية أشمل وأعم من العلاقات النحوية، فالأخيرة تعد وسيلة من وسائل التماسك النصي الذي يعد بدوره من العلاقات النصية، وتدور الدراسة الرابعة – وهي العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم – أيضا حول العلاقات النصية مع اختلاف التناول وطريقة البحث عن الدراسة السابقة.

أما الدراسة الأخيرة فهي دراسة نظرية تتناول بالبحث العلاقات النحوية كما تناولها سيبويه في ضوء علم اللغة الحديث.

أما دراستي فسوف تكون منصبة على العلاقات النحوية وأثرها في توجيه المعنى عند مفسري القرن التاسع الهجري من خلال تفسيرهم للقرآن الكريم، ومن ثم لا تعد دراستي تكرارا لما سبق.

وقد اتبعت في هذه الدراسة المنهج الوصفي، حيث عُنيتُ بذكر العلاقات النحوية كما ذكرها مفسرو القرن التاسع الهجري وهم بصدد تفسيرهم للآيات، كما استعنت بالمنهج التحليلي الذي من خلاله أقوم بتحليل هذه العلاقات النحوية وربطها بالمعنى الذي توصل إليه هؤلاء المفسرون في ضوء هذه العلاقات.

وتجدر الإشارة إلى أنني لم أُعنَ بالإحصاء في هذه الدراسة، أي لم أذكر جميع الآيات التي اعتنى فيها مفسرو القرن التاسع ببيان العلاقات النحوية وتأثيرها على المعنى، بل اخترت بعض هذه الآيات وما قاله حولها هؤلاء المفسرون، وهي تعد قليلة جدا بالنسبة لما جاء في كتب تفسير القرن التاسع الهجري، ولكن أرى في الوقت نفسه أنها كافية لبيان مدى عناية هؤلاء المفسرين بهذه العلاقات النحوية ومراعاة تأثيرها على المعنى عندهم.

وقد جاءت هذه الدراسة في مقدمة وتمهيد، وبابين، ثم الخاتمة والفهارس الفنية.

أما **المقدمة** فقد تناولت فيها طبيعة الموضوع وأسباب اختياره، ومنهج البحث فيه، والدراسات السابقة، وخطة البحث.

وأما **التمهيد** فقد تناولت فيه ترجمة موجزة لأصحاب كتب التفسير محل الدراسة، دور النحو في فهم وتحليل النصوص عامة والنص القرآني خاصة، ومفهوم العلاقات النحوية.

وأما **بابا** الدراسة فقد جاءا على النحو التالي:

الباب الأول: العلاقات النحوية وأثرها على دراسة المعنى.

ويتكون هذا الباب من أربعة فصول:

الفصل الأول: علاقة الإسناد ، ويتكون من ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: علاقة الإسناد بين المبتدأ والخبر.

المبحث الثاني: علاقة الإسناد بين الفعل والفاعل.

المبحث الثالث: علاقة الإسناد بين الفعل ونائب الفاعل.

الفصل الثاني: علاقة التخصيص ، ويتكون من ستة مباحث:

المبحث الأول: علاقة التعدية.

المبحث الثاني: علاقة التحديد والتوكيد.

المبحث الثالث: علاقةالغائية.

المبحث الرابع: علاقة المعية.

المبحث الخامس: علاقة الظرفية.

المبحث السادس: علاقة الملابسة.

الفصل الثالث: علاقة الإضافة

المبحث الأول: علاقة الإضافة المباشرة

المبحث الثاني: علاقة الإضافة غير المباشرة

الفصل الرابع: علاقـة التبعيـة

المبحث الأول: علاقة الوصف

المبحث الثاني: علاقة التوكيد

المبحث الثالث: علاقة العطف

المبحث الرابع: علاقة البدل

الباب الثاني: روابط التركيب وأثرها على دراسة المعنى.

ويتكون من ثلاثة فصول:

الفصل الأول: الربط بالضمير، ويتكون من سبعة مباحث:

المبحث الأول: دلالة الضمير .

المبحث الثاني: تحديد مرجع الضمير.

المبحث الثالث: تذكير الضمير وتأنيثه .

المبحث الرابع: إفراد الضمير وجمعه .

المبحث الخامس: وضع الظاهر موضع المضمر.

المبحث السادس: تكرار الضمير .

المبحث السابع: الضمير والاستخدام.

الفصل الثاني: الربط بالإشارة.

الفصل الثالث: الربط بالموصول.

وأما الخاتمة فقد ذكرتُ فيها أهم نتائج البحث.

وبعد فأسأل الله – تعالى – أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وأن ينفع به كل مريديه، وأن يتجاوز لي عما وقع فيه من خطأ أو نسيان.

« ربنا لا تؤاخذنا إنْ نسينا أو أخطأنا »

وصَلَّى اللهُ على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسَلَّم

تمهيد

يجدر بي قبل تناول العلاقات النحوية بالدراسة وبيان تأثيرها على دراسة المعنى عند المفسرين في القرن التاسع الهجري أن أتحدث أولا عن ثلاثة أمور في غاية الأهمية

الأول: مفهوم العلاقات النحوية.

الثاني: دور العلاقات النحوية في تحليل النصوص عامة والنص القرآني خاصة.

الثالث: ترجمة موجزة لأصحاب كتب التفسير محل الدراسة.

وفيما يلي بيان ذلك.

أولا : مفهوم العلاقات النحوية .

ذكرتُ أنَّ عناية مفسري القرن التاسع الهجري بالنحو في التفسير تمثلت في عنايتهم بالربط بين العلاقات النحوية التي تقوم بين الكلمات داخل النص والمعنى، إيمانا منهم بأن دلالة النص تابعة لشكل العلاقات النحوية التي تربط بين كلمات النص، وفيما يلي بيان لمفهوم العلاقات النحوية.

فذكر الجرجاني في كتابه (التعريفات) أن « العِلاقة – بكسر العين – يستعمل في المحسوسات – وبالفتح – في المعاني »[1] .

وجاء في مختار الصحاح: « العِلاقة – بالكسر – علاقة القوس والسوط، ونحوهما، وبالفتح، علاقة الخصومة والمحبة، ونحوهما »[2] .

ومن خلال هذين النصين للجرجاني والرازي نستنتج أن العلاقة تنشأ بين طرفين ، سواء كان الطرفان من عالم المحسوس، حيث تسمى العلاقة – بكسر العين – حينئذ علاقة حسية، أو من عالم التجريد، حيث تسمى العلاقة – بفتح العين – حينئذ علاقة معنوية .

([1]) التعريفات للجرجاني 1 / 155 .

([2]) مختار الصحاح للرازي 1 / 216 .

والعلاقة النحوية بناء على ذلك علاقة معنوية ؛ لأنها « تنشأ في عالم التجريد، وتحديدا بين المعاني والأفكار، وهي تتحول في النهاية إلى عالم المحسوس نطقا وكتابة؛ لأن اللغة قبل أن تصبح حروفا وكلمات وجملا تبدأ على شكل معان وأفكار يحولها المتكلم إلى شقها المنطوق حسبما تواضع عليه الناس وحسب نظام كل لغة »[1] .

وأرى أنه يمكن أن تنطق كلمة (العِلاقة) بكسر العين باعتبار تحولها في النهاية إلى عالم المحسوس نطقا وكتابة – كما جاء في الفقرة السابقة.

فالمتكلم – إذًا – حينما يريد التعبير عن معنى ما يختار الألفاظ الملائمة ثم يربط بينها في ذهنه بعلاقات نحوية معنوية، ثم يخرج هذا المعنى في شكل منطوق.

فالعلاقة النحوية إذن : « عبارة عن رابطة معنوية تجمع بين كلمتين في السياق، تحقق لكل منهما وظيفة نحوية حسب القرائن المعنوية واللفظية التي تتضافر جميعها من أجل الكشف عن طبيعة هذه الرابطة المعنوية »[2] ، والعلاقات النحوية تتمثل في أربع علاقات كبرى، هي: الإسناد ، والتخصيص، والنسبة ، والتبعية، وكل علاقة كبرى من هذه العلاقات تندرج تحتها علاقات فرعية.

ثانيا: دور العلاقات النحوية في تحليل النصوص عامة والنص القرآني خاصة.

للنحو قيمة كبيرة في تحليل النصوص، إذ إنه يتيح لمحلل النص الوقوف على العلاقات النحوية التي ترتبط بواسطتها الكلمات التي يتكون منها النص، ومن ثم الوقوف على ما تحمله تلك العلاقات النحوية من إمكانات دلالية وبلاغية؛ لأن العلاقات النحوية داخل النص لها تأثير كبير على توجيه المعنى، حيث لا يتضح معنى نص ما إلا من خلال تحديد وظيفة الكلمة في تركيب النص وعلاقة هذه الكلمة بما قبلها وبما بعدها، كيفيتها من حيث التقديم والتأخير، وإن أي تغير في شكل التركيب لا بد وأن يتبعه تغير في المعنى المراد.

([1]) العلاقات النحوية وأثرها في بناء الأسلوب (رياض الصالحين نموذجا)، رسالة دكتوراه للباحثة/ سليمة عياض ص26 .

([2]) العلاقات النحوية وأثرها في بناء الأسلوب (رياض الصالحين نموذجا)، رسالة دكتوراه للباحثة/ سليمة عياض ص26 .

يقول عبد القاهر الجرجاني موضحا العلاقة بين ترتيب الكلمات والمعاني في النفس: « وممّا يجبُ إحكامهُ بعقبِ هَذا الفصلِ : الفرقُ بينَ قولنا : حروفٌ منظومة لِمٌ منظومةٌ، وذلكَ أنَّ نظمَ الحُروفِ هو تَواليها في النُّطقِ فقط وليس نظمُها بمقتضًى عن معنى ... وأما نظمُ الكلمِ فليسَ الأَمرُ فيه كذَلك لأنك تَقْتضي في نظمِها آثارَ المعاني وتُرتِّبُها على حسبِ ترتيبِ المعاني في النَّفس . فهو إذاً نظمٌ يعتبرُ فيه حالُ المنظوم بعضهُ معَ بعضٍ وليسَ هو النَّظم الذي معناهُ ضَمُّ الشَيءِ إلى الشّيءِ كيف جا َ واتَّفق » [1].

ترتيب الكلمات لا يتم بصورة عشوائية وإنما يتم بصورة منظمة عن طريق إنشاء علاقات نحوية بينها وفقا للنظام النحوي الذي وضعه النحاة بحيث تؤدي في النهاية المعاني المرادة التي تجول في النفس، أما إذا تم ترتيب هذه الكلمات بصورة عشوائية لا تتبع النظام النحوي المتعارف عليه فإنه لا تؤدي إلى معنى مفهوم، يقول عبد القاهر:« وإنك إن عمدت إلى ألفاظ فجعلتَ تُتبع بعضها بعضا من غير أن تتوخى فيها معاني النحو لم تكن صنعت شيئا تُدعَي به مؤلِّفا» [2].

فالعلاقات النحوية تكمن أهميتها – إذًا – في أنها تربط بين الكلمات التي يريد المتكلم أو منشئ النص أن يعبر بها عن معنى معين، وتجمعها وفق نظام لغوي معين، لتخرج في النهاية في صورة كلام منطوق ذات معنى ، « فالتعليق بين الكلمات هو الذي يكسب الجملة معناها، أما الكلمات الحرة أو المستقلة فلن تكون كذلك ... وعلى المتلقي أن يركبها بطريقته الخاصة ليقيم بينها نوعا من العلاقة تكسبها معنى »[3].

كما تكمن أهميتها في أمر آخر أيضا لا يقل أهمية عما سبق وهو أنها تُتَّخذ من قبل محلل أو مفسر النص وسيلة للوصول إلى دلالة هذا النص ، فهي – إذًا – مهمة لمنشئ النص ، ومحلل النص.

([1]) دلائل الإعجاز ص49 .

([2]) دلائل الإعجاز ص370 ، 371 .

([3]) النحو والدلالة: مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي د/ محمد حماسة عبد اللطيف – مكتبة غريب بالقاهرة ص11 .

فمنشئ النص يوظف العلاقات النحوية في الربط بين الكلمات حتى تؤدي المعنى المطلوب ومن ثم بناء نص متماسك، وهو لا يختار العلاقة النحوية اختيارا عشوائيا، وإنما يعمد إلى اختيار العلاقة التي تؤدي المعنى الذي يريده، وتلائم السياق الذي يوردها فيه، لأن السياق له دور كبير في اختيار العلاقة النحوية المناسبة يقول الدكتور/ محمد حماسة عبد اللطيف: « الأشكال النحوية لا يكون لها أهمية أسلوبية إلا حين تربط بالسياق الذي يضعها فيه الكاتب، وليس اتفاق الأشكال النحوية دليلا على اتفاق دلالتها، بل إنها تشير إلى ظواهر أسلوبية مختلفة » [1].

فالعلاقات النحوية لها علاقة كبيرة بالمعنى، ولا يمكن دراسة هذه العلاقات دون ربطها بالمعانى، وكتب النحو مليئة بذكر المعنى، فهو محور دراساتهم وأبحاثهم، بل يهتم النحاة بالمعاني الدقيقة والبليغة للتراكيب، ومن ذلك ما رواه ابن الأنباري عن الكندي المتفلسف أنه قال للمبرد (ت 285هـ): « إني لأجد في كلام العرب حشوا، فقال له أبو العباس المبرد: في أي موضع وجدت ذلك، فقال الكندي: أجد العرب يقولون: (عبد الله قائم)، ثم يقولون: (إن عبد الله قائم)، ثم يقولون: (إن عبد الله لقائم)، فالألفاظ متكررة والمعنى واحد، فقال المبرد: بل المعاني مختلفة لاختلاف الألفاظ، فقولهم: (عبد الله قائم) إخبار عن قيامه، وقولهم: (إن عبد الله قائم) جواب عن سؤال سائل، وقولهم: (إن عبد الله لقائم) جواب عن إنكار منكر قيامه، فقد تكررت الألفاظ لتكرر المعاني »[2].

ففي هذا النص ثلاثة تراكيب مختلفة تؤدي في الظاهر معنى واحدا، وهو: (قيام زيد)، ولكن التأمل الدقيق في التراكيب الثلاثة يجعلنا نصل إلى أن لكل تركيب دلالة دقيقة ناتجة عن تغير صورة التركيب، مما يجعل لكل تركيب استعمالا لغويا معينا في مقام معين يختلف عن استعمال ما سواه من تراكيب؛ « إذ إن لكل تركيب في التوظيف الأدبي معنى أعمق مما يتبادر إلى الذهن للوهلة الأولى، أو بالنظرة السريعة »[3]، « فلكل صورة دلالتها الخاصة التي يختارها البليغ بحسب الأحوال، ففضيلة البيان لا تعود

([1]) الإبداع الموازي ، د/ محمد حماسة ص27 .

([2]) دلائل الإعجاز ص315 ، وانظر: المعنى والنحو للدكتور/ عبد الله أحمد جاد الكريم ص23.

([3]) دراسة أسلوبية في سورة الكهف، رسالة ماجستير إعداد/ مروان محمد سعيد عبد الرحمن، جامعة النجاح الوطنية بنابلس – فلسطين ص74 .

إلى اللفظ من حيث اللفظ، وإنما تعود إلى النظم وترتيب الكلام وفق ترتيب معانيه في النفس »[1]

وهذا التأمل الدقيق هو وظيفة محلل النص، إذ يجب عليه أن ينطلق من العلاقات النحوية نحو المعاني الدقيقة والبلاغية لنص ما، مما يجعله يقف على سر إبداع النص اللغوي.

يقول الدكتور محمد عبد الله جبر: « وفي ظني أن التراكيب النحوية أولى بأن تكون مجالا للدرس الأسلوبي، فإن ما يقرره علم النحو من البدائل المتاحة أمام الأديب قدر غير قليل من التراكيب الصحيحة وإن تكن متفاوتة الدرجة من حيث القبول » [2].

ويقول الدكتور/ محمد حماسة عبد اللطيف: « وإذا تناولنا الشعر بوصفه فنا لغويا ، فإن النحو في هذه الحالة يعد أحد الأبنية الأساسية التي ينبغي الاعتماد عليها في تفسيره؛ لأن العلاقات النحوية في النص على مستواه الأفقي هي التي تكون أبنيته التصويرية والرمزية، وعلى مستواه الرأسي هي التي توجد توازيه وأنماط التكرار فيه، تحكم تماسكه واتساقه، وهذا كله يؤسس بنية النص الدلالية » [3].

وقد أدرك النحاة القدماء أهمية العلاقات النحوية في بناء التراكيب لتؤدي المعاني المختلفة، يتضح ذلك من اهتمامهم بالبحث عن القوانين التي تحكم هذه العلاقات وتعين على إدراكها، فـ « عُنوا بالإعراب عناية فائقة، واشتغلوا بدراسة السياق، واجتهدوا في تحليل الجملة والكشف عن مركباتها، وميزوا بين التركيب الباطني الذي يمثل النمط المثالي الذي يعد موافقا لقواعد الصحة اللغوية، والتركيب الظاهري الذي قد يكون مغايرا لقواعد الصحة اللغوية، لذا أولوا التركيب الظاهر المخالف لهذه القواعد بتركيب آخر مستوفٍ هذه الشروط »[4].

([1]) بلاغة العطف في القرآن الكريم (دراسة أسلوبية) د/ عفت الشرقاوي ص18 .

([2]) الأسلوب والنحو ص7 .

([3])الإبداع الموازي ص10 . بتصرف .

([4]) العلاقات الفعلية في كتاب سيبويه: دراسة في التراث النحوي وعلم اللغة الحديث ص7 .

وهذا الاهتمام بالعلاقات النحوية قد بدأ منذ المراحل الأولى للدرس النحوي، فهذا سيبويه يتحدث عن علاقة الإسناد، ويفرد بابا للمسند والمسند إليه فيقول: « هذا باب المسند والمسند إليه وهما ما لا يستغني واحد منهما عن الآخر ولا يجد المتكلم منه بدا »[1].

كما يتضح هذا الاهتمام أيضا بصورة أكبر وأوضح في كلام عبد القاهر الجرجاني عن النظم من خلال حديثه عن إعجاز القرآن الكريم، حيث يقول: « هذا هو السبيل، فلست بواجد شيئا يرجع صوابه إن كان صوابا، وخطؤه إن كان خطأ إلى النظم، ويدخل تحت هذا الاسم إلا وهو معنى من معاني النحو قد أصيب به موضعه ووضع في حقه، أو عومل بخلاف هذه المعاملة، فأزيل عن موضعه واستعمل في غير ما ينبغي له، فلا ترى كلاما قد وصف بصحة نظم أو فساده ، أو وصف بمزية وفضل فيه إلا وأنت تجد مرجع تلك الصحة وذلك الفساد، وتلك المزية وذلك الفضل إلى معاني النحو وأحكامه، ووجدته يدخل في أصل من أصوله، ويتصل بباب من أبوابه »[2].

ويقول في موضع آخر: « وإنك إن عمدت إلى ألفاظ فجعلتَ تُتبع بعضها بعضا من غير أن تتوخى فيها معاني النحو لم تكن صنعت شيئا تُدعَي به مؤلِّفا »[3].

فهو هنا يشير إلى أهمية ارتباط الكلمات بعضها ببعض بواسطة العلاقات النحوية التي يعبر عنها بقوله: (معاني النحو) حتى يخرج الكلام ذا معنى.

ويقول أيضا : « وذلك أنك إذا قلت: (ضرب زيدٌ عمرًا يومَ الجمعة ضربًا شديدًا ديبًا له) ، فإنك تحصل من مجموع هذه الكلم على مفهوم هو معنى واحد لا عدة معان كما يتوهمه الناس، وذلك لأنك لم تأتِ بهذه الكلم لتفيد نفس معانيها، وإنما جئت بها لتفيد وجوه التعلق التي بين الفعل الذي هو (ضرب) ، وبين ما عمل فيه، والأحكام التي هي محصول التعلق »[4] .

([1]) الكتاب 1 / 23 .
([2]) دلائل الإعجاز 82 ، 83 .
([3]) دلائل الإعجاز ص370 ، 371 .
([4]) دلائل الإعجاز ص413 . .

وقد أكد علم اللغة الحديث هذه الأهمية الكبيرة للعلاقات النحوية، وأهمية اتخاذها مدخلا لقراءة النصوص وتحليلها، يقول دي سوسير رائد علم اللغة الحديث: « إننا نجد أن وصف اللغة لا يمكن أن يتم إلا بالنظر إلى علاقة كل عنصر بغيره من العناصر الأخرى؛ لأن كل واحد من هذه العناصر لا يمتلك قيمة ذاتية في نفسه إلا بتقابله مع باقي العناصر الأخرى، ومن هنا يجب اعتبار اللغة نسقا أو نظاما من الوحدات يتقابل بعضها مع بعض سواء أكان ذلك على مستوى الأصوات أو دلالة الكلمات أو التركيب النحوية »([1]) .

كذلك فإن علم اللغة الحديث أولى التماسك النصي عناية كبيرة وجعله أساسا في التحليل النصي، وهذا التماسك « يهتم بالعلاقات بين أجزاء الجملة، وأيضا بالعلاقات بين جمل النص، وبين فقراته، بل بين النصوص المكونة للكتاب مثل السور المكونة للقرآن الكريم، ويهتم أيضا بالعلاقات بين النص وما يحيط به »[(1)].

وإذا كانت العلاقات النحوية ذات أهمية كبرى في بناء النصوص وتحليلها، فإنه يجب عدم الاعتماد عليها فقط في الوصول إلى دلالة النص؛ لأن هناك أمرا آخر يجب الاعتماد عليه في ذلك، وهو مدى المناسبة بين هذه العلاقات النحوية والألفاظ المعجمية التي تمثل أطرافا في هذه العلاقات، حيث إن الدلالة تكون محصلة لتفاعل المعنى المعجمي مع الوظيفة النحوية التي يشغلها، وقد بنى سيبويه تقسيمه للكلام إلى مستقيم حسن ومحال ومستقيم كذب ومستقيم محال ومحال كذب بناء على هذا الأساس، أعني: مدى التناسب بين المعنى المعجمي والوظيفة النحوية، يقول سيبويه: « فمنه مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب. فأما المستقيم الحسن فقولك: أتيتك أمسِ وسآتيك غدا، وأما المحال، فأن تنقض أول كلامك بآخره، فتقول: أتيتك غدا، وسآتيك أمس. وأما المستقيم الكذب فقولك: حملت الجبل، وشربت ماء البحر، ونحوه. وأما المستقيم القبيح فان تضع اللفظ في غير موضعه، نحو قولك: قد زيدا رأيت،

([1]) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: دراسة تطبيقية على السور المكية د/ صبحي إبراهيم الفقي 1/ 97 .

كي زيدا يأتيك، وأشباه هذا. وأما المحال الكذب فأن تقول: سوف أشرب ماء البحر أمس »[1].

فالعلاقات النحوية في الأمثلة التي ذكرها سيبويه صحيحة، ولكن اختلفت هذه الأمثلة من حيث مدى مناسبة الكلمات المعجمية للوظيفة النحوية التي شغلتها، ونتج عن هذا الاختلاف شكلان: إما مناسبة، وإما مفارقة فلا تكون فائدة، كما نتج عن المناسبة طريقين: الأول على جهة الحقيقة، والثاني على جهة المجاز، وهذا يدفعنا إلى القول بأن منشئ النص يختار من المعجم ما يناسب الوظيفة النحوية[2].

كما أنه يجب الربط بين الشكل الذي تترتب به العناصر التي نشأت بينها علاقات نحوية والمعنى؛ لأن هناك معاني بلاغية دقيقة تنتج عن تنوع أشكال الترتيب، فعلاقة الإسناد مثلا تتم بين عنصرين: مسند (فعل أو خبر) ومسند إليه (فاعل أو نائب فاعل أو مبتدأ)، وقد يأتي المسند والمسند إليه على الصورة الأصلية، أو يخرج عن هذه الصورة الأصلية بتقديم ما حقه التأخير وتأخير ما حقه التقديم، ولكل صورة من ذلك دلالة معينة، كما أن العلاقة النحوية قد تنتج بين طرفين حذف أحدهما، وحينئذ لا بد من بيان دلالة هذا الحذف باعتباره قيمة أسلوبية يُلجَأ إليها من أجل الإيجاز الذي يدل على بلاغة المتكلم وقوة بيانه، يقول ابن الأثير: « الإيجاز هو حذف زيادات الألفاظ، وهو نوع من الكلام شريف، لا يتعلق به من فرسان البلاغة إلا من سبق إلى غايتها، وضرب في أعلى درجاتها بالقَدَح المعلى؛ وذلك لعلو مكانه وتعذر إمكانه.

والنظر إنما هو إلى المعاني لا إلى الألفاظ، ولست أعني بذلك أن تهمل الألفاظ بحيث تعرى عن أوصافها الحسنة بل أعني أن مدار النظر في هذا النوع إنما يختص بالمعاني »[3].

قد عُنِي علماء التفسير في القرن التاسع الهجري بالنحو عناية كبيرة ، وأدركوا قيمته ودوره الكبير في تحليل النص القرآني ، يتضح ذلك في عنايتهم بالربط بين

([1]) الكتاب 1 / 26 .

([2]) انظر: بناء التركيب وقضاياه في المقالة الأدبية عند محمود محمد شاكر – رسالة دكتوراه للباحث/ عبد الرحمن صبري أحمد – كلية الآداب جامعة المنصورة ص58 .

[3] المثل السائر 2/ 42 .

العلاقات النحوية التي تقوم بين الكلمات داخل النص والمعنى، إيمانا منهم بأن دلالة النص تابعة لشكل العلاقات النحوية التي تربط بين كلمات النص، فهم يتخذون النحو وسيلة لتحقيق غاية دلالية أثناء تحليل النص ، فدراسة النحو في كتب التفسير في هذه المرحلة ليس المقصود منها التقعيد أو ذكر الخلافات أو الترجيح بينها والاستدلال لها كما هو شأن المؤلفات الخاصة بالنحو التعليمي، بل المراد منها هو بيان علاقات الكلمات بعضها ببعض داخل النص نحويا، وبيان سر مجي هذه العلاقات على شكل معين، ومدى تأثير ذلك على دلالة النص، ودلالة اختيار وجه نحوي معين من بين عدة أوجه جائزة.

فهم يتخذون النحو وسيلة أو منطلقا نحو الوصول لدلالة النص ؛ إيمانا منهم بأن الأسرار الدلالية الكامنة داخل الآيات إنما وضعت عن طريق اختيار ألفاظ معينة نشأت فيما بينها علاقات نحوية معينة، وأن هذه الأسرار الدلالية لا يمكن الوصول إليها إلا عن طريق تحليل الآيات نحويا أولا.

وسوف أزيد ذلك إيضاحا بما أستشهد عليه مما ذكره هؤلاء المفسرون وهم بصدد تحليلهم لآيات القرآن الكريم، وذلك في الفصول والمباحث التالية للتمهيد – بإذن الله تعالى.

ثالثا : ترجمة موجزة لأصحاب كتب التفسير محل الدراسة.

1-ابن عرفة[1].

هو: محمد بن محمد بن عرفة الوَرْغَمِيّ التونسي المالكي أبو عبد الله، وسُمِّ الورغميّ نسبة إلى ورغمة إحدى قرى إفريقية، ولد سنة سبعمائة وست عشرة للهجرة بتونس، وكان إمامها وخطيبها في عصره، كان مشهورا في صغره بالجد والاجتهاد والمطالعة والمذاكرة، وتبحر في العلوم، وفاق في الأصول والكلام، وتقدم في الفقه والنحو والتفسير، وكان – رحمه الله – وليا صالحا ذكيا قدوة سنيا عارفا محققا.

([1]) انظر في ترجمته : غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري 2/ 243 ، والديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب لابن فرحون 2/ 231 ، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي 9 / 325 ، 326 ، والأعلام للزركلي 7/ 43 .

من شيوخه: الفقيه القاضي أبو عبد الله بن عبد السلام، الذي سمع عليه ابنُ عرفة موطأ مالك وعلوم الحديث لابن الصلاح، ومن شيوخه أيضا: المحدث الراوية محمد بن حسين بن سلمة الأنصاري، الذي قرأ عليه ابنُ عرفة القرآن الكريم بقراءاته، وأخذ الفقه عن الإمام محمد بن عبد السلام، وأبي عبد الله محمد بن هارون وأبي بكر محمد بن الحسن الزَّبِيدي، وأبي عبد الله الأُبُلِّيَ.

وقد انتفع به كثيرون، وتخرج على يديه جماعة من العلماء الأعلام، وقضاة الإسلام، منهم: أبو القاسم بن أحمد البرزلي، مفتي البلاد الإفريقية، ومؤلف كتاب الأسئلة الحاوية للنوازل والفتاوي، ومنهم: الإمام الحافظ المجتهد صاحب التصانيف المفيدة أبو عبد الله محمّد بن مرزوق، وله (المنزع النبيل في شرح مختصر خليل)، و(شرح التهذيب)، وغير ذلك من المسائل العلمية، ومنهم: مُحَمَّد بن أَحْمد بن عُثْمَان بن عمر أَبُو عبد الله التّونسِيّ الْمَالِكِي نزيل الْحَرَمَيْنِ وَيعرف بالوَانُّوغِي، وأبو عبد الله محمد بن محمد بن القمّاح التّونسي المالكي المحدّث بتونس، وغيرهم.

ومن مؤلفاته: (المختصر الكبير) في فقه المالكية، و(الحدود) في التعاريف الفقهية، وتفسير ابن عرفة، و(المختصر في المنطق)، وهذه الكتب الأربعة مطبوعة، وله أيضا: (المختصر الشامل) في التوحيد، و(مختصر الفرائض)، و(الطرق الواضحة في عمل المناصحة)، و(المبسوط) في الفقه، وهذه الكتب الأربعة مخطوطة، وتوفي عام ثمانمائة وثلاثة للهجرة.

2- **النيسابوري**[1].

هو: الحسن بن محمد بن الحسين القُمِّيّ النَّيْسابُورِيّ المعروف بنظام الدين، ويقال له: (الأعرج)، عالم مشارك في أنواع من العلوم، مثل: التفسير، والفقه، والحكمة، والرياضيات، أصله من بلدة (قُم)، وسكن في نيسابور ونشأ بها.

ومن مؤلفاته: (غرائب القرآن ورغائب الفرقان) في التفسير، ويعرف بـ (تفسير النيسابوري) – وهو مطبوع، ألفه سنة 828هـ، وهو مؤلف جليل القدر والشأن من أسامي

([1]) انظر: معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة 1 / 585 ، والأعلام للزركلي 2 / 216، وطبقات المفسرين للأدنروي ص420، والموسوعة الفقهية الكويتية 17 / 352، وكشف الظنون 2 / 1196.

الكتب، و(شرح الشافية في التصريف) لابن الحاجب، ويعرف بـ (شرح النظام) – وهو مطبوع ، و(أوقاف القرآن) – وهو مطبوع، و(لب التأويل)، و(الشمسية في علم الحساب)، و(توضيح التذكرة النصيرية) للطوسي – وهو مخطوط، و(تعبير التحرير)، وهو شرح لتحرير المجسطي للطوسي – وهو مخطوط.

وقد اختلف المترجمون له في سنة وفاته، فقد ذكر حاجي خليفة في (كشف الظنون) أن وفاته سنة 728 هـ، وتبعه الشيخ إبراهيم عطوة حيث ذكر في مقدمته لكتاب (غرائب القرآن ورغائب الفرقان) أنه من أعلام القرن الثامن الهجري، وأن وفاته سنة 728 هـ.

أما الزركلي في كتابه (الأعلام) فقد ذكر أن وفاته كانت بعد سنة 850 هـ، كما ذكر أنه ألف كتابه في التفسير سنة 828 هـ، أي أنه – على رأي الزركلي – من أعلام القرن التاسع الهجري.

3-الثعالبي([1]).

هو: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، ويعود نسبه إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عم الرسول – صلى الله عليه وسلم.

ولد بناحية وادي يسر بالجزائر سنة سبعمائة وست وثمانين للهجرة، ونشأ في بيئة علم وصلاح، تلقى العلم في بداية حياته على يدي علماء منطقته، ثم رحل إلى مدينة (بجاية) بالجزائر فلازم مجالس علمائها وأخذ عنهم الكثير من علمهم في مختلف فنون المعرفة، كان من أشهرهم: أبو الحسن علي بن عثمان المانجلاتي، وأبو الربيع سلمان بن الحسن، وأبو العباس أحمد النقاوسي، وأبو القاسم المشدالي، وأبو زيد الوغليسي، وغيرهم، ثم رغب الشيخ عبد الرحمن في المزيد من التحصيل وطلب العلم، فانتقل تحقيقا لذلك إلى تونس سنة 809هـ/1406م فلقي بها كوكبة من كبار علمائها، فأفاد من مجالسهم، من بينهم: محمد بن خليفة الأبّي، والبرزلي تلميذ ابن عرفة، ثم ارتحل إلى مصر سنة

([1]) فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، تأليف : عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني ير / يرسمي ، وما بعدها، والضوء اللامع للسخاوي شم/يرلهتر ، والأعلام شم/يريرتر ، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ير/يريرتر ، وما بعدها.

819هـ /1414م، فلقي بها البلالي، وأبا عبد الله البساطي، وولي الدين العراقي وغيرهم، فأخذ عنهم الجم من معارفهم.

ثم ارتحل إلى تركيا، ومنها قصد الحجاز فأدى فريضة الحج، واختلف إلى مجالس العلم هناك، ثم قفل راجعا إلى مصر، ومنها إلى تونس، فوافى بها ابن مرزوق الحفيد التلمساني، فلازمه وأخذ عنه الكثير من وافر علمه، وقد أجازه أكثر من مرة، ثم عاد بعد هذه الرحلة الطويلة في طلب العلم والمعرفة إلى وطنه الجزائر، فعكف به على نشر العلم وهداية الخلق والانقطاع للعبادة والتدريس والتأليف، فتخرج على يديه كثير من العلماء، من بينهم: الشيخ محمد بن يوسف السنوسي، والشيخ أحمد زَرُّوق، والشيخ محمد المغيلي التلمساني، وغيرهم.

تولى القضاء زمنا قصيرا، ثم تركه لينقطع إلى الزهد والعبادة، كما قام بالخطابة على منبر الجامع الأعظم بالجزائر العاصمة.

ترك الثعالبي كتبا كثيرة نافعة، أبرزها: (الجواهر الحسان في تفسير القرآن)، وقد انتقاه – كما يقول – من كتب التفسير السابقة، وأضاف إليه ما تيسر له، فجاء كتابه مملوءا بنفائس الحِكَم وجواهر السنن الصحيحة.

وله أيضا كتاب: (روضة الأنوار ونزهة الأخيار في الفقه)، و(جامع الهِمَم في أخبار الأمم)، و(جامع الأمهات في أحكام العبادات)، و(الأربعين حديثا في الوعظ)، وكان يقرض الشعر، ويكتب النثر، توفي سنة ثمانمائة وخمس وسبعين للهجرة.

4-المَحَلِّي[1].

هو: محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم المحلي الشافعي: أصولي، مفسر. ولد بالقاهرة سنة 791هـ، عرفه ابن العماد بتفتازاني العرب، وكان مهيبا صداعا بالحق، يواجه بذلك الظلمة الحكام، ويأتون إليه، فلا يأذن لهم. وعرض عليه القضاء الأكبر فامتنع.

([1]) انظر في ترجمته : شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي 9 / 509، والأعلام للزركلي 5/ 333 .

ومن شيوخه: الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الدائم النُعَيمي العسقلاني البرماوي ثم القاهري الشافعي الشهير بالشمس البرماوي (763 – 831 هـ) أخذ عنه الفقه وأصوله والعربية وكان مقيمًا معه بالمدرسة البيبرسية فكثر انتفاعه به لذلك، والإمام الفقيه برهان الدين أبو إسحق إبراهيم بن أحمد البيجوري المعروف بالبرهان البيجوري (750 – 825 هـ) أخذ عنه الفقه أيضا، والإمام المحدث جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن عمر بن رسلان الكناني العسقلاني البلقيني المصري المعروف بالجلال البلقيني (763 – 824هـ)، قرأ عليه الحديث،والشيخ شهاب الدين العجيمي سبط ابن هشام، أخذ عنه النحو.

ومن تلاميذه: الشيخ صلاح الدين محمد بن جلال الدين محمد بن محمد بن خلف بن كميل المنصوري الدمياطي قاضي دمياط ويعرف بابن كميل (ت: 887هـ)، والشيخ شمس الدين أبو البركات محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف بن الباز الأشهب منصور بن شبل الغراقي (795 – 858 هـ)، والشيخ نجم الدين محمد بن شرف الدين محمد بن نجم الدين محمد بن سراج الدين عمر بن علي بن أحمد القرشي الطنبدي الأصل القاهري الشافعي ويعرف بابن عرب ولد في رجب سنة (831 هـ)، والشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد بن موسى الشهاب البيروتي ثم الخانكي الشافعي..

ومن مؤلفاته: كتاب في التفسير أتمه جلال الدين السيوطي، فسمي: (تفسير الجَلالين – ط)، و (كنز الراغبين – ط) في شرح المنهاج في فقه الشافعية، و(البدر الطالع في حل جمع الجوامع – ط) في أصول الفقه، و(شرح الورقات ط) في أصول الفقه، و(الأنوار المضية – خ) شرح مختصر للبردة، و(القول المفيد في النيل السعيد – خ)، و(الطب النبوي – خ)، توفي بالقاهرة سنة 864هـ.

5- البقاعي([1]).

هو : أبو الحسن، برهان الدين إبراهيم بن عمر بن حسن الرُّبَاط بن علي بن أبي بكر البقاعي ، الشافعي المحدث المفسر المؤرخ الأديب ، ولد سنة 809هـ بقرية خربة

([1]) انظر في ترجمته : شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي 9 / 509، والبدر الطالع بمحاسن مَنْ بعد القرن السابع للشوكاني 1/ 19 ، والأعلام للزركلي 1/ 56 .

روحا إحدى قرى البقاع في سوريا ، ونشأ بها ، ثم تحول إلى دمشق وسكن بها فترة ، ثم فارقها ودخل بيت المقدس ، ثم القاهرة ، ودرس الفقه والنحو والقراءات ، وبرع في جميع العلوم وفاق الأقران، وأصبح من الأئمة المتقنين المتبحرين في جميع المعارف .

من شيوخه : التاج بن بهادر ، وعلي الجزري ، والتقي الحصني ، والتاج الغاربيلي ، والعلاء القلقشندي ، وابن حجر العسقلاني ، وأبو الفضل المغربي .

ومن مؤلفاته: (عنوان الزمان في تراجم الشيوخ والأقران – خ) أربع مجلدات، و (عنوان العنوان - خ) مختصر عنوان الزمان، و (أسواق الأشواق – خ) اختصر به مصارع العشاق، و(الباحة في علمي الحساب والمساحة – خ) و(أخبار الجلاد في فتح البلاد – خ (و (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) وهو مطبوع في سبعة مجلدات، يُعرف بمناسبات البقاعي أو تفسير البقاعي، و (بذل النصح والشفقة للتعريف بصحبة ورقة – خ) وله ديوان شعر سماه (إشعار الواعي بأشعار البقاعي) و (جواهر البحار في نظم سيرة المختار – خ) أتمه في رشيد من بلاد مصر في صفر سنة **848** هـ، و (الإعلام، بسن الهجرة إلى الشام – خ) رسالة، و (مصرع التصوف – ط)، و(مختصر في السيرة النبوية والثلاثة الخلفاء – خ) في مكتبة عبيد بدمشق، و(القول المفيد في أصول التجويد – خ) في الرباط، و (سر الروح – ط) اختصره من كتاب (الروح) لابن قيم الجوزية، و (مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور) مطبوع في خزانة الرباط، و(النكت الوفية بما في شرح الألفية) مطبوع، وقد توفي البقاعي بدمشق في ليلة السبت الثامن عشر من رجب سنة**885**هـ، ودفن خارج دمشق من جهة قبر عاتكة.

6-**السيوطي**[1] .

هو: العلامة الحافظ أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن كمال الدين أبو بكر بن عثمان بن محمد بن خضر بن أيوب بن محمد بن الشيخ الهمام الخضيري السيوطي المصري الشافعي.

---

(1) انظر ترجمته في : شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي 9 / 447 ، والنور السافر عن أخبار القرن العاشر صيِّسمـ – ترشہ ، ومعجم المطبوعات والأعلام3/ 301 ، 302 .

ولد بالقاهرة في مستهل رجب سنة ثمانمائة وتسع وأربعين للهجرة ، والخضيري نسبة إلى خضيرية، وهي بلدة ببغداد، ولا يبعد نسبته إلى تلكم البلدة ببغداد، فقد وجد بخطه رحمه الله أنه سمع ممن يثق به أنه سمع والده يذكر أن جده الأعلى كان أعجمياً أو من المشرق.

وكان يلقب بابن الكتب لأن أباه كان من أهل العلم واحتاج إلى مطالعة كتاب فأمر أمه أن تأتيه بالكتاب من بين كتبه فذهبت لتأتي به فجاءها المخاض وهي بين الكتب فوضعته. ثم سماه والده بعد الأسبوع عبد الرحمن ولقبه جلال الدين وكناه شيخه قاضي القضاة عز الدين أحمد بن إبراهيم الكناني لما عرض عليه وقال له ما كنيتك فقال: لا كنيه لي فقال: أبو الفضل، وكتبه بخطه.

وختم القرآن وسنه دون ثماني سنين، ثم حفظ عمدة الأحكام، ومنهاج النووي، وألفية ابن مالك، ومنهاج البيضاوي وعرضها وهو دون البلوغ على مشايخ عصره، وأحضره والده وعمره ثلاث سنين مجلس شيخ الإسلام ابن حجر مرة واحدة، وحضر وهو صغير مجلس الشيخ المحدث زين الدين رضوان العقبي، ودرس الشيخ سراج الدين عمر الوردي، ثم اشتغل بالعلم على عدة مشايخ، وحج سنة تسعٍ وستين وثمانمائة، وشرب من ماء زمزم لأمورٍ، منها: أن يصل في الفقه إلى رتبة الشيخ سراج الدين البلقيني، وفي الحديث إلى رتبة الحافظ ابن حجر.

وولي المشيخة في مواضع متعددة من القاهرة. ثم إنه زهد في جميع ذلك، وانقطع إلى الله بالروضة وكانت له كرامات وعظم غالبها بعد وفاته، وكان الأغنياء والأمراء يزورونه ويعرضون عليه الأموال والهدايا فيردها.

وطلبه السلطان مرارا فلم يحضر إليه، وأرسل إليه هدايا فردها، وبقي على ذلك إلى أن توفي.

وله مصنفات كثيرة في مختلف العلوم بلغت ستمائة مصنف ما بين كتاب كبير ورسالة صغيرة، منها: (الإتقان في علوم القرآن – ط) و (إتمام الدراية لقراء النقاية – ط) ، و (الأحاديث المنيفة – خ)، و (الأرج في الفرج – ط) و (الاذدكار في ما عقده الشعراء من الآثار – خ) و (إسعاف المبطأ في رجال الموطأ – ط) و(الأشباه والنظائر

– ط) في العربية، و (الأشباه والنظائر – ط) في فروع الشافعية، و(الاقتراح – ط) في أصول النحو، و (الإكليل في استنباط التنزيل – ط) و(الألفاظ المعرَّبة – خ) و (الألفية في مصطلح الحديث – ط)

و(الألفية في النحو – ط) واسمها (الفريدة) وله شرح عليها، و (إنباه الأذكياء لحياة الأنبياء – ط) رسالة، و (بديعية وشرحها – خ)، و(بغية الوعاة، في طبقات اللغويين والنحاة – ط) و(التاج في إعراب مشكل المنهاج – خ) و (تاريخ أسيوط) وكان أبوه من سكانها، و (تاريخ الخلفاء – ط) و(التحبير لعلم التفسير – خ) و (تحفة المجالس ونزهة المجالس – ط) و (تحفة الناسك – خ) و (تدريب الراوي – ط) في شرح تقريب النواوي، و (ترجمان القرآن – ط) و (تفسير الجلالين – ط)، و (تنوير الحوالك في شرح موطأ الإمام مالك – ط) و (الجامع الصغير – ط) في الحديث، و (جمع الجوامع، ويعرف بالجامع الكبير – خ) ستة أجزاء، كتب سنة 973 في خزانة القرويين وفي الظاهرية، و (الحاوي للفتاوي – ط) و (حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة – ط)، إلى غير ذلك من مؤلفات في مختلف العلوم.

وتوفي في جمادى الأولى سنة تسعمائة وإحدى عشرة للهجرة.

الباب الأول

العلاقات النحوية وأثرها على دراسة المعنى

مدخل

في هذا الباب سوف أتناول بمشيئة الله – تعالى – العلاقات النحوية الأربعة، وهي: الإسناد ، والتخصيص ، والنسبة ، والتبعية ، حيث أبين مفهوم كل علاقة، وكيفية دراسة المفسرين في القرن التاسع الهجري لها من خلال تفسيرهم للقرآن الكريم، ومدى تأثير هذه العلاقات النحوية على دراسة المعنى عندهم، وكيف كانوا يربطون بين هذه العلاقات النحوية والمعنى.

ويتكون هذا الباب من أربعة فصول:

الفصل الأول: علاقة الإسناد.

الفصل الثاني: علاقة التخصيص.

الفصل الثالث: علاقة الإضافة.

الفصل الرابع: علاقة التبعية.

الفصل الأول

عــــلاقـــة الإســـنــــاد

مدخل

علاقـة الإسـناد علاقـة معنويـة تنشأ بـين المسـند والمسـند إليـه، كالمبتـدأ وخبـره، وكالفعـل وفاعلـه أو مـا ينـوب عنـه، وقـد عقـد سـيبويه فـي الكتـاب بابـا بعنـوان: (المسـند والمسند إليه)، قال فيه: « وهما ما لا يغني واحد منهما عن الآخر »[1]، ومعنـى ذلك أن « العلاقـة بين المسند والمسند إليه علاقـة لزوميـة لإفادة معنـى وتوليـد دلالـة، وقوام هذه العلاقة بين المسند والمسند إليه هو الإسناد، هذه العلاقة الذهنية التـي ينشأ منها علاقة لفظية »[2].

وملاحظـة هذه العلاقـة الإسنادية داخـل الـنص أمـر لا بـد منـه إزاء تحليـل الـنص اللغوي للوصـول إلـى دلالـة الـنص، ففهم المعنـى والوقـوف علـى الـدلالات العميقـة للـنص اللغوي يتوقفان على معرفة طرفي الإسناد وتحديدهما، خاصـة في الآيات التـي تتعدد فيها الأوجـه الإعرابيـة، فكثيـر مـن الآيـات يحتمـل فيهـا اللفـظ أن يكـون مبتدأ أو خبـرا، وأحيانـا يوجـد لفظـان يحتمـل كـل منهمـا أن يكـون هـو الخبـر، كـذلك قـد تحتمـل الكلمـة أن تكـون فاعلا – أي طرفا في علاقة الإسناد حيث تكون مسندا إليها – وتحتمل أن تكون مفعولا به، فلا تكون حينئذ طرفا في علاقة الإسناد.

ولا شك أن القراءات القرآنية لها علاقة كبيرة بهذا التعدد في الأوجه الإعرابيـة التـي تحتملها الألفاظ.

([1]) الكتاب تر / سمير .

([2]) الوصل والفصل في التركيب العربي وأثره في الدلالة، تأليف/ عادل سلمان ص لهي ، والعلاقات الإسنادية في كتاب ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبي حيان الأندلسي – في ضوء النظرية التوليدية التحويلية ، تأليف/ طارق حسن، رسالة ماجستير – جامعة مؤتة نيبربريم ، صشم .

وكل هذه الأمور كانت ركائز أساسية اعتمد عليها علماء التفسير في القرن التاسع الهجري في تحليلهم للنص القرآني، واسترشدوا بها في الوصول لدلالة النص القرآني.

وسوف أتناول ذلك من خلال المباحث التالية:

المبحث الأول: علاقة الإسناد بين المبتدأ والخبر.

المبحث الثاني: علاقة الإسناد بين الفعل والفاعل.

المبحث الثالث: علاقة الإسناد بين الفعل ونائب الفاعل.

المبحث الأول

علاقـــة الإسنـــاد بين المبتدأ والخبر

كان المفسرون في القرن التاسع الهجري يُعنون كثيرا بتحديد عنصري الإسناد: المبتدأ والخبر وهم بصدد تحليلهم للنص القرآني إيمانا منهم بتوقف فهم المعنى على تحديد هذين الركنين، كما كانوا يُعنون كثيرا ببيان الدلالة الناتجة عن وجود علاقة إسناد بين المبتدأ والخبر في التركيب الذي يحتمل حمله على هذه العلاقة وعلى غيرها من العلاقات النحوية الأخرى.

من ذلك ما نراه عندهم من تحديد لركني الإسناد وربط ذلك بالدلالة في قوله تعالى: « ذَلكَ الكِتابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِين »[1].

فابن عرفة يرى أن (هدى) « خبر مبتدأ مضمر، أي: (هو هدى) فيكون القرآن كله (هُدى) أي هو نفس الهدى »[2] ويرى أن ذلك « أبلغ ممن جعل الهدى فيه »[3] ، يقصد: من جعل (هدى) مبتدأ خبره (فيه).

أما السيوطي فإنه يرى أن جملة النفي: (لا ريب فيه) في محل رفع خبر أول لـ (ذلك)، و(هدى) خبر ثان، يقول: « (هدى) خبر ثان، أي: هاد (للمتقين) »[4].

وعلى الرغم من اختلافهما في عنصري الإسناد، إلا أنهما اتفقا في أهمية تحديد هذين العنصرين طرفي علاقة الإسناد، واتفقا أيضا في أهمية بيان هذه العلاقة النحوية والربط بينها وبين المعنى.

ومن ذلك ما ذكره ابن عرفة من تحديد لعنصري الإسناد وربطه بالمعنى أيضا عند تفسيره لقوله تعالى: « الَذِى جَعَلَ لَكُم الأَرْضَ فِراشًا والسَّماءَ بِناءً »[5]، فقد ذكر الزمخشري أنه يجوز في اسم الموصول (الذي) أن يكون منصوبا على أنه نعت ثانٍ جاء بعد النعت

([1]) البقرة 2 .
([2]) تفسير ابن عرفة 1 / 113 .
([3]) السابق 1 / 113 .
([4]) تفسير الجلالين ص34 .
([5]) البقرة 22 .

الذي قبله، وهو قوله: (الذي خلقكم)، أو أن يكون منصوبا على المدح، أو أن يكون مرفوعا على الابتداء وفيه ما في النصب على المدح من معنى[1].

وقد رد ابن عرفة على الزمخشري بأنه على كونه مبتدأ لا يكون فيه ما في النصب على المدح من معنى، بل يكون فيه هذا المعنى إذا جعل خبرا لمبتدأ محذوف، يقول ابن عرفة: « لا يكون فيه ما في النصب إلا إذا كان خبرا لمبتدأ مضمر؛ لأن معناه: الممدوح الذي جعل لكم، وأما إذا كان مبتدأ فلا يفيد ذلك التعظيم الذي في النصب بل دونه؛ لأنه إذا جعله خبرا يقدر المبتدأ معرفا بالألف واللام فيفيد الحصر والتعظيم، وإن جعله مبتدأ (يقدر) خبره نكرة »[2].

فالمفهوم من كلام ابن عرفة أن المعنى يختلف باختلاف العلاقات النحوية، فالمعنى الناتج عن كون (الذي خلقكم) مبتدأ خبره محذوف يختلف عن المعنى الناتج عن كونه خبرا لمبتدأ محذوف، فالوجه الثاني يفيد التعظيم – كما قال ابن عرفة – ولذلك أجازه.

ومن ذلك ما نراه عند ابن عرفة في تفسيره لقوله تعالى: « قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ»[3] ، فقد عُني ابن عرفة بتحديد العلاقة بين (إصلاح) و(خير)، وبيان ما يترتب على هذه العلاقة من معنى، فذكر أن (خير) مبتدأ ، خبره (إصلاح)، واختار ذلك الوجه لما يترتب عليه من دلالة بليغة، وهي كون الخيرية محصورة في الإصلاح، يقول: « والظاهر أن «خير» مبتدا «وإصلاح» خبر لتكون (الخبرية) محصورة فيه. ولو جعلنا «إصلاح» مبتدأ « وخير» خبرا لاحتمل أمرين: أحدهما: أن يراد أن الفساد خير لأن (المختلقات) يمكن اجتماعها في شيء واحد. والثاني: أن الكفارات خير »[4].

ويرى ابن عرفة أن قوله: (مبارك) من قوله تعالى: « وَهَـٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ»[5]، خبر لمبتدأ محذوف، أي: فهو مبارك، بينما يرى أبو حيان أنه نعت ثان،

([1]) انظر: الكشاف 1 / 93 .
([2]) تفسير ابن عرفة 1 / 178 .
([3]) البقرة 220 .
([4]) تفسير ابن عرفة 2 / 630 .
([5]) الأنعام 92 .

واستدل بهذه الآية على بطلان مذهب ابن عصفور من أن النعت يبدأ فيه بالمفرد ثم بالمجرور ثم بالجملة[1]، وليس معنى كون ابن عرفة أعربها خبرا لمبتدأ محذوف أنه يوافق ابن عصفور في رأيه، بل هو يوافق أبا حيان في بطلان مذهب ابن عصفور، ولكنه يرى أن الاستدلال على بطلان مذهب ابن عصفور يكون بقوله تعالى: « فَسَوْفَ يَأْتِى اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ »[2].

ويهتم ابن عرفة بتحديد المبتدأ والخبر في قوله تعالى: « يَا أَيُّهَا النَّبِىُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ »[3]، رابطا ذلك بمعنى، فيرى أن الصواب جعل (جهنم) مبتدأ، و(مأواهم) هي الخبر، لأن المأوى أعم، وجهنم أخص فيفيد الحصر، اي: لا مأوى لهم إلا جهنم، ويرى أنه إذا كان العكس لم يفد معنى الحصر[4].

وقد قُرِيء قوله تعالى: « وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ »[5] بنصب (آيات) [6]، وبرفعها، وقراءة الرفع هي قراءة الجمهور[7]، وذلك على اعتبار (آيات) مبتدأ ، عطفا للجملة على (إنَّ) وما في حيزها السابقة، أما قراءة النصب فهي على العطف على حيز (إنَّ)، وهنا نجد البقاعي بعد أن يذكر القراءتين وتوجيههما، يرجح قراءة الجمهور بالرفع ويصفها بأنها أبلغ من حيث المعنى، يقول: « وهو على قراءة الجماعة مبتدأ بالعطف على (إن) وما في حيزها ، وهي أبلغ لأنها تشير إلى أن ما في تصوير الحيوان وجميع شأنه من عجيب الصنع ظاهر الدلالة على الله فهو بحيث لا ينكره أحد ، فهو غني عن التأكيد »[8].

([1]) انظر: الهمع 3 / 155 .
([2]) المائدة 54 ، انظر: تفسير ابن عرفة 2/ 171 .
([3]) التوبة 73 .
([4]) انظر: تفسير ابن عرفة 2/ 319 .
([5]) الجاثية 4 .
([6]) انظر: النشر في القراءات العشر لابن الجزري 2 / 271 .
([7]) انظر: السابق 2 / 271 .
([8]) نظم الدرر 7 / 90 .

فالبقاعي في هذه الآية يلحظ دلالة بليغة ناتجة عن كون (آيات) مبتدأ أسند إليها الخبر: (وفي خلقكم) وما عطف عليه، حيث إن المعنى على هذه القراءة ظاهر الدلالة على الله فهو بحيث لا ينكره أحد فهو غني عن التأكيد الذي أفادته قراءة النصب، والذي استفيد من عطف (آيات) على ما في حيز (إنَّ) من الاسم.

وعند تفسيره لقوله تعالى: « يَوْمَ لَا يُخْزِى اللَّهُ النَّبِىَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ »[1] يرى أن من الأوجه الإعرابية الجائزة في اسم الموصول (الذين) أن يكون مبتدأ ، خبره (نورهم) أو (معه) موجها المعنى على كل وجه، حيث يقول: « ويجوز أن يكون (الذين) مبتدأ خبره (نورهم) ، أو يكون الخبر (معه) إشارة إلى أن جميع الأنبياء وصالحي أممهم من أمته وتحت لوائه ، وذلك في غاية ما يكون من الشرف والرفعة له – صلى الله عليه وسلم – والإيمان المقيد بمعيته ، أي تأهله لمصاحبة إيمانه – صلى الله عليه وسلم – غير الإيمان المطلق، فلا مانع من أن يدخل غيرهم من المؤمنين النار ثم يخرج منها بشفاعة الشافعين »[2].

وقد أجمع القراء على رفع (أساطير) في قوله تعالى : « وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ »(3)، على أنها خبر لمبتدأ محذوف، بينما أجمعوا على نصب (خيرا) في قوله تعالى: « وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا »(4)، وهنا يبين البقاعي دلالة الرفع والنصب ، فيقول : « وإنما أطبق القراء على نصب هذا ورفع الأول فرقاً بين جوابي المقر والجاحد بمطابقة المقر بين الجواب والسؤال ، وعدول الجاحد بجوابه عن السؤال »[5] .

وعند قوله تعالى: « أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى النَّارِ »(6) يرى البقاعي أن في هذه الآية من الرونق والبهجة والهول ما لا يقدر البشر على مثله، وقد

([1]) التحريم 8 .
([2]) نظم الدرر 8 / 54 ، 55 .
([3]) النحل 24 .
([4]) النحل 30 .
([5]) نظم الدرر 4 / 263 .
([6]) الزمر 19 .

عزا البقاعي هذه الوجوه الجمالية المعجزة في الآية الكريمة إلى البناء التركيبي الذي جاءت عليه الآية، فهو يرى أن الأصل: (أفأنت تنقذ من حق عليه العذاب)، « فقدم المفعول وجعله عمدة الكلام ليقرع السمع ويترقب الخبر عنه، ثم حذف خبره ليكون أهول فتذهب النفس فيه كل مذهب ، ثم أنكر أن يكون أعلى الخلق ينقذه ، فغيره من باب الأولى ، فصار الكلام بذلك من الرونق والبهجة والهول والإرهاب ما لا يقدر البشر على مثله »[1].

وهنا وضع الظاهر – وهو (من في النار) موضع المضمر، والتقدير: (أفمن حق عليه العذاب أفأنت تنقذه)، وقد ذكرت ذلك في المبحث الخاص به، وذكرت دلالته.

وعند تفسيره لقوله تعالى: « وظَنُّوا أَنَّهم مانعتُهم حصونُهم من الله »[2]، بين البقاعي دلالة إسناد جملة (مانعتهم حصونهم) إلى اسم (أنَّ)، فقال « في جعل ضميرهم اسم (إن) وإسناد الجملة إليه دليل على اعتقادهم في أنفسهم أنهم في عز ومنعة لا مطمع معها في معازّتهم »[3].

ومن الاهتمام بتحديد عنصري الإسناد أيضا ما نجده في تفسير السيوطي لقوله تعالى: « يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بعيدا »[4] ، فقد ذكر أن (ما) الثانية مبتدأ خبره (تود) [5]، وقد ذكر هذا الوجه النيسابوري أيضا، وأجاز معه وجها آخر، وهو أن تكون (ما) شرطية و(تود) جزاء له، ولكنه رجح الوجه الأول لما يترتب عليه من معنى أوقع في النفس، يقول: « إلا أن الحمل على الابتداء والخبر أوقع في المعنى لأنه حكاية الكائن في ذلك اليوم »[6].

ومن ذلك أيضا ما نجده عند جلال الدين المحلي في تفسيره لقوله تعالى: « أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ

([1]) نظم الدرر 6 / 434 .
([2]) الحشر 2 .
([3]) نظم الدرر 7 / 512 .
([4]) آل عمران 30 .
([5]) انظر: تفسير الجلالين ص69 .
([6]) تفسير النيسابوري 2 / 141 .

وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا»(1) ، حيث ذكر أن (أولئك) مبتدأ، خبره: (إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا) [2]، وعلى هذا الوجه يكون اسم الموصول (الذين) صفة لـ (أولئك)، ويجوز أن يكون اسم الموصول خبرا ، وجملة (إذا تتلى) مستأنفة[3].

ومن ذلك أيضا ما ذكره من تحديد لعنصري الإسناد عند تفسيره لقوله تعالى: « وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ »[4]، حيث ذكر أن (كل) مبتدأ، و(جميع) خبر أول، و(محضرون) خبر ثان، يقول: « (وَإِنْ) نَافِيَة أَوْ مُخَفَّفَة {كُلّ} أَيْ كُلّ الْخَلَائِق مُبْتَدَأ (لَمَّا) بِالتَّشْدِيدِ بِمَعْنَى إلَّا أَوْ بِالتَّخْفِيفِ فَاللَّام فَارِقَة وَمَا مَزِيدَة (جَمِيع) خَبَر الْمُبْتَدَأ أَيْ مَجْمُوعُونَ (لَدَيْنَا) عِنْدنَا فِي الْمَوْقِف بَعْد بَعْثهمْ (مُحْضَرُونَ) لِلْحِسَابِ خَبَر ثَانٍ »[5] .

ويربط البقاعي بين علاقة الإسناد بين المبتدأ (أولئك) والخبر (محضرون)، الذي نتج عنه جملة اسمية دالة على الثبوت والدوام في قوله تعالى: « وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ »[6]، حيث يقول: « (فأولئك) أي البعداء البغضاء (في العذاب) أي الكامل لا غيره (محضرون) من أي محضر كان ، بالسوق الحثيث ، والزجر العنيف ، فإذا وصلوا إلى مقره وُكِّل بهم مَنْ يديم كونهم كذلك – لإفادة الجملة الاسمية الدوام، فلا يغيبون عنه ولا يخفف عنهم »[7].

وفي قوله تعالى:« قَالَ أَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ »[8] نشأت علاقة إسناد بين اسم (إنَّ) – وهو كاف الخطاب المراد بها إبليس لعنه الله – والخبر (من المنظرين)، ونتج عن هذه العلاقة جملة اسمية لها دلالة مهمة في هذا السياق الذي وردت فيه الآية، وهي الدلالة التي أشار إليها البقاعي.

---

(1) مريم 58 .
(2) انظر: تفسير الجلالين ص402 .
(3) الكشاف للزمخشري 3 / 25 .
(4) يس 32 .
(5) السابق: ص 582 .
(6) الروم 16 .
(7) نظم الدرر 5 / 609 .
(8) الأعراف 15 ، 16 .

فهذه الآية جاءت ردا على إبليس عندما طلب من الله – عزَّ وجل – أن ينظره إلى يوم يبعثون، وجاءت على هذه البنية الاسمية للدلالة على أن الله لم ينظره إجابةً إلى سؤاله، بل على سبيل أن ذلك أمر ثابت ومقرر في الأزل في قديم علمه – سبحانه وتعالى – يقول البقاعي: « وكأن اللعين طلب بهذا أنه لا يموت ، فإن ذلك الوقت ليس وقتاً للموت ، إنما هو وقت إضافة الحياة البدية في شقاوة أو سعادة ، فأعلم سبحانه أنه حكم له بالانتظار لكن لا على ما أراده ولا على أنه إجابة له ، ولكن هكذا سبق في الأزل في حكمه في قديم علمه، وإليه يرشد التعبير بقوله: (قال إنك من المنظرين) »[1].

ومن الآيات التي تعددت أقوال المفسرين حول تحديد العلاقات النحوية فيها قوله تعالى: « يَابَنِى آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِى سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ »[2]، **فقد قريء قوله: (لباس) بالرفع والنصب**[3].

أما على قراءة الرفع فقد ذكر البقاعي أن (لباس) مبتدأ خبره (خير)، و(ذلك) فصل، وقد ربط البقاعي بين قراءة الرفع والمعنى فقال: « فقال مشيراً بقطعه في قراءة الجمهور عما قبله – إلى كمال تعظيمه حثاً عليه وندباً إليه: (ولباس التقوى) »[4].

وأجاز النيسابوري أن يكون (لباس) مبتدأ أول و(ذلك) مبتدأ ثان، و(خير) خبر المبتدأ الثاني، وجملة (ذلك خير) في محل رفع خبر (لباس) [5]، وقد وافقه في هذا الوجه السيوطي[6]، كما أجاز النيسابوري وجها آخر وهو أن يكون (لباس) مبتدأ، و(خير) خبر، و(ذلك) بدل أو عطف بيان أو صفة، بتأويل ولباس التقوى المشار إليه خير[7].

أما على قراءة النصب فهو منصوب عطفا على ما قبله، وهو (لباسا) [8].

([1]) نظم الدرر 3 / 13 .
([2]) الأعراف 26 .
([3]) قراءة النصب هي قراءة نافع وابن عامر والكسائي، وقراءة الرفع هي قراءة الباقين . انظر حجة القراءات لأبي زرعة ص280 .
([4]) نظم الدرر 3 / 20 .
([5]) تفسير النيسابوري 3 / 221 .
([6]) تفسير الجلالين ص196 .
([7]) تفسير النيسابوري 3 / 221 .
([8]) انظر: السابق 3 / 221 .

وربط البقاعي أيضا بين علاقة الإسناد بين المبتدأ (أنتم) والخبر (عابدون) والمعنى في قوله تعالى: « قُلْ يَاأَيُّهَا الْكَافِرُونَ (1) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (2) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (3) »[1]، وفرَّق بينها وبين الدلالة المستفادة من قوله: (لا أعبد ما تعبدون)، حيث أسند فيها الفعل إلى الاسم، فيقول: « ولما بدأ بما هو الأحق بالبداءة وهو البراءة من الشرك ، والطهارة من وضر الإفك ، لأنه لمن درء المفاسد ، فأبلغ في ذلك بما هو الحقيق بحاله – صلى الله عليه وسلم – ، وكانوا هم يعبدون الله تعالى على وجه الإشراك ، وكانت العبادة مع الشرك غير معتد بها بوجه ، نفى عبادتهم له في الجملة الاسمية الدالة على الثبات لا في الفعلية الدالة على نفي كل قليل وكثير من حيث إن الفعل نكرة في سياق النفي فقال : (ولا أنتم عابدون) أي عبادة معتداً بها بحيث تكون أهلاً لأن تكون وصفاً ثابتاً »[2] .

وذكر أيضا دلالة علاقة الإسناد التي نشأت بين (مانعتهم)، و(حصونهم) التي نتج عنها جملة اسمية واقعة في محل رفع خبرا لـ (أنَّ) في قوله تعالى: « وظَنُّوا أَنَّهم مانعتُهم حصونُهم من الله »[3] ، فقال: « ودل على قوة ظنهم وثباته بالجملة الاسمية فقال: (مانعتهم حصونهم) أي ثابت لها المنع ولهم الامتناع »[4].

ولم يبين البقاعي في قوله تعالى: (مانعتهم حصونهم) أي الكلمتين المبتدأ وأيهما الخبر، فهو قد اكتفى ببيان أنهما يشكلان جملة اسمية تفيد الثبات. وهنا وقع (مانعتهم) وصفا: اسم فاعل، ولكن لم يعتمد على نفي أو استفهام، ومن ثم فهي على رأي البصريين إلا الأخفش تعرب خبرا مقدما، و(حصونهم) مبتدأ مؤخرا، أما على رأي الأخفش والكوفيين فيجوز إعراب (مانعتهم) مبتدأ و(حصونهم) فاعلا سد مسد الخبر، ويجوز أن تكون (مانعتهم) خبرا مقدما، و(حصونهم) مبتدأ مؤخرا[5].

([1]) الكافرون 1 – 3 .
([2]) نظم الدرر 8 / 555 .
([3]) الحشر 2 .
([4]) نظم الدرر 7 / 512 .
([5]) انظر رأي البصريين في هذه المسألة في شرح ابن عقيل على الألفية 1 / 189 .

الرتبة بين المبتدأ والخبر.

وقد عُني مفسرو القرن التاسع الهجري بالربط بين الشكل الذي ترتبت به العناصر التي بينها علاقة إسناد والمعنى، ففي كثير من الأحيان تنشأ علاقة إسناد بين المبتدأ والخبر مع تغير شكل الترتيب الأصلي الذي يرد عليه التركيب، حيث يتقدم أحد عنصري علاقة الإسناد وهو الخبر على العنصر الآخر وهو المبتدأ.

فالأصل في الجملة الاسمية أن يأتي المبتدأ أولا ثم الخبر؛ « لأن المبتدأ محكوم عليه »[1]،وعندما يبتدأ به « يتسنى تعقل المحكوم عليه، وتحصيل صورته في الذهن قبل الحكم »[2]، وهذه العلة التي ذكرها النحاة لمجيء المبتدأ أولا ، والخبر ثانيا هي التي ذكرها البلاغيون أيضا، يقول عبد القاهر الجرجاني: « لم يكن المبتدأ مبتدأ لأنه منطوق به أولا ، ولا كان الخبر خبرا لأنه مذكور بعد المبتدأ ، بل كان المبتدأ مبتدأ ؛ لأنه مسند إليه ومثبت له المعنى ، والخبر خبرا ؛ لأنه مسند ومثبت به المعنى ... ولو كان المبتدأ مبتدأ لأنه في اللفظ مقدم مبدوء به لكان ينبغي أن يخرج عن كونه مبتدأ بأن يقال : (منطلق زيد) ، ولوجب أن يكون قولهم : (إن الخبر مقدم في اللفظ والنية به التأخير) محالا » [3] .

ومن الآيات التي اشتملت على علاقة إسناد بين المبتدأ والخبر وتغير فيها ترتيب عناصر هذه العلاقة بتقديم الخبر على المبتدأ الآيات التالية:

1-قوله تعالى: « وعلى أبْصارِهم غِشاوَة »[4].

في هذه الآية الكريمة تقدم الخبر وهو: (على أبصارهم) على المبتدأ وهو: (غشاوة)، وقد بين ابن عرفة دلالة هذا التقديم في هذه الآية وفي قوله تعالى أيضا: « لا فيها غول » ، وقارن دلاليا بين هذا التقديم في الآيتين السابقتين وبين عدم التقديم في قوله تعالى: « ذلكَ الكتابُ لا رَيْبَ فيه »[5]، حيث تأخر خبر (لا) النافية للجنس على

([1]) الهمع 1 / 102 .
([2]) الجملة الاسمية د/ علي أبو المكارم ص52 .
([3]) دلائل الإعجاز ص189 .
([4]) البقرة 7 .
([5]) البقرة 2 .

الأصل، فقال: « فإن قلت: أخر المجرور هنا وقدمه في قوله: (لاَ فِيهَا غَوْلٌ) [1]، (وعلى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ) (فالجواب) أن المراد نفي الرّيب بالإطلاق. فيتناول جميع الكتب من التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، فليس نفي الريب خاصا بالقرآن فقط بل هو عام بخلاف ما لو قيل: (لا فيه ريب)، لأوهم خصوص النفي به وبخلاف: (وعلى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ) فإنّ الغشاوة خاصة بأبصارهم دون أبصار المؤمنين »[2].

ومثل هذه العلة ذكرها النيسابوري وهو يفسر قوله تعالى: « وَإِنْ كُنْتُمْ فِى رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ »[3]، فقد ذكر علة عدم قوله: (مما نزلنا) على (ريب)، مثلما قدم (فيها) على (غول) في قوله تعالى: (لاَ فِيهَا غَوْلٌ) [4] فقال: « فإن قلت: فهلا قدم الظرف على الريب كما قدم على الغول في قوله تعالى: (لا فِيها غَوْلٌ) قلنا: لأن المقصود منها ليس إلا نفي الريب عنه وإثبات أنه حق وصدق، ولو عكس لأفاد ذلك مع ما ليس بمراد ولا هو بصادق في نفس الأمر وهو التعريض بأن ريبا في غيره من الكتب كما أن في قوله: لا فِيها غَوْلٌ تعريضا بأن خمور الدنيا تغتال العقول »[5].

وقد ذكر البقاعي أيضا دلالة عدم تقديم الخبر في قوله تعالى: « لا ريب فيه »، وهي نفس الدلالة التي ذكرها ابن عرفة، يقول البقاعي: « ولم يقدم الظرف؛ لأنه كان يفيد الاختصاص فيهم أن غيره من الكتب محل الريب »[6] .

2-قوله تعالى: « إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ »[7].

بين البقاعي دلالة تقديم الخبر في هذه الآية ، وهو قوله: (قليل) على المبتدأ، وهو قوله: (هم)، فقال: « وأخر هذا المبتدأ وقدم الخبر اهتماماً به لأن المراد التعريف

([1]) الصافات 47 .
([2]) تفسير ابن عرفة 1 / 113 .
([3]) البقرة 23 .
([4]) الصافات 47 .
([5]) تفسير النيسابوري 1 / 137 .
([6]) نظم الدرر 1 / 33 .
([7]) ص 24 .

بشدة الأسف على أن العدل في غاية القلة ، أي فتأس بهم أيها المدعي وكن منهم أيها المدعى عليه »[1].

3–قوله تعالى: « لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ »[2].

تقدم في هذه الآية خبر (ليس)، وهو (كمثله) على اسمها، وهو قوله: (شيء)، وقد بين البقاعي دلالة هذا التقديم فقال: « وقدم الخبر؛ لأن المراد نفيه فأولاه النافي دلالة على شدة العناية بنفسه »[3].

4–قوله تعالى: « وَاعْلَمُواْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ »[4].

في هذه الآية تقديم الجار والمجرور (فيكم) المتعلقان بمحذوف خبر (إنَّ) على اسمها، وهو قوله: (رسولَ)، وقد جاء هذا التقديم – كما يقول البقاعي: « إيذاناً بأن بعضهم باعتراضه أو بإقدامه على ما لا علم له به يعمل علم من لا يعلم مقدار ما خصه الله به من إنعامه عليه به (صلى الله عليه وسلم) ، فهو يفيد توبيخ من فعل ذلك : (أن فيكم) أي على وجه الاختصاص لكم ويا له من شرف »[5].

5–قوله تعالى: « فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ 61 قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ »[6].

في هذه الآية الكريمة تقدم خبر (إنَّ)، وهو قوله: (معي) على اسمها (رب)، وقد بين البقاعي دلالة هذا التقديم في هذه الآية ، وقارن – من حيث الدلالة – بينه وبين عدم التقديم في قوله تعالى من سورة التوبة: « إِنَّ اللهَ معنا »؛ إذ جاء التركيب هنا على الأصل ولم يتقدم الخبر على اسم (إنَّ).

---

(1) نظم الدرر 6 / 374 .
(2) الشورى 11 .
(3) نظم الدرر 6 / 606 .
(4) الحجرات 7 .
(5) نظم الدرر 7/ 228 .
(6) الشعراء 61 ، 62 .

فذكر البقاعي سبب تقديم اسم (إنَّ) على الأصل وتأخير الخبر في قوله تعالى: « إن الله معنا » ، فقال: « ولما كان رضي الله عنه نافذ البصيرة في المعارف الإلهية، راسخ القدم في ذلك المقام لذلك لم يتلعثم من أول الأمر في عناد جميع العباد بخلع الأنداد، ثم تدرب فيه مترقيا لثلاث عشرة سنة، وكان الذي به من القلق إنما هو الخوف من أن يحصل للنبي صلى الله عليه وسلم أذى فيدركه من الحزن لذلك ما يهلكه قبل سروره بظهور الدين وقمع المعتدين، ولم يكن جنبا ولا سوء ظن، لما كان ذلك كذلك كان رضي الله عنه حقيقا لحصول السكينة له عند سماع اسم الشريف الأعظم الدال على ذلك المقام المذكر بتلك العظمة التي يتلاشى عندها كل عظيم، ويتصاغر في جنبها كل كبير، ولذلك ذكر هذا الاسم الأعظم وقدم »[1].

فهو هنا يبين أن تقديم اسم (إنَّ) وهو لفظ الجلالة (الله) جاء لحصول السكينة لأبي بكر – رضي الله عنه – بمجرد سماعه لهذا الاسم الشريف.

أما في سورة الشعراء فقد تقدم الظرف على اسم (إنَّ) حيث قيل: « إنَّ معيَ ربي سيهدين »، وقد بين البقاعي سبب ذلك في قوله « وأما بنو إسرائيل فلم يكن عندهم من المعرفة إلا ما شاهدوا من إحسانه تعالى إلى موسى – عليه السلام – بإظهار تلك الآيات على يده حتى استنقذهم بها مما كانوا فيه، ومنع موسى – عليه السلام – مع وحدته من سطوات فرعون على عظمته وما كان يواجهه به من المكروه، فلما رأوا جموعه مقبلة كان حالهم مقتضيا للسؤال عن ذلك المحسن بإظهار تلك الآيات: هل هو مع موسى – عليه السلام – على ما كان عليه فيمنعهم أم لا؟ فلذلك قدم إنكار الإدراك ثم إثبات المعية على سبيل الخصوص به»[2]، أي أن تقديم الخبر هنا أفاد تخصيص سيدنا موسى – عليه السلام – بهذه المعية.

6–قوله تعالى: « وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ »[3].

---

[1] نظم الدرر 3 / 320 .
[2] نظم الدرر 3 / 320 .
[3] الحشر 2 .

ذكر البقاعي دلالة تقديم الخبر (مانعتهم) على المبتدأ (حصونهم) في هذه الآية فقال: « وفي تقديم الخبر على المبتدأ دليل على فرط وثوقهم بحصانتها ومنعها إياهم »[1].

7-قوله تعالى: « فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَآءُ الظَّالِمِينَ »[2].

بين البقاعي هنا أيضا دلالة تقديم خبر (كان) وهو: (عاقبتَهما) على اسمها وهو: (أنهما في النار خالدين فيها)، فقال: « ولما كان تقديم الشيء على محله موجباً لروعة تنبيه الإنسان للتفتيش عن السبب والتشويق إلى المؤخر قال : (عاقبتهما) مقدماً لخبر (كان)»[3].

وهكذا اهتم علماء التفسير في القرن التاسع الهجري بالربط بين تقديم الخبر والمعنى ، وكان بعضهم يبين أحيانا دلالة مجيء التركيب على ترتيبه الأصلي، مثال ذلك ما نجده عند البقاعي في تفسيره لقوله تعالى: « هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ »[4]، فقد ذكر البقاعي دلالة تقديم المبتدأ هنا على الأصل، وهو قوله: (أجلٌ) ، على الرغم من أنه نكرة، فقال: « وقدم المبتدأ مع تنكيره – والأصل تأخيره – إفادة لتعظيمه »[5].

---

(1) نظم الدرر 7 / 512 .
(2) الحشر 17 .
(3) نظم الدرر 7 / 533 .
(4) الأنعام 2 .
(5) نظم الدرر 2 / 582 .

حذف المبتدأ أو الخبر.

وهناك كثير من الآيات التي اشتملت على علاقة إسناد بين عنصرين هما المبتدأ والخبر وقد حذف أحد هذين العنصرين: المبتدأ أو الخبر، وقد أجاز النحاة هذا الحذف لأحد طرفي علاقة الإسناد، بشرط وجود دليل على المحذوف، يقول ابن يعيش: « اعلم أن المبتدأ والخبر جملة مفيدة تحصل الفائدة بمجموعهما، فالمبتدأ معتمد الفائدة، والخبر محل الفائدة، فلا بد منهما، إلا أنه قد توجد قرينة لفظية أو حالية تغني عن النطق حدهما »[1].

ويقول السيوطي: « يجوز حذف ما علم من المبتدأ والخبر، فالأول يكثر في جواب الاستفهام نحو: « وَمَا أَدۡرَاكَ مَا هِيَه نَارٌ »[2]، أي: (هي نار)، « قُلۡ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِنۡ ذَٰلِكُم النَّارُ »[3]، أي: (هو النار)، وبعد فاء الجواب « مَنۡ عَمِلَ صالحاً فَلِنَفۡسِه»[4]، أي: (فعمله لنفسه)، « وإنۡ تُخالِطُوهُم فإخوانُكم »[5] ، أي: (فهم إخوانكم)، وبعد القول: نحو: « وقالوا أساطير الأولين»[6] ، ويقل بعد (إذا) الفجائية، نحو: (خرجت فإذا السبع)، ولم يقع في القرآن بعدها إلا ثابتا، ومنه في غير ذلك: « سُورةٌ أنزَلۡنَاهَا »[7]، « برآءة من ا »[8]، أي: (هذه)، والثاني نحو: « أُكُلُها دائِمٌ وظِلُّها»[9]، أي: (دائمٌ)، « والمُحۡصَناتُ مِنَ الذينَ أوتُوا الكِتَابَ »[10]، أي: (حِلٌّ لكم) »[11].

(1) شرح المفصل 1 / 94 .
(2) القارعة 10 ، 11 .
(3) الحج 72 .
(4) فصلت 46 .
(5) البقرة 220 .
(6) الفرقان 5 .
(7) النور 1 .
(8) التوبة 1 .
(9) الرعد 35 .
(10) المائدة 5 .
(11) الهمع 1 / 103 .

فالحذف الجائز لكل من المبتدأ والخبر – إذًا – مشروط بعلم السامع أو المتلقي لما حُذف، وذلك لدلالة السياق على المحذوف، ومن ثم يكون التركيب خاليا من « ما لا ضرورة لذكره ، وهذا يزيد الكلام جمالا وقوة »[1].

وقد عد عبد القاهر حذف المبتدأ ضربا من وجوه البلاغة يزيد الكلام لطفا وظرفا، يقول معلقا على عدة أبيات أوردها حذف فيها المبتدأ: « فتأمَّل الآنَ هذه الأبياتَ كلَّها، واسْتَقْرِها واحداً واحداً، وانظرْ إلى مَوقِعها في نفسِك، وإلى ما تَجدُه مِنَ اللطفِ والظَّرْفِ إذا أنتَ مررت بموضع الحذف منها، ثم فليت النفسَ عما تَجدُ1، وأَلْطفْتَ النظَرَ فيما تُحِسُّ به. ثُمَّ تَكلَّفْ أَن تَرُدَّ ما حذَفَ الشاعرُ، وأن تُخرجَه إلى لفظِك، وتُوقِعَه في سمعكَ، فإنك تَعلمُ أنَّ الذي قلتُ كما قلتُ، وأنْ رُبَّ حَذْفٍ هو قِلادَةُ الجِيد، وقاعدةُ التَّجويد »[2].

وقد ذكر النحاة أن حذف المبتدأ يكثر في جواب الاستفهام، نحو قوله تعالى: « وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ن نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ » [3] ، أي: هي نار الله، ونحو قوله تعالى: « وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ن نَارٌ حَامِيَةٌ » [4] ، أي: هي نار حامية، ونحو قوله تعالى: « قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ»[5] ، أي: هي النار.

كما يكثر حذفه بعد فاء الجواب، نحو قوله تعالى: ((مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا)) [6] ، أي: فعمله لنفسه وإساءته عليها، ونحو قوله تعالى: ((وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ)) [7] ، أي فهم إخوانكم. كما يكثر حذفه بعد القول، نحو قوله تعالى: ((وَقَالُوا

---

[1] علم المعاني د/ درويش الجندي ص79 .
[2] دلائل الإعجاز ص151 .
[3] الهمزة 5 ، 6 .
[4] القارعة 10 ، 11 .
[5] الحج 72 .
[6] فصلت 46 .
[7] البقرة 220 .

أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ» [1]، أي: هي أساطير الأولين، ونحو قوله تعالى: « إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ » [2] ، أي: هو ساحر.

ووقع في غير ذلك أيضا، نحو قوله تعالى: « لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ۝ مَتَاعٌ قَلِيلٌ » [3] ، أي: هو متاع[4]. كما يحذف الخبر جوازا لوجود دليل عليه، سواء كان خبرا لمبتدأ، أو خبرا لناسخ.

ولا بد من تقدير المحذوف حتى يكتمل المعنى، فقد يشتمل التركيب على لفظة حذف ما ترتبط معه بعلاقة نحوية، فحينئذ لا يمكن فهم معنى التركيب إلا من خلال معرفة ما تتعلق به الكلمة المذكورة، ففي قولنا: محمدا جوابا عن سؤال: من شاهدتَ ؟ يكون (محمدا) مرتبطا بعلاقة تعدية بمحذوف، وهو الفعل: (شاهدد).

« ومما يدل على أن المحذوف مقدر في الذهن ولا بد منه أن الأثر اللفظي – وهو الإعراب – كان واضحا في كل عبارة، فالتركيب اللغوي – كما هو معروف – علاقات معنوية ذات تأثير لفظي، وهذا في العربية كما هو في غيرها من اللغات، وبهذا يكون قولي محمدا في المثال السابق مرتبطا بعلاقة معنوية بكلمة أخرى، حذفت لفظا ولم تحذف معنى، بل بقي تأثيرها التركيبي اللفظي قائما»[5].

وقد عني مفسرو القرن التاسع الهجري ببيان علاقة الإسناد بين المبتدأ والخبر في الآيات التي حذف فيها أحد هذين العنصرين مع ربط ذلك بالمعنى، ومن ذلك الآيات التالية:

1–قوله تعالى: « ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ »[6].

---

[1] الفرقان 5 .
[2] الذاريات 52 .
[3] آل عمران 196 ، 197 .
[4] مغني اللبيب لابن هشام 2/ 629 ، وما بعدها، وراجع البيان في روائع القرآن للدكتور/ تمام حسان 1/ 96 ، وما بعدها.
[5] أصول النحو العربي د/ محمد خير حلواني ص9 .
[6] البقرة 2 .

جعل ابن عرفة قوله: (هدى) خبرا، وقدر له مبتدأ محذوف، والتقدير: (هو هدى)، وقد اختار ابن عرفة هذا الوجه لارتباطه بدلالة بليغة لا توجد في غيره من الوجوه، إذ يترتب على كون (هدى) خبرا لمبتدأ محذوف كون القرآن كله (هُدى)، أي هو نفس الهدى، وهذا أبلغ من جعل (هدى) مبتدأ، خبره: (فيه)[1].

2-قوله تعالى: « الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ »(2).

علل ابن عرفة مجيء قوله: (الذين) غير معطوف على ما قبله وهو قوله تعالى: « مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ »(3)، فقال: « أتى به غير معطوف لأنه في معنى التفسير للأول »[4]، ثم قدر مبتدأ محذوفا خبره قوله: « الذين »، يقول: « فعلى هذا يكون خبر مبتدإ مقدر، أي هم الذين ينفقون أموالهم»[5].

3-قوله تعالى: « أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ »(6).

يرى ابن عرفة أن الواو في قوله: « وتنسون » يجب أو يترجح أن تكون هي واو الحال؛ لأنها لو لم تكن كذلك « للزم عليه تسلط الإنكار على كل واحدة من الجملتين على انفرادها، والأمر بالمعروف مطلوب شرعا لا يوبخ أحد (على) فعله فما الإنكار إلا على من يأمر بالبر حالة عدم اتصافه به »[7]، ثم ذكر ابن عرفة أن الفعل المضارع لا يكون حالا إلا بغير الواو إلا قليلا، ولذلك قدر مبتدأ محذوفا خبره (تنسون) والجملة الاسمية المكونة من المبتدأ المحذوف والخبر المذكور في محل نصل حال، يقول: « فإن

---

(1) انظر: تفسير ابن عرفة 1 / 113 .
(2) البقرة 262 .
(3) البقرة 261 .
(4) تفسير ابن عرفة 2 / 745 .
(5) السابق 2 / 745 .
(6) البقرة 44 .
(7) تفسير ابن عرفة 1 / 270 .

قلت: المضارع لا يقع حالا إلا بغير واو إلاّ فيما شذّ من قولهم: (قمت وأصك عينه) ؟ قلنا: هو على اضمار المبتدأ أي وأنتُمْ تَنسَوْنَ أنفُسَكُمْ »[1].

4–قوله تعالى: « وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ »(2).

ذكر ابن عرفة وجهين إعرابيين لقوله: « ويكفرون »:

الأول: هو العطف على قوله: « قالوا نؤمن ».

والآخر: هو كونه حالا.

ونظرا لأن الفعل المضارع لا يقع حالا بالواو إلا قليلا – كما أشار إلى ذلك في الآية السابقة – قدر مبتدأ محذوفا، والتقدير: وهم يكفرون، يقول: « قوله تعالى: (وَيَكْفُرونَ بِمَا وَرَآءَهُ) إما معطوف على (قَالُواْ نُؤْمِنُ) فيكون جوابا لِـ «إذا» ، أي إِذَا قيل لهم: آمنوا بما أنزل الله يكفرون بما وراء كتابهم، وإما حال مع أن المضارع لا يأتي حالا بالواو إلا قليلا، لكنه هنا على إضمار المبتدأ، أي: (وهم يكفرون بما وراءه) »[3].

وقد جعل البقاعي جملة: (ويكفرون بما وراءه) حالا أيضا، ولكن لم يقدر مبتدأ محذوفا، يقول: « (ويكفرون) أي قالوا ذلك والحال أنهم يكفرون بما وراءه »[4].

5–قوله تعالى: « فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ »(5).

ذكر الثعالبي وجهين في قوله: (صبر)، الأول: أن يكون خبر مبتدؤه حذوف، والثاني: أن يكون مبتدأ خبره محذوف، وقد ذكر المعنى على كل وجه، يقول: « وقوله: فَصَبْرٌ جَمِيلٌ: إما على حذف المبتدأ، أي: فشأني صبرٌ جميلٌ، وإما على حَذْفِ الخبر، تقديره: فصبرٌ جميلٌ أَمْثَلُ »[6].

---

(1) تفسير ابن عرفة 1 / 270 .
(2) البقرة 91 .
(3) تفسير ابن عرفة 1 / 370 .
(4) نظم الدرر 1 / 196 .
(5) يوسف 18 .
(6) تفسير الثعالبي 3 / 315 .

6-قوله تعالى: « وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُواْ سَاحِرٌ كَذَّابٌ »(1).

حذف في هذه الآية المبتدأ في قوله: (فقالوا ساحر)، والتقدير: (فقالوا هو ساحر)، وقد ذكر البقاعي أن في حذف المبتدأ هنا إشارة « إلى مبادرتهم إلى العناد من غير توقف أصلاً »[2].

7-قوله تعالى: « كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُواْ إِلاَّ سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلاَغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ »(3).

بين البقاعي أن قوله: (بلاغ) خبر لمبتدأ محذوف، والتقدير: (هذا بلاغ)، والمعنى – كما يقول البقاعي: « هذا الذي ذكر هنا – أي: في سورة الأحقاف – هو من الظهور وانتشار النور بحيث يرد المنذرين ويوصلهم إلى رضى العزيز الحكيم الكافل بالنور الدائم والنعيم المقيم »[4].

8-قوله تعالى: « قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْاْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ »(5).

ذكر البقاعي لقوله تعالى: (جنات) وجهين إعرابين، الأول: أن تكون مبتدأ خبره (للذين)، والثاني: أن يكون خبرا مبتدؤه محذوف، على أن يكون (للذين) متعلقا بقوله: (بخير) [6].

9-قوله تعالى: « ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتُرُونَ »[7].

قريء قوله: (قول) بالرفع والنصب، وقراءة النصب هي قراءة عاصم وابن عامر، وقراءة الرفع هي قراءة الباقين[8]، وقد ذكر البقاعي علاقة هذه الكلمة بما قبلها على كل

---

(1) غافر 23 ، 24 .
(2) نظم الدرر 6 / 505 .
(3) الأحقاف 35 .
(4) نظم الدرر 7 / 146 .
(5) آل عمران 15 .
(6) نظم الدرر 2 / 37 .
(7) مريم 34 .
(8) السبعة في القراءات لابن مجاهد ، تحقيق د/ شوقي ضيف ص409 .

قراءة، والمعنى الناتج عن ذلك، فذكر أنها على قراءة الرفع تحتمل أن تكون خبرا ثانيا أو بدلا أو خبرا لمبتدأ محذوف، والتقدير: « هو – أي نسبته إلى مريم فقط – قول الحق أي الذي يطابقه الواقع »[1]، أما على قراءة نصب (قول) فذكر البقاعي أنها تكون منصوبة على الإغراء، « أي الزموا ذلك وهو نسبته إلى مريم عليهما السلام وحدها »[2].

10– قوله تعالى: « تَنزِيلاً مِّمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى »[3].

ذكر البقاعي أن قوله: (الرحمنُ) خبرا لمبتدأ محذوف، وهو مرفوع على القطع، حيث لم يتبع ما قبله في الإعراب – وهو قوله: (مَنْ) من قوله: (ممن خلق)، يقول البقاعي: « ولما كان القادر قد لا يكون ملكا ، قال دالا على ملكه مادحا له بالقطع خبرا لمبتدأ محذوف : (الرحمن) »[4].

11–قوله تعالى: « مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وِظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ »[5].

حذف في هذه الآية خبر المبتدأ (مَثَل)، وقد اختلف النحاة في تقدير هذا الخبر، قال سيبويه: « فكأنه قال: ومن القصص مَثَلُ الجنة، أو مما يُقَصُّ عليكم مَثَلُ الجنة »[6] ، وقد قدره البقاعي فقال: « والخبر محذوف تقديره : ما أقص عليكم ، وهو أنها بساتين : قصور وأشجار »[7]، ثم ذكر البقاعي تقدير الزجاج لهذا الخبر، فقال: « قال الزجاج : الخبر (جنة) مخبر عنها بما ذُكر ليكون تمثيلاً لما غاب عنا بما نشاهد »[8].

---

[1] نظم الدرر 4 / 532 .
[2] نظم الدرر 4 / 532 .
[3] طه 4 ، 5 .
[4] نظم الدرر 5 / 9 .
[5] الرعد 35 .
[6] الكتاب 1/ 143 .
[7] نظم الدرر 4 / 157 .
[8] السابق 4 / 157 ، وانظر رأي الزجاج في : معاني القرآن وإعرابه للزجاج 3 / 150 تحقيق/ عبد الجليل عبده شلبي – عالم الكتب – بيروت.

وقد ذهب الفراء إلى أن المثل مقحم للتأكيد، والمعنى : الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار ؛ والعرب تفعل ذلك كثيرا بالمَثَل ؛ كقوله : ليس كمثله شيء : أي ليس هو كشيء، وعلى ذلك فلا يكون هناك خبر محذوف على رأي الفراء[1].

12-قوله تعالى: « أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى النَّارِ»(2).

في هذه الآية حذف الخبر بعد قوله: (أفمن حق عليه كلمة العذاب)، وقد حذف هذا الخبر – كما يقول البقاعي: « يكون أهول فتذهب النفس فيه كل مذهب، ثم أنكر أن يكون أعلى الخلق ينقذه ، فغيره من باب الأولى »[3].

ومعنى هذا أن الخبر حذف هنا لتذهب كل نفس فيه كل مذهب، ثم ذكر الله أن أشرف الخلق لا ينقذه، فيفهم من ذلك أن من في النار لا يستطيع أحد إنقاذه منها إلا الله تعالى وحده.

13-قوله تعالى: « إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِالذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ»(4).

حذف الخبر أيضا في هذه الآية، أي: خبر (إنَّ)، وقد قدره البقاعي وربط بين حذفه والمعنى، فقال: « والخبر محذوف تقديره : خاسرون لا محالة لأنهم لا يقدرون على شيء مما يوجهونه إليه من الطعن لأنهم عجزة ضعفاء صغرة كما قال المعري :

أرى الجوزاء تَكْبُرَ أنْ تصادا فعانِدْ مَنْ تُطيق له عنادا[5]

وحذف الخبر أهول لتذهب كل مذهب »[6].

14-قوله تعالى: « إِن تَتُوبَآ إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاَهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلاَئِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ »(7).

---

(1) انظر: تفسير القرطبي طبعة الرسالة 12 / 80 .
(2) الزمر 19 .
(3) نظم الدرر 6 / 434 .
(4) فصلت 41 .
(5) البيت من الوافر، انظر: خزانة الأدب 7 / 137 .
(6) نظم الدرر 6 / 580 .
(7) التحريم 4 .

ذكر البقاعي أن كلمة (ظهير) في هذه الآية خبر، وهذا الخبر اسم جنس وقد أخبر به عن جمع، « إشارة إلى أنهم على كلمة واحدة في المظاهرة »[1]، وهذا هو ما عليه الجمهور؛ لأنهم أجازوا الإخبار بصيغة (فعيل) التي على زنة المصدر عن الجمع[2]. ومع ذلك أجاز البقاعي وجها آخر، وهو أن يكون (ظهير) خبرا عن (جبريل)، وخبر (الملائكة محذوف)، يقول: « ويجوز أن يكون (ظهير) خبر جبريل عليه الصلاة والسلام ، وخبر ما بعده محذوف لدلالته عليه أي كذلك»[3]، وهذا رأي واضح ما فيه من التكلف؛ إذ لا داعي لتقدير ما التركيب في غنى عنه، هذا مع ما للتعبير بالمفرد عن الجمع من دلالة تناسب السياق، وهي تلك الدلالة التي تتمثل فيما ذكره البقاعي في الإشارة إلى أنهم على كلمة واحدة في المظاهرة.

---

(1) نظم الدرر 8 / 49 .

(2) انظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك 1 / 192 ، دار الفكر للطباعة والنشر.

(3) نظم الدرر 8 / 49 .

المبحث الثاني

علاقــة الإسنـــاد بين الفعل والفاعل

وهي علاقة معنوية بين ركنين أساسيين من أركان الجملة العربية، تقوم بين الفعل والفاعل، وتحديدهما أمر ضروري لفهم الكلام، وقد اهتم مفسرو القرن التاسع الهجري ببيان هذه العلاقة وفائدتها الدلالية.

ومن ذلك ما نراه عند النيسابوري والبقاعي في تفسيرهما لقوله تعالى: «وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ»(1)، حيث نراهما يفرقان بين تعبير الكافرين عن إيمانهم إذا لقوا الذين آمنوا بالجملة الفعلية (قالوا آمنا) التي أسند فيها الفعل (قال) إلى واو الجماعة، وتعبيرهم عن حقيقة أمرهم إذا خلوا إلى شياطينهم بالجملة الاسمية التي نتجت عن إسناد الخبر(معكم) إلى اسم (إنَّ)، يقول النيسابوري: « وإنما خاطبوا المؤمنين بأضعف الجملتين وهي الفعلية، وشياطينهم بأقواهما – أعني الاسمية المحققة بـ(إنّ)؛ لأنهم في ادعاء حدوث الإيمان الناشيء عن صميم القلب منهم لا في ادعاء أنهم أوحديون في الإيمان كاملون، إما لأن أنفسهم لا تساعدهم عليه وهكذا كل قول لم يصدر عن صدق رغبة وباعث داخلي، وإما لأنه لا يروج عنهم لو قالوه على وجه التوكيد »[2].

ويقول البقاعي: « (قالوا) خداعاً (آمنا) معبرين بالجملة الفعلية الماضية التي يكفي في إفادتها لما سقيت له أدنى الحدوث، (وإذا خلوا) منتهين (إلى شياطينهم) أي الذين هم رؤوسهم من غير أن يكون معهم مؤمن ، والشيطان هو الشديد البعد عن محل الخير ، (قالوا إنا معكم) معبرين بالاسمية الدالة على الثبات مؤكدين لها دلالة على نشاطهم لهذا الإخبار لمزيد حبهم لما أفاده ودفعاً لما قد يتوهم من تبدلهم من رأى نفاقهم للمؤمنينَ »[3].

([1]) البقرة 14 .
([2]) تفسير النيسابوري 1/ 169 .
([3]) نظم الدرر 1 / 46 .

وهكذا فرَّق النيسابوري والبقاعي دلاليا بين الجملة الفعلية الناتجة عن إسناد الفعل إلى الفاعل، وبين الجملة الاسمية الناتجة إسناد الخبر إلى المبتدأ.

ومن ذلك ما نراه عند البقاعي في تفسيره لقوله تعالى: « فَتَلَقَّى آدمُ مِنْ رَبِّهِ كَلماتٍ »[1] ، فقد قرأها ابن كثير بنصب (آدم) ورفع (كلمات) ، وقرأها الباقون برفع (آدم) ونصب كلمات، [2]، وهنا يفرق البقاعي في الدلالة بين قراءة إسناد الفعل إلى (آدم) ، وبين إسناده إلى (كلمات)، فيرى أن المعنى على القراءة الأولى هو أن الكلمات هي التي تلقته بما أقبل بها عليه فكان مستحقا لها ، وأن المعنى على القراءة الثانية هو أن آدم – عليه السلام – تلقى الكلمات بما في باطنه ، ويرى أن القراءتين تجمعان هذا المعنى، يقول « في عطف الفاء في هذه الآية إشعار بما استند إليه التلقي من تنبيه قلب آدم وتوفيقه مما أثبته له إمساك حقيقته عند ربه ، ويعاضد معناه رفع الكلمات وتلقيها آدم في إحدى القراءتين ، فكأنه تلقى الكلمات بما في باطنه فتلقته الكلمات بما أقبل بها عليه فكان مستحقاً لها، فكانت متلقية له بما جمعت القراءتان من المعنى»[3] .

كذلك بين البقاعي دلالة إسناد الفعل (اشمأزت) إلى الفاعل (قلوب) حيث نتجت عن هذه العلاقة جملة فعلية في قوله تعالى: « وإذا ذُكِرَ اللهُ وَحْدَه اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ»[4]، ويفرق بين دلالة ذلك ودلالة إسناد الخبر (يستبشرون) إلى المبتدأ (هم) حيث نتجت عن هذه العلاقة جملة اسمية فيقول: « وعبر بالفعلية اولاً وبالاسمية ثانياً ، ليفيد ذمهم على مطلق الاشمئزاز ولو كان على أدنى الأحوال ، وعلى ثبات الاستبشار تقبيحاً لمطلق الكفر ، ثم الثبات عليه فتحاً لباب التوبة »[5] .

([1]) البقرة 37 .
([2]) انظر : النشر في القراءات العشر لابن الجزري 2 / 211 .
([3]) نظم الدرر 1 / 108 .
([4]) الزمر 45 .
([5]) نظم الدرر 6 / 456 .

وعند قوله تعالى : « أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ »[1] يذكر البقاعي وجهين إعرابيين لاسم الموصول (مَنْ):

الأول : أنه فاعل والمفعول به محذوف للتعميم ، فيكون المعنى على هذا الوجه إثبات مطلق العلم لله تعالى.

الثاني: أنه مفعول به ، والفاعل ضمير مستتر يعود على اسم الجلالة (الله) ، ثم يحسن البقاعي الوجه الثاني الذي يكون فيه المسند ضميرا مستترا ، لأن المعنى على هذا التوجيه هو : « ألا يعلم الله مخلوقه على الإطلاق وله صفتا اللطف والخُبْر اللتان شأنهما إدراك البواطن إدراكاً لا يكون مثله لأن الغرض إثبات العلم لما أخفوه لظنهم أنهم إذا أسروا يخفى ، لا إثبات مطلق العلم فإنهم لم ينكروه »[2] .

ويبين النيسابوري دلالة إسناد الفعل (تستأخر) إلى واو الجماعة في قوله تعالى: « قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ »[3]، فيقول: « وفي إسناد الفعل إليهم بقوله لا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ دون أن يقول لا يؤخر عنكم زيادة تأكيد لوقوع اليوم »[4].

دلالة وقوع المسند فعلا .

وإذا كان مفسرو القرن التاسع الهجري قد اعتنوا في الآيات السابقة بتحديد طرفي الإسناد نظرا لتوقف المعنى على هذا التحديد، فإنهم قد اعتنوا أيضا اعتناء كبيرا ببيان دلالة اختيار العلاقة الإسنادية بين فعل واسم، فقد يدعو المقام للتعبير بالفعل نظرا لارتباط ذلك بمعنى معين ، ومن ثم فإنه يلجأ إلى العلاقة الإسنادية التي يقع فيها هذا الفعل مسندا حتى يؤدي الدلالة المرادة منه، مثال ذلك ما نجده عند البقاعي عند حديثه عن دلالة اختيار الفعل (يسمع) الذي أسند إلى الضمير المستتر العائد على لفظ

([1]) الملك 14 .
([2]) نظم الدرر 8 / 65 .
([3]) سبأ 30 .
([4]) تفسير النيسابوري 5 / 497 .

الجلالة في قوله تعالى: « إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ »[1] ، حيث قال: « وعبر بالفعل إشارة إلى القدرة على ذلك في كل وقت أراده – سبحانه»[2] .

ومن ذلك أيضا تعليله لاختيار الفعل المضارع (يقتلون) لإسناده إلى واو الجماعة في قوله تعالى: « قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ »[3] فيرى أن ذلك فيه : « تصوير لشناعة هذا القتل بتلك الحال الفظيعة ، ورمز إلى أنهم لو قدروا الآن فعلوا فعلهم ؛ لأن التقدير : وتُصرّون على قتلهم من بعد ؛ وفيه إيماء إلى حرصهم على قتل النبي – صلى الله عليه وسلم – تحذيراً منهم ، ولقد صدق هذا الإيماء الواقع ، فقد عزم بنو النضير على أن يلقوا عليه صخرة ، وسمّه أهل خيبر »[4] .

كذلك يربط البقاعي بين العلاقة الإسنادية الناتجة عن إسناد فعل الأمر (اقتل) إلى واو الجماعة في قوله تعالى: « فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ»[5] ، فيرى أن اختيار فعل الأمر هنا وإسناده إلى واو الجماعة فيه: « بشارة بنصرة المبغي عليه وقوة إدالته »[6] .

ومن ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى: « لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ »[7]، حيث قال إن « الآية سيقت للتعريض بالكفار »[8] ومن ثم كان اختيار الفعل الماضي (أشرك) هنا الذي أسند إلى تاء الفاعل « أنسب ليدل بلفظه على أن من وقع منه شرك فقد خسر ، وبمعناه على أن الذي يقع منه ذلك فهو كذلك »[9] .

ومن ذلك أيضا ما ذكره جلال الدين المحلي من دلالة مجيء المسند فعلا ماضيا في قوله تعالى: « أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ »[10]، يقول: « لَمَّا اسْتَبْطَأَ الْمُشْرِكُونَ الْعَذَاب

([1]) فاطر 22 .
([2]) نظم الدرر 6 / 218 .
([3]) البقرة 91 .
([4]) نظم الدرر 1 / 197 .
([5]) البقرة 191 .
([6]) نظم الدرر 1 / 364 .
([7]) الزمر 65 .
([8]) نظم الدرر 6 / 468 .
([9]) السابق 6 / 468 .
([10]) النحل 1 .

نَـزَلَ (أَتَـى أَمْـر اللَّه) أَيْ السَّـاعَة وَأَتَـى بِصِـيغَةِ الْمَاضِـي لِتَحَقُّـقِ وُقُوعـه، أَيْ قَـرُبَ، (فَـ َسْتَعْجِلُوهُ) تَطْلُبُوهُ قَبْل حِينه فَإِنَّهُ وَاقِع لَا مَحَالَة »[1] .

هكـذا كـان المفسـرون فـي هـذا القـرن التاسـع الهجـري يُعنـون بتحديـد العلاقـ الإسنادية القائمـة بين الفعل والفاعل، نظرا لتوقف المعنـى المراد من الآيـة علـى تحديد طرفي الإسناد، ومثلما كانوا يعنون بتحديد علاقة الإسناد وتوجيه المعنى بناء على هذا التحديد ، كانوا أيضا يعنون بدلالة اختيار العلاقة الإسنادية، حيث قد يلجأ في تركيب الجملة إلى العلاقة الإسنادية بين اسم وفعل، بإسناد الفعل إلى الاسم، نظرا لارتباط هذا الفعل الذي يقع مسندا بدلالة معينة.

حذف الفعل .

كما عُني هؤلاء المفسرون ببيان علاقة الإسناد بين الفعل والفاعل في الآيات التي حذف فيها الفعل أو الفاعل، مع ربط ذلك بالمعنى.

أما حذف الفعل فهو أمر شائع في القرآن الكريم، وإذا حذف فإن الفاعل المذكور يرشد إليه، كما في قوله تعالى: « وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ »[2]، أي: خلقهن الله، وعدُّ المذكور فاعلا لفعل محذوف أحسن من عده خبرا لمبتدأ محذوف؛ لثبوت الفعل المقدر في نحو هذا، كما في قوله تعالى: « وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ » [3].

وقد يكون المفعول به مرشدا إلى هذا الفعل المحذوف كما في أسلوب التحذير ونحوه، كقولهم في المثل: (أهلكَ والليلَ)، فنصب هذا يدل على محذوف ناصب تقديره: (الحق أهلك وبادر الليل) [4].

([1]) تفسير الجلالين ص345 .

[2] لقمان 25 .

[3] الزخرف 9 .

[4] المثل السائر 2/ 54 ، وانظر: المعايير النصية في القرآن الكريم د/ أحمد محمد عبد الراضي ص61 .

وعليه ورد قوله تعالى: « فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا » [1] أي: احذروا ناقة الله وسقياها فلا تفعلوا ذلك[2].

وفي بعض الأحيان لا يكون هناك في الجملة فاعل أو مفعول به يرشد إلى الفعل المحذوف، ومن ثم فإن الفعل المحذوف في هذه الحالة « يظهر بالنظر إلى ملاءمة الكلام، ومما جاء منه قوله تعالى: « وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفّاً لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ » [3] ، فقوله: (لقد جئتمونا) يحتاج إلى إضمار فعل، أي فقيل لهم: لقد جئتمونا أو فقلنا لهم. وقد ورد هذا في القرآن الكريم في غير موضع، كقوله تعالى: « وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا » [4]، فقوله: (أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا) يحتاج إلى تقدير الفعل المضمر » [5] ، أي: فيقال لهم أذهبتم.

ومن الآيات التي حذف فيها الفعل وهو أحد طرفي علاقة الإسناد بين الفعل والفاعل، وتوقف عندها المفسرون في القرن التاسع الهجري مبينين هذا الحذف ودلالته قوله تعالى: « فَقَالُواْ سَلاَماً قَالَ سَلاَمٌ »[6].

ففي هذه الآية علاقة إسناد بين قوله: (سلاما) وفعل محذوف ، وقد حذف هذا الفعل وجوبا، والتقدير: نسلم سلاما، فالمصدر (سلاما) منصوب بفعل محذوف وجوبا، وقد ذكر ابن عرفة دلالة نصب المصدر بفعل محذوف، بينما جاء (سلام) إبراهيم – عليه السلام – بالرفع، فقال: « سلام إبراهيم إنما هو بعد سلام الملائكة ردا عليهم، والبعدية تقتضي الحدوث (والتجدّد) ، فلو عبر فيه بالفعل لتوهّم (فيه) الحدوث، وأنه إنّما سلم ردا عليهم فعبّر بالاسم (تنبيها) على أن (سلامِيَ) عليكم كان ثابت ولو لم تبدؤوني

---

[1] الشمس 13 .
[2] البحر المحيط لأبي حيان 8/ 482 .
[3] الكهف 48 .
[4] الأحقاف 20 .
[5] المثل السائر 2/ 55 .
[6] الذاريات 25 .

بالسّلام. وسلام الملائكة لما كان ابتدائيا لا يتوهّم فيه البعدية ولا أنه جوابٌ وَرَدٌّ عبّروا فيه بالفعل إذْ لا ضرورة تدعو إلى التعبير بالاسم »[1].

وفرق البقاعي أيضا بين الرفع والنصب هنا فقال: « (قالوا سلاماً) أي سلمنا عليك سلاماً عظيماً، (قال سلام)، أي: ثابت دائم عليكم لا زوال له أبداً، فللرفع مزية على النصب؛ لأنه إخبار عن ثابت، والنصب تجديد ما لم يكن ، فصار مندرجاً في (فحيوا بأحسنَ منها) (2) »[3].

أما إذا حذف الفاعل فإن العلاقة النحوية الإسنادية تصبح بين الفعل وما ينوب عن هذا الفاعل المحذوف، أي نكون بصدد علاقة نحوية إسنادية جديدة بين الفعل ونائب الفاعل، وهو ما سأتناوله في المبحث التالي.

---

[1] تفسير ابن عرفة 1 / 96 .

[2] النساء 86 .

[3] نظم الدرر 3 / 553 .

المبحث الثالث

علاقــة الإسنـــاد بين الفعل ونائب الفاعل

إذا حذف الفاعل وبني الفعل لغير الفاعل وأنيب غير الفاعل منابه فإن هناك علاقة إسنادية جديدة تنشأ بين الفعل ونائب الفاعل، فبدلا من إسناد الفعل للفاعل يسند بعد حذف الفاعل إلى ما ينوب عن هذا الفاعل، ويكون ذلك لأغراض معينة.

فالأصل في الجملة الفعلية ذكر الفاعل (المسند إليه) ، ولكنه قد يحذف على سبيل الجواز لأغراض بلاغية، وهذا يستلزم تغيير صيغة الفعل من البناء للمعلوم إلى البناء لما لم يسم فاعله، فيبنى على « (فُعِل) نحو : (ضُرِبَ) وأُفعِلَ نحو: (أُكرِمَ) وتُفعَل نحو: (تُضْرَب)، و(نُفْعَل)، نحو: (نُضْرَب)،فخولف بينه وبين بناءِ الفعل الذي بني للفاعل لئلا يلتبس المفعول بالفاعل » [1].

وليس كل فعل صالحا للبناء لما لم يسم فاعله، بل يشترط فيه أن يكون متصرفا، وأن يكون متعديا، فلا يبني للمفعول مثل: (نِعْم وبِئْسَ)، و(قام) [2].

وينوب عن الفاعل « خمسة أنواع: المفعول به، والمصدر، وظرف الزمان، وظرف المكان، والجار والمجرور، وأولاها بالإقامة المفعول به؛ لأنه يقام بغير شرط بخلاف غيره؛ ولأنه لا يقوم غيره مقام الفاعل مع حضوره، بخلاف ما عليه المفعول به؛ إذ يقام وجوبا إذا حضر مع حضور غيره » [3].

وما ذكره الشاطبي من وجوب إنابة المفعول به عن الفاعل مع وجود غيره مما يصلح للنيابة هو مذهب البصريين غير الأخفش، ومذهب الكوفيين والأخفش وابن مالك جواز نيابة غير المفعول به مع وجوده[4].

([1]) الأصول في النحو لابن السراج 1/ 76،77 ، وانظر المقرب لابن عصفور1/ 79،80 .
([2]) انظر: المقرب لابن عصفور 1/ 79 .
([3]) المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية 3 / 5 .
([4]) انظر: الهمع 1/ 162 .

وإذا ناب أحد الأمور الخمسة السابقة عن الفاعل أخذ أحكامه، يقول سيبويه: « والفاعل والمفعول في هذا سواء، يرتفع المفعول كما يرتفع الفاعل، لأنك لم تشغل الفعل بغيره وفرغته، كما فعلت ذلك بالفاعل » [1]، ومن ثم يأخذ النائب عن الفاعل حكم الفاعل « من رفع وعمدية ووجوب تأخير وامتناع حذف، وينزل منزلة الجزء » [2].

ومن الآيات التي أسند فيها الفعل إلى نائب الفاعل قوله تعالى: « وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ »[3] فقد بين البقاعي دلالة إسناد الفعل (أوتي) إلى (النبيون) جميعهم بعد أن أسند الفعل إلى (موسى) و (عيسى) كلٌّ على حدة، حيث قال: « ثم أسند الإيتاء إلى الجميع لكون أهل الكتب العظيمة فيهم على سبيل التغليب ، فقال مؤكداً الكلام ؛ لأنه على لسان الأتباع وهم بالتأكيد أحق: (وما أوتي النبيون) أي قاطبة من تقدم وغيرهم من المنزل من كتاب وغيره من ربهم»[4] .

ويبين أيضا دلالة إسناد الفعل (حُرِّمَت) إلى الفاعل وما عطف عليه في قوله تعالى: « حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ...» [5] ، فبالرغم من أن المحرم هنا هو نكاحهن، إلا أنه أسند الفعل إلى أعيانهن ، يقول البقاعي: « ولما كان أعظم مقصود من النساء النكاح ، فكان إضافة التحريم إلى أعيانهن إفادة التأكيد غير قادح في فهمه ، وكان مع ذلك قد تقدم ما يدل على أن المراد النكاح ؛ أسند التحريم إلى الذات تأكيداً للتحريم فقال : (أمهاتكم) »[6].

أما الأغراض البلاغية التي يحذف لأجلها الفاعل ومن ثم إسناد الفعل إلى ما ينوب عن الفاعل، فهي « إما لعلم المخاطب، أو لجهل المخاطب، أو للخوف منه، أو للخوف عليه، أو للتعظيم، وذلك إذا كان المفعول حقيرا، أو للتحقير ، وذلك إذا كان

([1]) الكتاب 1/ 33 .
([2]) الهمع 1/ 162 .
([3]) البقرة 136 .
([4]) نظم الدرر 1/ 254 .
([5]) النساء 23 .
([6]) نظم الدرر 2 / 232 .

المفعول عظيما، أو إيثارا لغرض السامع، أو لإقامة الوزن، أو لتوافق القوافي، أو لتقارب الأسجاع » [1].

ويضرب السيوطي أمثلة لهذه الأغراض فيقول: « قد يترك الفاعل لغرض لفظي أو معنوي كالعلم به نحو: « كُتِبَ عليكم القتالُ »[2] للعلم بأن فاعل ذلك هو الله، أو للجهل به كـ (سرق المتاع)، أو تعظيم فيصان اسمه عن أن يقترن باسم المفعول كقوله: (من بُلى منكم بهذه القاذورات)، أو تحقيره فيصان اسم المفعول عن مقارنته كقولك: (أوذي فلان)- إذا عظم أو حقر من آذاه أو خوف منه أو خوف عليه فيستر ذكره، أو قصد إبهامه بأن لا يتعلق مراد المتكلم بتعينه، نحو: « فَإِنْ أُحْصِرْتُم »[3] ، « وإذا حُيِّيتُم »[4] ، « إذا قيلَ لَكُم تَفَسَّحُوا »[5]، أو إقامة وزن الشعر كقوله[6]: [الكامل]

وإذا شَـــــربْتُ فـــــإنّنِى مُسْـــــتَهْلَكٌ مـــــالى وعِرْضـــــى وافِـــرٌ لـــــم يُكْلَـــــم

وإصلاح السجع نحو: (من طابت سريرته حمدت سيرته)، أو قصد الإيجاز نحو: « وَمَنْ عاقبَ بِمِثْلِ ما عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِىَ عليه»[7] » [8].

وقد اهتم مفسرو القرن التاسع الهجري ببيان علاقة الإسناد بين الفعل ونائب الفاعل، وببيان الأغراض البلاغية الناتجة عن هذه العلاقة الإسنادية التي تنتج بعد حذف الفاعل، ومن هذه الدلالات:

1-**العموم**: ومن ذلك قوله تعالى:

-« وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِى الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ »[1] ، يقول البقاعي: « وبناؤه – أي: قيل – للمجهول إشارة إلى عصيانهم لكل قائل كائناً من كان »[2] ، وقد

([1]) المقرب لابن عصفور 1/ 80 .
([2]) البقرة 216 .
([3]) البقرة 196 .
([4]) النساء 86 .
([5]) المجادلة 11 .
([6]) هو: عنترة بن شداد، انظر: ديوانه ص82 .
([7]) الحج 60 .
([8]) الهمع 1 / 161 ، 162 .

بين النيسابوري أن إسناد (قيل) هنا إلى (لا تفسدوا)، « ليس من إسناد الفعل إلى الفعل فإنه لا يصح، ولكنه إسناد إلى لفظ الفعل، أي: وإذا قيل لهم هذا القول »[3].

-« فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ »[4]، يقول البقاعي معللا لبناء الفعل (عفي) لغير الفاعل : « وعبر بالبناء للمفعول إشارة إلى أن الحكم يتبع العفو من أي عاف كان له العفو في شيء من الحق ولو كان يسيراً»[5] ، وقد ذكر النيسابوري الفرق بين تعدي الفعل (عفا) بـ (عن) وتعديه باللام كما في هذه الآية، فقال: « فإن قيل: إن «عفا» يتعدى بعن لا باللام فما وجه قوله فَمَنْ عُفِيَ لَهُ فالجواب أنه يتعدى بعن إلى الجاني وإلى الذنب فيقال: عفوت عن فلان وعن ذنبه... فإذا تعدى إلى الذنب وإلى الجاني معا قيل «عفوت لفلان عما جنى »[6].

-« وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ »[7] ، فقد حذف الفاعل هنا للدلالة على عموم الفاعل، فليس المراد قائلا معينا، بل المراد: من أي قائل كان[8].

-« فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ »[9] ، فقد بني الفعل (أرسل) للمفعول؛ لأن « الملامة على تكذيب الرسول لا بقيد كونه معينا »[10] .

2-**تشريف وتعظيم الفاعل ، وتحقير المفعول:** ومن ذلك قوله تعالى:

-« وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ »[11] ، فقد بني الفعل (أَنزل) الأول للفاعل بإسناده إلى لفظ

([1]) البقرة 11 .
([2]) نظم الدرر 1 / 44 .
([3]) تفسير النيسابوري 1/ 166 .
([4]) البقرة 178 .
([5]) نظم الدرر 1 / 332 .
([6]) تفسير النيسابوري 1 / 483 .
([7]) المرسلات 48 .
([8]) انظر: نظم الدرر 8 / 292 .
([9]) الأعراف 6 .
([10]) نظم الدرر 3 / 8 .
([11]) البقرة 91 .

الجلالة (الله) – سبحانه وتعالى – وسبب ذلك كما يقول البقاعي : « رفع مقدارهم بالدعاء إلى الإيمان بما أسند إلى هذا الاسم الأعظم »[1] ، بينما بني الفعل (أُنزل) الثاني لغير الفاعل ؛ « تسفيلا لأنفسهم ... فأسقطوا اسم من يتشرف بذكره ويتبرك باسمه »[2] .

–« وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ »[3] ، فقد بني الفعل (أوتوا) هنا لغير الفاعل، « تنبيهاً على هوانهم »[4] .

–« يَاأَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ »[5]،فقد بني الفعل (أوتوا) هنا لغير الفاعل؛ تعظيما لله – تعالى، وتنزيها لاسمه الشريف، وتحقيرا للذين أوتوا الكتاب، يقول البقاعي:« ولم يسند الإيتاء إليه تحقيراً لهم »[6] .

–« مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا »[7] فقد بني الفعل (حُمِّل) هنا لغير الفاعل تشريفا وتعظيما وتنزيها لله – سبحانه وتعالى – أن يذكر مع المفعول ، يقول البقاعي : « ولما كان العلم ولا سيما الرباني يجب أن يفرح به ويرغب فيه من أيّ موصل كان ، بني للمجهول قوله وصيانة لاسمه الشريف عن أن يذكر عند العصيان »[8] .

3–**العلم به:** ومن ذلك قوله تعالى:

–« فَطُبِعَ على قُلُوبِهم »[9]، يقول البقاعي بصدد تفسيره لهذه الآية:« ولما كان مجرد الطبع على القلب في غاية البشاعة ، كان مفهماً لبشاعة ما كان منه من الله من

([1]) نظم الدرر 1 / 196 .
([2]) السابق 1 / 196 .
([3]) البقرة 145 .
([4]) نظم الدرر 1 / 268 .
([5]) النساء 47 .
([6]) نظم الدرر 2 / 264 .
([7]) الجمعة 5 .
([8]) نظم الدرر 7 / 595 .
([9]) المنافقون 3 .

باب الأولى، بني للمجهول قوله: (فطبع) أي فحصل الطبع وهو الختم مع أنه معلوم أنه لا يقدر على ذلك غيره سبحانه »[1].

4- **إبهامه وعدم تعلق غرض الكلام به:** كما في قوله تعالى:

-« فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ »[2] ، ففي هذه الآية « لما كان الهالك لهم لتقيدهم بالمحسوسات إنما هو العذاب ، لا كونه من معين ، بنى للمجهول قوله: (فأهلكوا) أي بأيسر أمر من أوامرنا »[3] .

-« فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ »[4] فقد حذف الفاعل هنا ؛ لأن الغرض التركيز على الحدث ، وهو النفخ ، دون الاهتمام بمن يصدر عنه الحدث يقول البقاعي: « وبنى الفعل للمجهول دلالة على هوان ذلك عليه وأنه ما تأثر عنه لا يتوقف على نافخ معين بل من أقامه من جنده لذلك تأثر عنه ما يريده »[5] .

-« كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا»[6] ، فهنا « لما كان الرزق معلوماً ولم يتعلق غرض بمعرفة الآتي بالرزق بُنيا – أي الفعلان: رزقنا ، وأتوا – للمجهول »[7] .

-« وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ »[8] ، ففي هذه الآية يعلل البقاعي بناء الفعل (أحصرتم) لغير الفاعل بأن «الحكم دائر مع وجود الفعل من غير نظر إلى فاعل

---

(1) نظم الدرر 7 / 608 .
(2) الحاقة 5 .
(3) نظم الدرر 8 / 121 .
(4) الحاقة 13 .
(5) نظم الدرر 8 / 126 .
(6) البقرة 25 .
(7) نظم الدرر 1 / 72 .
(8) البقرة 196 .

معين »[1]،ولا يقف البقاعي عند ذلك الحد، بل يتجاوز ذلك إلى أن يقارن دلاليا بين ما سبق من بناء الفعل (أحصرتم) لغير الفاعل وبين بناء الفعل (أمنتم) للفاعل،فيقول:«وبني الفعل هنا للفاعل إشارة إلى أنه كأنه آت بنفسه تنبيهاً على أنه الأصل بخلاف الإحصار حثاً على الشكر »[2] .

– « زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ »[3]، فقد « أبهم المزين لترجع إليه ألسنة التزيين مما كانت في رتبة علو أو دنو»[4].

–« وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ »[5] ، فقد بني الفعل (ازدجر) هنا لغير الفاعل ؛ « إشارةً إلى تبشيعه من غير نظر إلى قائل وإيذاناً بأن ذلك لم يكن من أكابرهم فقط بل من كبيرهم وصغيرهم »[6] .

([1]) نظم الدرر 1 / 369 .
([2]) السابق 1 / 370 .
([3]) آل عمران 14 .
([4]) نظم الدرر 2 / 34 .
([5]) القمر 9 .
([6]) نظم الدرر 7 / 349 .

الفصل الثاني
علاقــة التخصيــص (التقييد)

مدخل

إذا كان المفسرون في القرن التاسع الهجري قد اهتموا في تحليلهم للنص القرآني ببيان علاقة الإسناد لما لها من أثر كبير في توضيح المعنى وبيانه، فإنهم كذلك عُنوا ببيان ما يقيد هذه العلاقة من قيود ؛ وهذه القيود هي ما أطلق عليه علماء النحو: فضلات، ولم يقصدوا بذلك أنه ليس لها قيمة دلالية في الكلام، بل عنوا بذلك أنها ما سوى الركنين الأساسيين في الجملة، فهذه القيود أو المكملات تلعب دورا كبيرا في بيان المعنى ، ولا يمكن الوصول إلى دلالة النص دون ملاحظة ما يكمل الجملة من مكملات تقيد الإسناد ، فعند تحليل قوله تعالى: « لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى »[1] ، لا يمكن أن نحصل على الدلالة الصحيحة للآية من ملاحظة علاقة الإسناد فقط، بل لا بد من ملاحظة ما قيد هذه العلاقة أو خصصها بحال معينة، وهي عدم كون المخاطبين سكارى، ولو لم تقيد علاقة الإسناد بذلك لأصبح النهي على إطلاقه وحصلنا على معنى فاسد .

وهذه المكملات التي تمثل قيودا على علاقة الإسناد تشمل : المفعول به ، والمفعول لأجله، والمضارع بعد اللام وكي والفاء ولن، وإذن، والمفعول معه، والمفعول فيه، والمفعول المطلق، والحال، والتمييز، والاستثناء.

وكل مكمل مما سبق يرتبط بالمسند بعلاقة كبرى تسمى علاقة التخصيص، وسميت كذلك لأن المكمل يمثل قيدا على علاقة الإسناد، وهذه العلاقة الكبرى وهي علاقة التخصيص تتفرع إلى علاقات أخص حسب الجهة التي يُوجِّه إليها القيدُ الإسنادَ، فالمفعول به عندما يخصص الإسناد باتجاه من وقع عليه الفعل تنشأ علاقة التعدية، والمفعول له عندما يخصص الإسناد باتجاه ذكر الغاية من حدوث الفعل تنشأ علاقة الغائية، والمفعول معه عندما يخصص الإسناد باتجاه ما صاحب الفعل تنشأ حينئذ علاقة

([1]) النساء 43 .

المعية، والمفعول المطلق عندما يخصص الإسناد باتجاه تأكيد الفعل تنشأ حينئذ علاقة التحديد والتوكيد، والمفعول فيه عندما يخصص الإسناد باتجاه زمن أو مكان حدوث الفعل تنشأ حينئذ علاقة الظرفية، والحال عندما يخصص الإسناد باتجاه حال وقوع الإسناد تنشأ حينئذ علاقة الملابسة، وهكذا فإن كل قيد مما سبق يرتبط بالإسناد بعلاقة فرعية، وهذه العلاقة الفرعية تندرج تحت علاقة كبرى هي علاقة التخصيص؛ لأن كل علاقة فرعية تخصص الإسناد، ولكن تختلف جهة التخصيص بحسب نوع القيد[1].

وقد تحدث عبد القاهر الجرجاني عن أهمية هذه القيود في فهم معنى الجملة فهما صحيحا كاملا، يقول: « وذلك أنك إذا قلت: (ضرب زيدٌ عمرًا يومَ الجمعة ضربًا شديدًا تأديبًا له) ، فإنك تحصل من مجموع هذه الكلم على مفهوم هو معنى واحد لا عدة معان كما يتوهمه الناس، وذلك لأنك لم تأتِ بهذه الكلم لتفيد نفس معانيها، وإنما جئت بها لتفيد وجوه التعلق التي بين الفعل الذي هو (ضرب) ، وبين ما عمل فيه، والأحكام التي هي محصول التعلق ...وإذا كان الأمر كذلك فينبغي لنا أن ننظر في المفعولية من عمرو، وكون يوم الجمعة زمانا للضرب، وكون الضرب ضربا شديدا، وكون التأديب علة للضرب، أيتصور فيها أن تفرد عن المعنى الأول، الذي هو أصل الفائدة، وهو إسناد الضرب إلى (زيد) »[2] .

إذًا لا يمكن أن نفهم المعنى الصحيح من المثال الذي ذكره عبد القاهر الجرجاني إلا بملاحظة العلاقات النحوية بين مفردات الجملة، بدءا من علاقة إسناد فعل الضرب إلى (زيد) مرورا بالقيود التي خصصت هذا الفعل باتجاهات خاصة، وهي كون الضرب واقعا على عمرو (المفعول به)، وكون هذا الضرب يوم الجمعة (المفعول فيه)، وكون هذا الضرب لعلة وهي تأديب عمرو (المفعول له)، وكون هذا الضرب شديدا (المفعول المطلق).

وهكذا الحال في جميع النصوص، حيث تقوم مكملات الجملة بإتمام المعنى وتوضيحه وذلك عن طريق العلاقة التي تقوم بينها وبين الإسناد ، وهي علاقة

([1]) انظر: بناء الجملة العربية، د/ محمد حماسة عبد اللطيف ص61 .

([2]) دلائل الإعجاز ص413 .

التخصيص، وحينئذ يجب على محلل النص أن يراعي في تفسيره للنص وتحليله هذه العلاقة وما لها من أثر في إيضاح المعنى.

وباستقراء أقوال مفسري القرآن في القرن التاسع الهجري وهم بصدد تحليلهم للنص القرآني يُلاحظ اهتماما كبيرا منهم ببيان قيود الإسناد ، وذكر نوعها، وجهة تخصيصها للإسناد، إيمانا منهم بأهمية هذه القيود في تخصيص الإسناد باتجاه معين، وإذا كان القيد يحتمل أكثر من جهة تخصيص كأن يحتمل مثلا أن يكون تعدية أو علة فإنهم يبينون ما يناسب المعنى من ذلك، وأحيانا يجيزون فيه أكثر من وجه لاتساع المعنى وتقبله لذلك.

وسوف أتناول هذه العلاقات النحوية التي تتفرع عن علاقة التخصيص من خلال المباحث التالية:

المبحث الأول: علاقة التعدية.

المبحث الثاني: علاقة التحديد والتوكيد.

المبحث الثالث: علاقةالغائية.

المبحث الرابع: علاقة الظرفية.

المبحث الخامس: علاقة الملابسة.

المبحث السادس: علاقة الإخراج أو الاستثناء.

المبحث الأول

علاقــة التعديــة

وهـي علاقـة نحويـة فرعيـة تتفـرع عـن علاقـة التخصـيص، وتكـون بـين الفعـل والمفعول بـه، حيث يخصص هذا الأخير الأول باتجاه من وقع عليه الفعل، ومن ذلك الآيات التالية:

1- قولـه تعـالى: « وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ »(1) .

في هذه الآية الكريمة أسند الفعل (ينفق) إلى واو الجماعة، وقد قُيد هذا الإسناد بقيدين:

الأول: المفعول به (أموالهم) ، وهذا القيد خصص الإسناد باتجاه ما وقع عليه الفعل (تعدية) .

الثاني: المفعول له (ابتغاء) ، وهذا القيد خصص الإسناد باتجاه علة الفعل ، وقد عطفت عليه علة أخرى وهي (تثبيتا).

وقد اهتم البقاعي ببيان هذه المعاني الناتجة عن هذه العلاقة النحوية ، يقول: « (الذين ينفقون أموالهم) أي مثل نفقاتهم لغير علة دنياوية ولا شائبة نفسانية بل (ابتغاءَ مرضات الله) »(2) . فقوله : « لغير علة دنياوية ... بل ابتغاء » يبين جهة تخصيص الإسناد وهو ذكر علة الإنفاق وهو (ابتغاء).

وقد اختلفت أقوال المفسرين حول معنى قوله تعالى: « وتثبيتا من أنفسهم » وقد جاء هذا الاختلاف في المعنى نتيجة اختلاف نظرتهم إلى العلاقات النحوية القائمة بين كلمتي: (تثبيتا)، و(من) .

---

(1) البقرة 265 .

(2) نظم الدرر 1 / 518 .

فمن المفسرين من يرى أن (مِنْ) بمعنى (بعض) ، ومن ثم تكون مفعولا به للمصدر (تثبيتا) ، ومن هؤلاء المفسرين الذين قالوا بهذا الرأي الزمخشري[1] ، والبقاعي ، يقول البقاعي: « (وتثبيتاً من أنفسهم) بالنظر في إصلاح العمل وإخلاصه بالحمل على الحلم والصفح والصبر على جميع مشاق التكاليف ، فإن مَنْ راضَ نفسه بحملها على بذل المال الذي هو شقيق الروح وذلت له خاضعة وقل طمعها في اتباعه لشهواتها فسهل عليه حملها على سائر العبادات، ومتى تركها وهي مطبوعة على النقائص زاد طمعاً في اتباع الشهوات ولزوم الدناءات، فمن للتبعيض مفعول به مثلها في قولهم: لين من عطفه وحرك من نشاطه »[2] .

إذًا المعنى الناتج عن هذه العلاقة النحوية السابقة: وهي كون (مِنْ) مفعولا به لـ (تثبيتا) هو أنهم يثبتون بعض أنفسهم ، وقد شرح الزمخشري معنى التبعيض هنا فقال: « فَإِنْ قُلْتَ: فَمَا مَعْنَى التَّبْعِيضِ؟ قُلْتُ مَعْنَاهُ أَنَّ مَنْ بَذَلَ مَالَهُ لِوَجْهِ اللَّهِ فَقَدْ ثَبَّتَ بَعْضَ نَفْسِهِ، وَمَنْ بَذَلَ مَالَهُ وَرُوحَهُ مَعًا فَهُوَ الَّذِي ثَبَّتَهَا كُلَّهَا، (وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ) [3] »[4] .

ومنهم من يرى أن الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لـ (تثبيتا) ، أي: تثبيتا كائنا من أنفسهم، والمعنى على ذلك: « أَنَّ نُفُوسَهُمْ لَهَا بَصَائِرُ مُتَأَكِّدَةٌ، فَهِيَ تُثَبِّتُهُمْ عَلَى الْإِنْفَاقِ »[5] ، وهذا معنى قول صاحب البحر المحيط: « وَإِنْ كَانَ التَّثْبِيتُ مُسْنَدًا فِي الْمَعْنَى إِلَى أَنْفُسِهِمْ، كَانَتْ (مِنْ) فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ أَيْضًا؛ صِفَةً لِلْمَصْدَرِ تَقْدِيرُهُ : كَائِنًا مِنْ أَنْفُسِهِم »[6] .

وذكر أبو حيان احتمالا آخر ، وهو أن يكون التثبيت مسندا أيضا في المعنى إلى أنفسهم، مع حذف مفعول به، « تَقْدِيرُهُ الثَّوَابُ مِنَ اللَّهِ – تَعَالَى ، أَيْ : وَتَثْبِيتًا وَتَحْصِيلًا

([1]) انظر: الكشاف 1 / 313 ، نشر: دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة الثالثة 1407هـ .
([2]) نظم الدرر 1 / 518 .
([3]) الصف 11 .
([4]) الكشاف 1 / 313 .
([5]) البحر المحيط في التفسير لأبي حيان الأندلسي 2 / 666 ، تحقيق: صدقي محمد جميل ، نشر: دار الفكر – بيروت 1420هـ .
([6]) السابق 2 / 667 .

مِنْ أَنْفُسِهِمُ الثَّوَابَ عَلَى تِلْكَ النَّفَقَةِ ، فَيَكُونُ إِذْ ذَاكَ تَثْبِيتُ الثَّوَابِ وَتَحْصِيلُهُ مِنَ اللَّهِ حَامِلًا عَلَى الْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللَّه »[1] ، وقد رجح أبو حيان المعنى الأول، وهو أن أنفسهم تثبتهم على الإنفاق، يقول: «فَالْمَعْنَى - وَاللَّهُ أَعْلَمُ – أَنَّهُمْ يَتْبُتُونَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ عَلَى الْإِيمَانِ بِهَذَا الْعَمَلِ الَّذِي هُوَ إِخْرَاجُ الْمَالِ الَّذِي هُوَ عَدِيلُ الرُّوحِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ابْتِغَاءَ رِضًا ؛ لِأَنَّ مِثْلَ هَذَا الْعَمَلِ شَاقٌّ عَلَى النَّفْسِ، فَهُمْ يَعْمَلُونَ لِتَثْبِيتِ النَّفْسِ عَلَى الْإِيمَانِ، وَمَا تَرْجُو مِنَ اللَّهِ بِهَذَا الْعَمَلِ الصَّعْبِ؛ لِأَنَّهَا إِذَا ثَبَتَتْ عَلَى الْأَمْرِ الصَّعْبِ انْقَادَتْ وَذَلَّتْ لَهُ »[2].

وهكذا تعددت المعاني واختلفت وفقا لتعدد العلاقات النحوية الجائزة والمحتملة بين كلمتي (تثبيتا) ، و(مِن أنفسهم) ، وهي العلاقات التى اعتنى ببيانها المفسرون تمهيدا للوصول للمعنى.

2–قوله تعالى: « وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ » [3].

أجاز النيسابوري في قوله: (المستضعفين) إما أن يكون مجرورا على حذف مضاف، أي: في سبيل الله وفي خلاص المستضعفين ، « وإما منصوب على الاختصاص أي وأخص من سبيل الله الذي هو عام في كل خير خلاص المستضعفين وهم الذين أسلموا بمكة وصدهم المشركون والإعسار والضعف عن الهجرة فبقوا بين أظهرهم أذلاء يلقون منهم أذى شديدا، فكانوا يدعون الله بالخلاص ويستنصرونه فيسر الله لبعضهم الخروج إلى المدينة وبقي بعضهم إلى الفتح »[4]. أي: أنها على الوجه الأخير تكون مرتبطة بعلاقة تعدية بفعل محذوف.

3– قوله تعالى: « إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ »[5] .

([1]) السابق 2 / 666 .
([2]) السابق 2 / 667 .
([3]) النساء 75 .
([4]) تفسير النيسابوري 2 / 448 ، 449 .
([5]) الأنفال 11 .

ذكر البقاعي – أولا – القراءات الواردة في قوله تعالى: (يغشيكم) ، حيث قرأها ابن كثير وأبو عمرو: (يَغْشَاكم) [1] – بفتح ياء المضارعة، وقرأ نافع وأبو جعفر : (يُغْشِيكم) [2] – بضم الياء ، وسكون الغين ، وتخفيف الشين – مضارع (أغشاه) ، وقرأ الباقون: (يُغَشِّيكم) [3] – بضم الياء، وفتح الغين، وتشديد الشين .

ونظرا لأن المعنى لا يتضح إلا بتحديد العلاقات النحوية ، اهتم البقاعي ببيان هذه العلاقات النحوية في قوله تعالى: (يغشيكم النعاس) وذلك على كل قراءة، فبين أنه على القراءة الأولى: يكون (النعاس) فاعلا، ومن ثم يكون الإسناد قد خصص باتجاه من وقع عليه الفعل، وهو المفعول به: الضمير (كم).

أما على القراءة الثانية والثالثة فيكون (النعاس) مفعولا به ثانيا، حيث أسند الفعل (يغشي) إلى ضمير مستتر تقديره (هو) يعود على الله تعالى، وهذا الإسناد قيد بمفعولين : (كُم)، و(النعاس) .

ثم ذكر البقاعي قيدا آخر خصص الإسناد باتجاه آخر، وهو كلمة (أمنةً) التي بينت علة الفعل (يغشي)، يقول البقاعي : « ولما ذكر هذه التغشية الغريبة الخارقة للعوائد، ذكر ما فعلت لأجله فقال: (أمنة) »[4] .

وأجاز أيضا أن يكون التخصيص باتجاه ذكر حال وقوع الفعل ، يتضح ذلك في قوله: « ويصح عندي نصبها على الحال »[5] .

4– قوله تعالى: « وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ »[6] .

يذكر البقاعي أن (الكذب) يجوز فيها أن تكون مفعولا به للفعل (تقول)، وتكون جملة : (هذا حلال وهذا حرام) في محل نصب بدلا من (الكذب)، و(ما) موصولة،

([1]) انظر: النشر في القراءات العشر لابن الجزري 2 / 276 .
([2]) انظر السابق 2 / 276 .
([3]) انظر السابق 2 / 276 .
([4]) نظم الدرر 3 / 192 .
([5]) السابق 3 / 192 .
([6]) النحل 116 .

يقول: « ولما كان تحليلهم وتحريمهم قولاً فارغاً ليس له حقيقة أصلاً، لأنه لا دليل عليه، عبر عنه بأنه وصف باللسان لا يستحق أن يدخل إلى القلب فقال تعالى: (لما تصف) أي لأجل الذي تصفه (ألسنتكم) أي من الأنعام والحروث والزروع. ولما حرك النفس إلى معرفة ما يقال لأجل ذلك، بين مقول ذلك القول فقال تعالى: (الكذب) أي القول الذي هو عين الكذب »[1] .

وجوز أن يكون (الكذب) مفعولا به لـ (تصف)، وتكون (ما) مصدرية ، ثم بين المعنى على هذا الوجه، حيث قال: « ويجوز أن يكون (الكذب) مفعول (تصف) فتكون (ما) مصدرية، أي لوصفها إياه، فكأن حقيقة الكذب كانت مجهولة فلم تعرف إلا بوصف ألسنتهم لها، فهو مبالغة في وصف كلامهم بالكذب، وما بعده مقول القول »[2] .

فالبقاعي هنا يوضح أن كلمة (الكذب) جاءت لتكون قيدا يخصص الإسناد باتجاه ما وقع عليه الفعل، ولكن أجاز وجهين في هذا الإسناد الذي خصص بـ (الكذب) ، حيث أجاز أن يكون إسناد (تقول) إلى واو الجماعة ، وأجاز أن يكون إسناد (تصف) إلى (ألسنة) ، ونظرا لأن المعنى يختلف باختلاف العلاقات النحوية فإنه يذكر المعنى على كل وجه.

وقد تبع البقاعي في تجويزه لهذين الوجهين الكسائي والزجاجَ[3]، إلا أنهما ذكرا وجها ثالثا، وهو أن يكون (الكذب) مفعولا به لـ (تقولوا) و(ما) مصدرية، أي: ولا تقولوا الكذب لأجل وصف ألسنتكم، ومن ثم يكون معنى الآية: « لا تحرموا ولا تحللوا لأجل قول تنطق به ألسنتكم من غير حجة ودليل »[4]، وإلى ذلك أيضا ذهب النيسابوري [5].

وقد جوز أبو البقاء العكبري أن تكون (ما) موصولة والعائد محذوف و(الكذب) بدلا من هذا العائد المحذوف[6]، وقد رد ابن هشام هذا الوجه الأخير فقال: « وَيَردهُ أَن

([1]) نظم الدرر 4 / 319 .
([2]) نظم الدرر 4 / 319 .
([3]) انظر: معاني القرآن للكسائي ص180، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج 3 / 222 .
([4]) البحر المحيط لأبي حيان 6 / 606 .
([5]) انظر تفسير النيسابوري 4 / 313 .
([6]) انظر : التبيان في إعراب القرآن 2/ 809 .

فِيهِ إِطْلَاق مَا على الْوَاحِد من أولي الْعلم»، ورجح أن تكون (ما) مصدرية، ثم ذكر الوجوه السابقة وذكر وجها آخر لـ (الكذب) وهو أن يكون مفعولا لفعل محذوف تقديره: (فتقولون الكذب) [1].

وقد وضح الزمخشري معنى (وصف ألسنتهم الكذب) على كون (الكذب) مفعول (تصف) ، فقال: « فإن قلت: ما معنى وصف ألسنتهم الكذب؟ قلت: هو من فصيح الكلام وبليغه، جعل قولهم كأنه عين الكذب ومحضه، فإذا نطقت به ألسنتهم فقد حلت الكذب بحليته وصوّرته بصورته، كقولهم: وجهها يصف الجمال، وعينها تصف السحر »[2] .

5-قوله تعالى: « ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ »(3).

قريء قوله تعالى: (قول) بالرفع والنصب، وقراءة الرفع هي قراءة الجمهور، وقراءة النصب هي قراءة عاصم وابن عامر[4]، وقد ذكر النيسابوري والبقاعي العلاقات النحوية التي ترتبط بواسطتها الكلمات على كل قراءة، وربطا بين ذلك والمعنى.

أما النيسابوري فقد ذكر أن انتصاب (قول) في قراءة النصب على المدح إن كان المراد بـ (الحق) هو اسم الله، « وإن كان بمعنى الثابت والصدق فانتصابه على أنه مصدر مؤكد لمضمون الجملة المتقدمة كقولك «هو عبد الله الحق» وقَوْلَ الْحَقِّ من إضافة الموصوف إلى الصفة مثل حَقُّ الْيَقِينِ»[5].

وأما البقاعي فقد ذكر أن (قول): « على هذه القراءة-أي:قراءة الرفع- خبر بعد خبر أو بدل أو خبر مبتدأ محذوف، وعلى قراءة عاصم وابن عامر بالنصب، هو اغراء، أي الزموا ذلك وهو نسبته إلى مريم عليهما السلام وحدها »[6].

([1]) مغني اللبيب ص822 .
([2]) الكشاف 2 / 641 .
([3]) مريم 34 .
[4] انظر: السبعة في القراءات لابن مجاهد ، تحقيق د/ شوقي ضيف ص409 ، وحجة القراءات لأبي زرعة ص443 .
([5]) تفسير النيسابوري 4 / 484 .
([6]) نظم الدرر 4 / 532 .

6- قوله تعالى: « فَجَعَلْنَاه هَبَاءً مَنْثُورًا »[1] .

يذكر البقاعي أن قوله تعالى: (منثورا) صفة، ثم يذكر ما قيل حولها من وجه آخر وهو كونها: مفعولا به ثالثا لجعل، يقول:«وقيل: مفعول ثالث لجعل »[2] أي أنها جاءت تخصيصا للإسناد في (ترى) باتجاه المفعول به الثالث ، ثم يبين المعنى الناتج عن هذه العلاقة النحوية التي ذكرها، وهي كون (منثورا) تخصيصا للإسناد ، فيقول: « أي جعلنا الأعمال جامعة لحقارة الهباء والتناثر»[3].

7- قوله تعالى : « لِتُنْذِرَ قَومًا مَا أُنْذِرَ آباؤهم فَهُم غافِلُون »[4] .

يذكر البقاعي معنى هذه الآية، فيقول: « (ما أنذر) أي لم ينذر أصلاً (آباؤهم) أي الذين غيروا دين أعظم آبائهم إبراهيم – عليه السلام – ومن أتى بعدهم عند فترة الرسل ، ولما كان عدم الإنذار موجباً لاستيلاء الحظوظ والشهوات على العقل فيحصل عن ذلك الغفلة عن طريق النجاة قال: (فهم) أي بسبب زمان الفترة (غافلون) »[5] .

وبعد أن ذكر هذا المعنى جوز علاقة نحوية أخرى بين (ما)، والإسناد في قوله: (تنذر)، وهي كون (ما) موصولة قد خصصت الإسناد في(تنذر) باتجاه مفعول به ثان ، ثم يذكر المعنى الناتج عن هذه العلاقة النحوية ، فيقول : « المعنى على ان «ما» مفعول ثان لتنذر: أي لتنذرهم الذي أنذره آباؤهم الذين كانوا قبل التغيير، فإن هؤلاء غافلون عن ذلك لطول الزمان وحدوث النسيان»[6] .

8- قوله تعالى « وَإِذَا قِيلَ لَهُم ماذا أَنْزَلَ رَبُّكم قَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِين »(7).

وقوله تعالى : « وَقِيلَ لِلَّذينَ اتَّقَوا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُم قَالُوا خَيْرًا »(8) .

---

(1) الفرقان 23 .
(2) نظم الدرر 5 / 311 .
(3) السابق 5 / 311 .
(4) يس 6 .
(5) نظم الدرر 6 / 245 .
(6) السابق 6 / 245 .، وانظر تفسير النيسابوري 5 / 525 .
(7) النحل 24 .
(8) النحل 30 .

نلاحظ أن كلمة (أساطير) في الآية الأولى جاءت بالرفع ، حيث وقعت خبرا لمبتدأ محذوف تقديره: (هي)، أي: قالوا هي أساطير الأولين.

أما في الآية الثانية فقد جاءت كلمة (خيرا) مفعولا به لفعل محذوف تقديره: (أنزل)، أي: قالوا أنزل خيرا.

ففي الآية الأولى علاقة إسناد بين كلمتي (هي) المحذوفة، و(أساطير الأولين)، حيث أسندت الثانية إلى الأولى، ولم يقيد الإسناد بشيء.

وفي الآية الثانية علاقة إسناد بين (أنزل) والضمير المستتر العائد على الله تعالى، وقد قيد هذا الإسناد باتجاه ما وقع عليه الفعل، وهو المفعول به.

وهنا يقارن البقاعي بين هاتين العلاقتين النحويتين دلاليا، حيث يذكر الدلالة الناتجة عن كل علاقة وسبب اختيار هذه العلاقة، فيقول: « وإنما أطبق القراء على نصب هذا ورفع الأول فرقاً بين جوابي المقر والجاحد بمطابقة المقر بين الجواب والسؤال، وعدول الجاحد بجوابه عن السؤال »[1] .

إذًا نتج هذا الفرق الدلالي بين جواب المؤمنين وجواب الكفار عن العلاقة النحوية التي قامت في كل من الجوابين .

9-قوله تعالى: « قُلْ لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ »[2].

في هذه الآية الكريمة ذكر البقاعي دلالة علاقة التعدية في قوله: (يحفظوا فروجهم)، حيث تعدى الفعل إلى المفعول (فروجهم) بنفسه، وقارن بين مجيء التركيب على هذه العلاقة، ومجيئه على علاقة الإضافة في قوله: (يغضوا من أبصارهم)، حيث تعدى الفعل بواسطة حرف الجر، يقول: « ولما كان الأمر في غاية العسر ، قال: (من أبصارهم) بإثبات (مِنْ) التبعيضية إشارة إلى العفو عن النظرة الأولى، وأن المأخوذ به إنما هو التمادي ، ولما كان البصر بريد الزنى قدَّمه.

([1]) نظم الدرر 4 / 263 .

[2] النور 30 .

ولما كان حفظ الفرج لخطر المواقعة أسهل من حفظ البصر، ولأنه لا يفعل به من غير اختبار، حذف (مِنْ) لقصد العموم فقال: (ويحفظوا فروجهم)، أي: عن كل حرام من كشف وغيره »[1].

فذكر حرف الجر (مِنْ) قبل (أبصارهم) للدلالة على أن المنهي عنه هو التمادي في النظر المحرم؛ لأن حفظ البصر بصورة كاملة أمر عسير، فجيء بحرف الجر الذي يفيد التبعيض للدلالة على أن النظرة الأولى التي تقع دون قصد ليس عليها مأخذ، أما النظر الذي فيه تمادٍ فهو محرم وعليه إثم.

وقد وردت كثير من الآيات التي ورد فيها تخصيص الإسناد باتجاه المفعول به مع تغير رتبته بتقديمه على الفعل فقط أو الفعل والفاعل معا، أو مع حذفه، وهنا توقف المفسرون إزاء هذه الآيات مبينين هذه المخصصات وما طرأ عليها من تغيير رتبتها مع ربط ذلك بالمعنى، ومن ذلك الآيات التالية:

1-قوله تعالى: « أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ »[2].

ارتبطت كلمة (يعقوب) بالفعل هنا بعلاقة تعدية، حيث وقعت مفعولا به مقدما على الفاعل وهو قوله: (الموت)، وقد بين ابن عرفة دلالة هذا التقديم فقال: « وتقديم يعقوب وهو مفعول على الموت للاهتمام لأنّ الآية (نزلت) في معرض إقامة الحجة على الكفار وإقامة الحجة إنما هي بإسناد الأمر إلى يعقوب لا للموت »[3].

2-قوله تعالى: « أَفَغَيْرَ دِينِ اللهِ يَبْغُون »[4].

ذكر البقاعي عند تفسيره لهذه الآية دلالة تقديم المفعول به (غير) على الفعل (يبغون)، فقال: « وأورد بأن تقديم (غير) يفهم أن الإنكار منحط على طلبهم اختصاصاً

---

[1] نظم الدرر 5 / 255 .
[2] البقرة 133 .
[3] تفسير ابن عرفة 1 / 422 .
[4] آل عمران: 83 .

لغير دين الله ، وليس ذلك هو المراد كما لا يخفى،وأجيب بأن تقديمه للاهتمام بشأنه في الإنكار،والاختصاص متأخرٌ مراعاتُه عن نكتة غيره »[1].

فالبقاعي هنا يذكر ما أورده بعض المفسرين من تعارض تقديم المفعول به في هذه الآية والمعنى؛ لأن تقديمه يفهم أن الإنكار منصب على طلبهم أن يكونوا مختصين بغير دين الله، وهذا غير مراد؛ لأن الإنكار عام لكل من طلب دينا غير دين الله، ثم يذكر البقاعي ما أجيب به عن ذلك، وهو أن التقديم هنا للاهتمام.

3-قوله تعالى: « قلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّاً »[2].

ذكر البقاعي في هذه الآية ما أفاده تقديم المفعول به الأول (غير) المرتبط بالفعل (أتخذ) بعلاقة تعدية، فقال: « ولما كان الإنكار منصباً إلى كون الغير متخذاً، لا إلى اتخاذ الولي ، أولى (غير) الهمزة فقال : (أغير الله) »[3]. أي أن التقديم هنا أفاد التخصيص؛إذ إن المفعول به هو محل الإنكار، لذا قُدِّم.

4- قوله تعالى: « قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ »[4].

ذكر النيسابوري أن كلمة (ما) ترتبط بما قبلها بعلاقة تعدية، ولكنه جوز وجهين فيما يخص الحدث الذي قيدته كلمة (ما) وذكر المعنى على كل وجه، فهي مخصصة إما للفعل (أتلو) « أي أتل الذي حرمه ربكم فالعائد محذوف. وقوله: عَلَيْكُمْ يكون متعلقا بـ (أَتْلُ) أو بـ (حَرَّمَ)، وإما منصوب ب حَرَّمَ على أن «ما» استفهامية فلا راجع. والمعنى أقل أي شيء حرم لأن التلاوة نوع من القول »[5]، كما بين النيسابوري دلالة تقديم المفعول به هنا وهو قوله:(ما) على الجار والمجرور(عليكم) وذلك إذا كان متعلقا بالفعل(أتلو)،فقال:«وتقديم المفعول للتخصيص »[6].

---

(1) نظم الدرر 2 / 120 .
(2) الأنعام 14 .
(3) نظم الدرر 2 / 596 .
(4) الأنعام 151 .
(5) تفسير النيسابوري 3 / 376 .
(6) تفسير النيسابوري 3 / 376 .

5–قوله تعالى: « أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَه هواه »[1].

ذكر جلال الدين المحلي في تفسيره لهذه الآية أن المفعول به الثاني – وهو قوله: (إلهه) – قُدِّم على المفعول الأول – وهو قوله: (هواه)، وعلل ذلك بقوله: « لأنه أهم »[2].

6–قوله تعالى: « حَتَّىٰ إِذا حَضَرَ أَحَدَهم الموتُ قالَ إِنِّى تُبْتُ الآنَ »[3].

تقدم المفعول به في هذه الآية وهو قوله: (أحدهم) على الفاعل وهو قوله: (الموت)، وقد ذكر البقاعي دلالة ذلك فقال: « ولما كان تقديم المفعول – على وجه يجوّز لكل سامع وقوعه عليه – أهول ، لكونه يصير مرتقباً حال فاعله ، خائفاً من عاقبته قال : (أحدهم الموت) »[4]. وقد ذكر البقاعي هذه الدلالة أيضا عند تفسيره لقوله تعالى: « حَتَّىٰ إِذا جاءَ أحدَكم الموتُ تَوَفَّتْه رُسُلُنا وهم لا يُفَرِّطون»[5]، يقول: «ولما كان تقديم المفعول أخوف قال: (أحدكم الموت) »[6].

وذكر أيضا هذه الدلالة عند تفسيره لقوله تعالى: « وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ »[7]، يقول: « ولما كان تقديم المفعول – كما تقدم في النساء – أهول قال : (أحدكم الموت) »[8].

7–قوله تعالى: « لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلاَ دِمَآؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ »[9].

بين البقاعي هنا دلالة تقديم المفعول وهو لفظ الجلالة (الله) على الفاعل وهو قوله: (لحومها) فقال: « ولما كان السياق للحث على التقريب له سبحانه ، كان تقديم

([1]) الفرقان 43 .
([2]) تفسير الجلالين ص475 .
([3]) النساء 18 .
([4]) نظم الدرر 2/ 228 .
([5]) الأنعام 61 .
([6]) نظم الدرر 2/ 649 .
([7]) المنافقون 10 .
([8]) نظم الدرر 7/ 615 .
([9]) الحج 37 .

اسمه على الفاعل أنسب للإسراع بنفي ما قد يتوهم من لحاق نفع أو ضر، فقال معبراً بالاسم العلم الذي حمى عن الشركة بكل اعتبار: (الله) »[1].

8–قوله تعالى: « قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّى أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ »[2].

علل البقاعي تقديم المفعول به في هذه الآية، وهو قوله تعالى: (غير) على الفعل (أعبد)، فقال: « ولما كان مقام الغيرة يقتضي محو الأغيار ، وكان الغير إذا انمحى تبعه جميع أعراضه، قدم (الغير) المفعول لـ (أعبد) المفعول – على تقدير (أنْ) – لـ (تأمر) فقال: (أفغير الله) أي الملك الأعظم »[3].

ويقصد البقاعي بكلامه هذا أن (غير) مفعول به تقدم على الفعل (أعبد)، وأن الفعل (أعبد) مفعول للفعل (تأمروني) على تقدير (أن أعبد).

9–قوله تعالى: « أَإِفْكاً آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ »[4].

ذكر البقاعي أن تقديم المفعول به (إفكا) في هذه الآية على الفعل (تريدون) أفاد التخصيص[5].

10–قوله تعالى: « فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ»[6].

ذكر البقاعي أن مفعول الفعل (فصل) محذوف، ونظرا لكثرة حذفه بعد هذا الفعل صار كاللازم، يقول: « (فلما فصل): من الفصل وهو انقطاع بعض من كل، وأصله: فصل نفسه أو جنده – أو نحو ذلك، ولكنه كثر حذف المفعول للعلم به فصار يستعمل استعمال اللازم »[7].

---

(1) نظم الدرر 5/ 155 .
(2) الزمر 64 .
(3) نظم الدرر 6/ 467 .
(4) الصافات 86 .
(5) انظر: نظم الدرر 6/ 322 .
(6) البقرة 249 .
(7) نظم الدرر 1 / 476 .

11-قوله تعالى: « وَهَـٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ »[1].

في هذه الآية الكريمة حذف مفعول الفعل (واتقوا)، وقد علل البقاعي هذا الحذف دلاليا فقال: « ولما أمر باتباعه وكان الإنسان ربما تبعه في الظاهر، أمر بإيقاع التقوى المصححة للباطن إيقاعاً عاماً، ولذلك حذف الضمير فقال: (واتقوا) أي ومع ذلك فأوقعوا التقوى ، وهي إيجاد الوقاية من كل محذور »[2].

أي أن المفعول به حذف هنا لعدم الحاجة إليه؛ إذ إن المقصود إيقاع التقوى مجردة من غير نظر إلى المفعول به، وتلك التقوى هي التي تمنع الإنسان من اتباع القرآن في الظاهر فقط، بل تجعله يتبعه ظاهرا وباطنا.

12-قوله تعالى: « لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ »[3].

الفعل (أوضع) الذي ورد في الآية الكريمة أصله من (إيضاع الخيل)، وهو الإسراع بها في السير، يقال: أوضع الرجلُ الناقة – إذا جد بها وأسرع[4]، وعلى هذا يكون هناك مفعول به محذوف في الآية، والتقدير: (ولأوضعوا خيلهم بينكم يبغونكم الفتنة)، أي: لأسرعوا في السير بخيلهم بينكم، وقد حذف المفعول به

هنا لعدم تعلق غرض الكلام به، وهذا ما أشار إليه البقاعي في قوله: « حذف المفعول إشارة إلى أن مرادهم الأيضاع نفسه لا بقيد دابة، وعبر بالإيضاع لأنه للراكب وهو اسرع من الماشي (خلالكم) أي: لأسرعوا في السير ذهاباً وإياباً بينكم في تتبع عوراتكم وانتظار زلاتكم ليجدوا منها مدخلاً إلى الفساد بالنميمة وغيرها إن لم يجدوها ، والإيضاع في السير يكون برفق ويكون بإسراع، والمراد به هنا الإسراع »[5].

([1]) الأنعام 155 .
([2]) نظم الدرر 2 / 747 .
([3]) التوبة 47 .
([4]) انظر: لسان العرب لابن منظور ، طبعة دار صادر – بيروت 8 / 396 .
([5]) نظم الدرر 3 / 329 .

13–قوله تعالى: « لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لاَ يَسْمَعُونَ »[1].

ربط البقاعي هنا بين حذف مفعول الفعل (يسمعون) والمعنى، فذكر أن حذف المفعول هنا أفاد العموم، يقول: « وهم فيها لا يسمعون (حذف المتعلق تعميماً لكل مسموع »[2].

14–قوله تعالى: « فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ »[3].

في هذه الآية الكريمة حذف المفعول به، وهو الضمير المتصل بالفعل (أنزلت) العائد على الموصول، وقد أشار البقاعي إلى هذا الحذف وبين دلالته فقال « ولعله حذف العائد اختصاراً لما به من الإعياء »[4].

15–قوله تعالى: « أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لاَّ تُغْنِ عَنِّى شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلاَ يُنقِذُون إِنِّى إِذاً لَّفِى ضَلاَلٍ مُّبِينٍ»[5].

قرأ ورش قوله تعالى: (ولا ينقذون) بحذف ياء المتكلم الواقعة في محل نصب مفعولا به، وذلك في حالة الوقف، وقرأ بإثباتها وصلا ، أما يعقوب فقد قرأها بإثبات الياء وصلا ووقفا[6]، وقد بين البقاعي المعنى الناتج عن كل قراءة، يقول: « (ولا ينقذون)، أي: من مصيبته – إن دعا الأمر إلى المشاقة بما أراد فإنه بمجرد إرادته يكون مراده إنفاذًا ضعيفاً – بما أشار إليه من حذف الياء، ولا شديداً – بما دل عليه مَنْ أثبتها ظاهراً خفياً »[7].

([1]) الأنبياء 100 .
([2]) نظم الدرر 5 / 114 .
([3]) القصص 24 .
([4]) نظم الدرر 5 / 477 .
([5]) يس 24 .
([6]) انظر: النشر في القراءات العشر لابن الجزري 2/ 190 ، 192 .
([7]) نظم الدرر 6 / 254 .

وقد ذكر البقاعي أيضا دلالة إثبات الياء وحذفها في قوله تعالى: « فاسمعون »، يقول: « (فاسمعون) أي: سماعاً إن شئتم أشعتموه ، وإن شئتم كتمتموه – بما دل عليه حذف الياء وإثباتها »[1].

16–قوله تعالى: « وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى الآخِرِينَ »[2].

ذكر البقاعي أن مفعول الفعل (ترك) محذوف، أي: وتركنا عليه ثناء حسنا، وقد حذف هذا المفعول حتى صار الفعل لازما « فصار المعنى : أوقعنا عليه الترك بشيء هو من عظمته وحسن ذكره بحيث يعز وصفه (في الآخرين) أي كل من تأخر عن زمانه إلى يوم الدين »[3].

([1]) نظم الدرر 6 / 254 .
([2]) الصافات 78 .
([3]) نظم الدرر 6 / 319 .

المبحث الثاني
علاقـة التحديد والتوكيد

وتنشأ هذه العلاقة بين الفعل والمفعول المطلق، حيث يؤكد المفعول المطلق الفعل ويحدده، ومن ذلك الآيات التالية:

1–قوله تعالى: « وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ »(1).

في هذه الآية الكريمة ارتبطت كلمة (غفرانك) بفعل محذوف بعلاقة تخصيص حيث قيدت هذا الفعل المحذوف باتجاه توكيده، يقول النيسابوري: « غُفْرانَكَ مصدر منصوب بإضمار فعله أي اغفر »[2].

وقد ذكر وجها آخر وهو كون (غفرانك) مفعولا به لفعل محذوف، أي قيد الفعل المحذوف باتجاه المفعولية، وربط بين ذلك والمعنى، ثم ذكر أن الأشهر هو الوجه الأول فقال: « وقيل: معناه نسألك غفرانك فيكون مفعولا به. والأشهر أنه مصدر حذف فعله وجوبا لكثرة الاستعمال وللاستغناء به عن فعله نحو: سقيا ورعيا»[3].

2– قوله تعالى: « وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جانبٍ دُحُورًا »(4) .

أجاز النيسابوري في قوله تعالى: (دحورا) ثلاثة أوجه فقال: « دُحُوراً أي طردا مع صغار مصدر من غير لفظ الفعل، لأن القذف والطرد متغايران كأنه قيل: يقذفون قذفا أو يدحرون دحورا. ويجوز أن يكون مفعولا له أي لأجل الدحور أو مصدرا في موضع الحال أي مدحورين»[5].

فيفهم من كلامه أن علاقة (دحورا) بما قبلها أنها خصصت الإسناد في (يقذفون) ، ولكن هذا التخصيص يجوز فيه ثلاثة اتجاهات : أحدها أن يكون باتجاه

---

(1) البقرة 285 .
(2) تفسير النيسابوري 2 / 89 .
(3) تفسير النيسابوري 2 / 89 .
(4) الصافات 8 .
(5) تفسير النيسابوري 5 / 556 .

تأكيد المعنى ، وثانيها أن يكون باتجاه ذكر علة الفعل ، وثالثها أن يكون باتجاه ذكر حال وقوع الفعل .

وقد ذكر البقاعي أيضا هذه الوجه الثلاثة وربط بينها وبين المعنى فقال: « تكون مفعولا مطلقا، أو مفعولا له، أو حالا، يقول: « (دحوراً) أي قذفاً يردهم مطرودين صاغرين مبعدين، فهو تأكيد للقذف بالمعنى أو مفعول له أو حال »[1] .

3- قوله تعالى : « فَبِظُلْمٍ مِنَ الذينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِم طَيِّباتٍ أُحِلَّتْ لهم وَبِصَدِّهم عَنْ سَبيلِ اللهِ كَثيرا »[2] .

يجيز هنا البقاعي أن يكون قوله تعالى: (وبصدهم) قاصرا ومتعديا ، فلو كان قاصرا كان الإسناد في قوله : (وبصدهم) مخصصا باتجاه تأكيد الفعل ، ولكن حذف المصدر المؤكِّد ، وبقيت (كثيرا) صفة المصدر المحذوف، أي: صدا كثيرا. ولو كان متعديا كان الإسناد مخصصا باتجاه من وقع عليه الفعل ، وهو المفعول به: (كثيرا) ، يقول البقاعي : « و(صد) يجوز أن يكون قاصراً فيكون (كثيراً) صفة مصدر محذوف، وأن يكون متعدياً فيكون مفعولاً به »[3].

والمعنى بناء على هذا الوجه الأخير – كما يقول البقاعي : « وصدهم كثيراً من الناس بالإضلال عن الطريق ، فمُنِعوا مستلذات تلك المآكل بما مَنَعوا أنفسهم وغيرهم من لذاذة الإيمان »[4] .

4- قوله تعالى: « إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ۝31 حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ۝32 وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ۝33 وَكَأْسًا دِهَاقًا ۝34 لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا ۝35 جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا »[5].

---

(1) نظم الدرر 6 / 294 .
(2) النساء 160 .
(3) نظم الدرر 2 / 366 .
(4) السابق 2 / 366 .
(5) النبأ 31 – 36 .

عُني النيسابوري في هذه الآية الكريمة ببيان علاقة قوله: (جزاء) بما قبله، فذكر أنها ترتبط بقوله: (إن للمتقين مفازا) بعلاقة التوكيد، حيث وقعت مصدرا منصوبا مؤكدا لهذه الآية، ونقل ذلك عن الزمخشري، يقول النيسابوري: « قال جار الله: جَزاءً مصدر مؤكد منصوب بمعنى قوله إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفازاً كأنه قال: جازى المتقين بمفاز وعَطاءً نصب ب جَزاءً نصب المفعول به أي جزاهم عطاء »[1].

هذا وقد ارتبط قوله: (حدائق) بعلاقة تبعية مع قوله: (مفازا) حيث جاءت حدائق بدلا من مفازا، ثم عطف على قوله: (حدائق) قوله: (كواعب) و(كأس).

([1]) تفسير النيسابوري 6 / 434 ، وانظر قول الزمخشري في الكشاف 4 / 690 .

المبحث الثالث

علاقة الغائية

وهي علاقة نحوية تكون بين الفعل والمفعول لأجله، حيث يأتي هذا الأخير لبيان علة الفعل، ومن ذلك الآيات التالية:

1- قوله تعالى : « أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا »[1] .

ترتبط كلمة (صفحا) في هذه الآية بالإسناد في قوله (أفنضرب) بعلاقة التخصيص ، ولكن البقاعي يجوز وجهين فيما يخص اتجاه هذا التخصيص :

الأول : أن يكون باتجاه ذكر علة الفعل ، يتضح ذلك في قول البقاعي: « فهو مفعول له »[2]، ثم يذكر المعنى على هذا الوجه فيقول : « أي نضرب لأجل إعراضنا عنكم »[3] .

الثاني: أن يكون باتجاه الظرفية ، يتضح ذلك في قوله: « أو يكون ظرفاً بمعنى جانباً »[4] ، ويذكر أيضا المعنى على هذا الوجه فيقول: « أي نضربه عنكم جانباً »[5].

2- قوله تعالى : « اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا »[6] .

خصصت كلمة (شكرا) الإسناد في قوله تعالى: (اعملوا) ، وقد جوز البقاعي أربعة أوجه فيما يخص اتجاه التخصيص، حيث يجوز أن يكون باتجاه ذكر العلة، فتكون مفعولا له، ويجوز أن يكون باتجاه الحالية فتكون حالا، ويجوز أن يكون باتجاه تأكيد الفعل من غير لفظه فتكون مفعولا مطلقا ؛ لأن الفعل (اعملوا) فيه معنى (اشكروا) ، أو يكون باتجاه المفعول به، فتكون مفعولا به للفعل (اعملوا) .

([1]) الزخرف 5 .
([2]) نظم الدرر 7 / 6 .
([3]) السابق 7 / 6 .
([4]) السابق 7 / 6 .
([5]) السابق 7 / 6 .
([6]) سبأ 13 .

يقول البقاعي ذاكرا هذه الأوجه السابقة رابطا بينها وبين المعنى : « (شكرا) أي لأجل الشكر له سبحانه ، وهو تعظيمه في مقابلة نعمه ليزيدكم من فضله أو النصب على الحال أي شاكرين ، أو على تقدير : اشكروا شكراً ، لأن (اعملوا) فيه معنى (اشكروا) من حيث إن العمل للمنعم شكر له، ويجوز أن تنتصب باعملوا مفعولاً بهم معناه أنا سخرنا لكم الجن يعملون لكم ما شئتم فاعملوا أنتم شكراً – على طريق المشاكلة »[1] .

3– قوله تعالى: « سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ »[2].

بين جلال الدين المحلي علاقة قوله: (رجما) بما قبله، حيث ذكر أنها مفعول له، أي أنها ترتبط بما قبلها بعلاقة تخصيص باتجاه بيان سبب ما قاله المتنازعون بشأن الفتية، يقول جلال الدين المحلي: « (سَيَقُولُونَ) أَيْ الْمُتَنَازِعُونَ فِي عَدَد الْفِتْيَة فِي زَمَن النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيْ يَقُول بَعْضهمْ هُمْ (ثَلَاثَة رَابِعهمْ كَلْبهمْ وَيَقُولُونَ) أَيْ بَعْضهمْ (خَمْسَة سَادِسهمْ كَلْبهمْ) وَالْقَوْلَانِ لِنَصَارَى نَجْرَان (رَجْمًا بِالْغَيْبِ) أَيْ ظَنًّا فِي الْغَيْبَة عَنْهُمْ وَهُوَ رَاجِع إلَى الْقَوْلَيْنِ مَعًا وَنَصْبهُ عَلَى الْمَفْعُول لَهُ أَيْ لِظَنِّهِمْ ذَلِكَ »[3]، وبين دلالة هذا المفعول له الذي جاء بعد القولين الأولين اللذين صدرا عن نصارى نجران، دون القول الثالث الذي صدر عن المؤمنين، فقال: « وَوَصْف الْأَوَّلَيْنِ بِالرَّجْمِ دُون الثَّالِث دَلِيل عَلَى أَنَّهُ – أي القول الثالث – مَرْضِيّ وَصَحِيح »[4].

4–قوله تعالى: « فَتَرَى الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِى أَنفُسِهِمْ

([1]) نظم الدرر 6 / 164 .
([2]) الكهف 22 .
([3]) تفسير الجلالين ص384 .
([4]) تفسير الجلالين ص384 .

نَادِمِينَ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُواْ أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَاسِرِينَ »(1) .

في هذه الآية الكريمة جاء الفعل المضارع (يصبحوا) منصوبا بعد الفاء الواقعة في جواب الرجاء (عسى أن يأتي الله بالفتح أو أمر من عنده)، وهذا الفعل المضارع المنصوب قد قيد الإسناد باتجاه الغاية منه، ونصب المضارع بعد الفاء في جواب الرجاء يكون حملا للرجاء على التمني، ولذلك يرى البقاعي أن النصب هنا له دلالة ، وهي الإشارة إلى ما يخفيه المنافقون في أنفسهم من كون الفتح وندامتهم عليه من قبيل المحال(2)، ومثله ما جاء في الآية التالية.

5- قوله تعالى: « وَقَالَ فِرْعَوْنُ ياهَامَانُ ابْنِ لِى صَرْحاً لَّعَلِّى أَبْلُغُ الأَسْبَابَ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى »(3) .

ففي هذه الآية الكريمة علل فرعون طلبه من هامان بناء الصرح بالترجي: (لعلي أبلغ الأسباب) الذي لا يكون إلا في الممكن، وهو « دليل على أنه كان يلبس على قومه وهو يعرف الحق ، فإن عاقلاً لا يعد ما رامه في عداد الممكن العادي»، ثم جاء الجواب، وهو الفعل المضارع (أطلع) منصوبا بعد الفاء في قراءة حفص عن عاصم حملا، « تنبيهاً على أن ما أبرزه الخبيث في عداد الممكن إنما هو تمني محال غير ممكن في العادة »(4) .

فنفهم من كلام البقاعي على هذه الآية والآية التي قبلها أن نصب المضارع بعد الفاء في جواب الرجاء يكون حملا للرجاء على التمني، وهذا الحمل يشرب الرجاء معنى التمني، ففي الآية الأولى تضمن الرجاء المؤكد وقوعه من الله تعالى معنى التمني للدلالة على أن ما رجاه الله – تعالى – من الفتح وندامة المنافقين عليه أمر يعده المنافقون من

---

(1) المائدة 52 ، 53 .
(2) انظر: نظم الدرر 2 / 481 .
(3) المائدة 52 ، 53 .
(4) نظم الدرر 6 / 515 .

قبيل المحال، وفي الآية الثانية تضمن الرجاء معنى التمني للدلالة أن ما عده فرعون ممكنا وقوعه هو في الحقيقة من قبيل المحال، ولا يمكن وقوعه في العادة.

6-قوله تعالى:«وَالَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لاَ يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ»(1) .

نُصب في هذه الآية الفعل المضارع (يموتوا) بعد الفاء في جواب النفي، ولذلك فهو قيد على علاقة الإسناد باتجاه الغاية، أي: لا يقضى عليهم فيترتب على ذلك القضاء موتهم، ويرى البقاعي أن في نصب المضارع الواقع غاية لعلاقة الإسناد دلالة ، وهي أن نفي موتهم مترتب على نفي القضاء بموتهم، ومعنى ذلك أن الموت مترتب على القضاء بالموت أولا، فلو رفع لكان معنى ذلك « أن موتهم ينبغي إن قضي عليهم أو لم يقض وذلك محال »(2) .

ويقارن دلاليا بين النصب هنا وبين الرفع في قوله تعالى: « ولا يؤذن لهم فيعتذرون »(3) ، فيرى أن الفعل (يعتذرون) جاء بالرفع في هذه الآية الأخيرة؛ لأن«المراد أنه لا يوجد لهم إذن ولا يوجد منهم اعتذار من غير أن ينظر إلى تسببه عن عدم الإذن لئلا يفهم أن لهم عذراً ولكنهم لم يبدوه لعدم الإذن »(4)،فلو نصب هنا« لدل على أن السبب في عدم اعتذارهم عدم الإذن فينقض المعنى»(5).

---

(1) فاطر 36 .
(2) نظم الدرر 6 / 229 .
(3) المرسلات 36 .
(4) نظم الدرر 8 / 289 .
(5) السابق 8 / 289 .

المبحث الرابع
علاقة الظرفية

وتكون هذه العلاقة النحوية بين الفعل أو الاسم والظرف، حيث يأتي الظرف: زمانا كان أو مكانا لتقييد الإسناد باتجاه زمان أو مكان معين، وقد اهتم مفسرو القرن التاسع الهجري ببيان الظروف والبحث عما تتعلق به هذه الظروف؛ لأن المعنى لا يتضح إلا ببيان الظرف ومتعلَّقه لقوة العلاقة النحوية بينهما، حيث إن الظرف يمثل الزمان أو المكان الذي يقع فيه المتعلق (الحدث)، ومن ذلك الآيات التالية:

1-قوله تعالى: « سُبْحانَ الذى أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ المَسْجِدِ الحرامِ إلى المسجِدِ الأَقْصَىٰ»[1].

في هذه الآية الكريمة جاءت كلمة (ليلا) لتقيد الإسناد في قوله: (أسرى) باتجاه زمن حدوث الفعل، فهي هنا: ظرف زمان منصوب، وعلامة نصبه الفتحة، وهذا القيد المتمثل في ظرف الزمان لا يخلو من دلالة، يقول البقاعي موضحا هذه الدلالة: « ولما كان الإسراء هو السير في الليل ، وكان الشيء قد يطلق على جزء معناه بدلالة التضمن مجازاً مرسلاً ، نفي هذا بقوله تعالى: (ليلاً)، وليدل بتنوين التحقير على أن هذا الأمر الجليل كان في جزء يسير من الليل ، وعلى أنه عليه الصلاة والسلام لم يحتج – في الإسراء والعروج – إلى سدرة المنتهى وسماع الكلام من العلي الأعلى – إلى رياضة بصيام ولا غيره ، بل كان مهيئاً لذلك متأهلاً له ، فأقامه تعالى من الفرش إلى العرش »[2] .

وقد عُني السيوطي أيضا ببيان علاقة قوله: (ليلا) بما قبلها، فبين أنها منصوبة على الظرفية الزمانية، أي أنها قيدت علاقة الإسناد باتجاه زمن حدوث الفعل، ولم يكتف بذلك بل بين أيضا دلالة هذه العلاقة النحوية، يقول: « (ليلا) نصب على الظرف والإسراء سير الليل وفائدة ذكره الإشارة بتنكيره إلى تقليل مدته »[3].

([1]) الإسراء 1 .
([2]) نظم الدرر 4 / 328 .
([3]) تفسير الجلالين ص364 .

2- قوله تعالى: « أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا 9 إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ »[1].

اهتم النيسابوري بتحديد ما يتعلق به الظرف (إذ)، أي بتحديد الإسناد الذي قيده هذا الظرف،أهو قوله: (حسبت) أم (اذكر) مقدرا وذلك على حسب ما يقتضيه المعنى، فقال: « منصوب بإضمار « اذكر » لا بـ (حسبت) لفساد المعنى »[2].

3-قوله تعالى: « وَإِذ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ »[3].

قيد الظرف (فوقهم) الإسناد في هذه الآية باتجاه الظرفية المكانية، وفائدة هذا الظرف الذي جاء بدون أن يسبق بحرف الجر (من): « ولما كان مستغرقاً لجميع الجهة الموازية لعساكرهم ، حذف الجار فقال: (فوقهم) »[4]، أي أن حرف الجر (من) الذي يفيد التبعيض لو كان دخل على الظرف لكان المعنى أن الجبل لم يكن مستغرقا لجميع الجهة الموازية لعساكرهم.

4-قوله تعالى: « يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم»[5].

هذه الآية مثل سابقتها حيث قيد الظرف (بين) الإسناد باتجاه الظرفية المكانية، وقد جاء بدون أن يسبق بحرف الجر (من) الدال على التبعيض وذلك للدلالة على إحاطة النور بهم من كل الجوانب، وحيثما توجهوا[6].

5-قوله تعالى: « وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشاً فَنَقَّبُواْ فِي الْبِلاَدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ »[7].

([1]) الكهف 9 ، 10 .
([2]) تفسير النيسابوري 5 / 158 .
[3] الأعراف 171 .
[4] نظم الدرر 3 / 147 .
[5] الحديد 12 .
[6] انظر: نظم الدرر 7 / 443 .
[7] ق 36 .

ذكر البقاعي دلالة الظرف (قبل) الذي يتعلق بالفعل (أهلكنا) بعلاقة تخصيص باتجاه الظرفية الزمانية، وقد جاء غير مسبوق بحرف الجر (مِنْ)، فبين أن ذلك يدل على أن كل من كان قبل قريش كانوا أقوى منهم »[1].

وقارن بين حذف حرف الجر هنا وذكره في قوله تعالى: « كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوْا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ »[2]، فبين أن سبب ذكر حرف الجر في آية سورة ص هو الدلالة على أن المهلكين الذين اتصفوا بالنداء المذكور وهو قولهم: (ولات حين مناص) ليسوا كل المهلكين، بل بعضهم، أي أن بعض المهلكين نادى بهذا النداء، ولو لم يذكر حرف الجر (من) لدل ذلك على أن كل المهلكين اتصفوا بالنداء بقولهم: (ولات حين مناص)، يقول البقاعي: « وإثباته في ص يدل على أن المذكورين بالإهلاك هناك مع الاتصاف بالنداء المذكور بعض المهلكين لا كلهم»[3].

وسيأتي في مبحث لاحق دلالة مجيء الظرفين (قبل) و(بعد) مسبوقين بحرف الجر (من) ودلالة مجيئهما غير مسبوقين بذلك الحرف بمزيد من التوضيح، وذلك عند الحديث عن علاقة الإضافة إن شاء الله تعالى.

6-قوله تعالى: « إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ »[4].

فقد قيد الظرف (يومئذ) الإسناد في قوله: (ربهم لخبير)، وقد تقدم هذا الظرف على ما يتعلق به وهو قوله: (لخبير)، وفائدة ذلك – كما يقول البقاعي: « الإبلاغ في التعريف بأنه سبحانه وتعالى محيط العلم بذلك كما إذا قيل لك : تعرف فلاناً ؟ فقلت : ولا أعرف إلا هو ، فإن قصدك بذلك أن معرفتك به في غاية الإتقان ، لا نفي معرفة غيره ، وفيه إشعار بأن كل أحد يعرف غاية المعرفة في ذلك اليوم أنه سبحانه وتعالى عالم بأحواله لا ذهول له عن شيء من ذلك »[5].

---

[1] انظر: نظم الدرر 7 / 263 .
[2] ص 3 .
[3] نظم الدرر 7 / 263 .
[4] العاديات 11 .
[5] نظم الدرر 8 / 512 .

فالإتيان بالظرف هنا وتقديمه أفادا الإبلاغ في التعريف بأن الله محيط العلم بجميع أحوال عباده، ولا يعني ذلك أن علم الله بأحوال عباده مقتصر على ذلك اليوم فقط، أي أنه لم ينفِ معرفة الله وإحاطته التامة باحوال عباده في سائر الأوقات.

المبحث الخامس
علاقة الملابسة

وتكون بين الفعل والحال، حيث تأتي الحال لبيان هيئة الفعل، ومن ذلك الآيات التالية:

1- قوله تعالى : « أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ »[1] .

بين البقاعي في هذه الآية الكريمة دلالة تقييد الإسناد في قوله تعالى : (أتأمرون) وما عطف عليه في قوله: (وتنسون) بالجملة الحالية (وأنتم تتلون الكتاب)، فيقول: « وزاد في تبكيتهم بجملة حالية حاكية تلبسهم بالعلم والحكمة الناهية عما هم عليه ... وهذه الجملة الحالية أعظم منبّه على أن من حكم التوراة اتباعه – صلى الله عليه وسلم – ومشير إلى أن المعصية من العالِم أقبح »[2] .

2- قوله تعالى: « وَإِذْ قُلْتُمْ يَامُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ »[3] .

بين ابن عرفة علاقة قوله: (وأنتم تنظرون) بقوله: (فأخذتكم الصاعقة)، حيث ذكر أن الجملة الأولى جاءت في محل نصب حالا من الضمير المتصل الواقع حالا في قوله: (فأخذتكم)، ولم يقتصر على بيان هذه العلاقة بل بين دور هذه الحال في المعنى، يقول: « (حال) من الضمير المفعول في «أَخَذَتْكُم» فهي إشارة إلى أن (الصّاعقة) نالتهم على غفلة فصادفتهم ثابتين في النظر والأبصار والعقول، ولو علموا بها قبل ذلك لأذهب الوهم عنهم أبصَارَهُم وبصائرهم فلم تصادف عندهم إثباتا بوجه »[4].

([1]) البقرة 44 .
([2]) نظم الدرر 1 / 125 .
([3]) البقرة 55 .
([4]) تفسير ابن عرفة 1 / 293 .

3- قوله تعالى : « قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا »[1] .

يوضح البقاعي في هذه الآية العلاقات النحوية بين (تصدون)، و(تبغونها)، و(عوجا)، ثم يذكر ما يترتب على هذه العلاقات من معان.

فبعد أن ذكر أن (من) مفعولا به للفعل (تصدون) ذكر علاقة جملة (تبغونها) بما قبلها، وهي كونها حالا، أي: قيدت الإسناد باتجاه حال وقوع الفعل، يقول: « ثم ذكر المفعول فقال: (من آمن) حال كونكم (تبغونها) أي السبيل (عوجاً) أي بليكم ألسنتكم وافترائكم على الله »[2].

ثم يرجح – ثالثا – أن تكون كلمة (عوجا) حالا، أي قيدت الإسناد في (تبغونها) باتجاه حال وقوع الفعل، يقول: « فالظاهر أن جعل عوجاً حالاً – كما قال أبو البقاء[3] – أصوب من جعله مفعولاً – كما قال في الكشاف [4]، ويكون (تبغون) إما يائياً فيكون معناه: تريدونها معوجة أو ذات عوج ... وإما أن يكون واوياً بمعنى: ترونها ذات عوج ، أي تجعلونها في نظركم يعني : تتكلفون وصفها بالعوج مع علمكم باستقامتها »[5] .

ويقصد البقاعي بقوله: (ويكون تبغونها إما يائيا وإما أن يكون واويا): أن الفعل (تبغونها) أما أن يكون من (بغى الشئ يَبْغيه بُغاءً وبُغًى) اليائي بمعنى: طلب وأراد، وإما أن يكون من (بغى الشئ يبغوه بَغْوًا) الواوي بمعنى: نظر إلى الشئ كيف هو، وقد ترد أيضا بمعنى: ظلم، وهي المأخوذة من (بغى يَبْغي بَغيًا) اليائي، ولكنه غير مراد في الآية [6].

([1]) آل عمران 99 .
([2]) السابق 2 / 129 .
([3]) انظر: التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء العكبري 1 / 282 .
([4]) انظر: الكشاف للزمخشري 1 / 392 .
([5]) نظم الدرر 2 / 130 .
([6]) انظر: لسان العرب مادة (بغا) 1 / 321 ، 322 ، 323 .

وقد رجح أيضا أن تكون حالا في قوله تعالى : « وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا »[1] ، ويربط بين هذا الوجه الإعرابي والمعنى فيقول: « (وتبغونها عوجاً) أي وتطلبون السبيل حال كونها ذات عوج ، أي تطلبون اعوجاجها بإلقاء الشبهات والشكوك كما تقول: أريد فلاناً ملكاً، أي أريد ملكه »[2] .

أما إذا كانت مفعولا به كما قال الزمخشري فإن ذلك يكون على تقدير لام محذوفة، أي: تبغون لها العوج، أي: الميل والانحراف، وقد ذكر البقاعي أن مما يؤيد قول الزمخشري قولُ الرسول – صلى الله عليه وسلم : « ابغني أحجاراً أستنقض بها »[3]، يقال: « (ابغني كذا)، يراد: ابتغه لي. فإذا أرادوا أعِنّي على طلبه وابتغه معي قالوا: أبغني – بفتح الألف. وكذلك يقال: احلُبْني، بمعنى: اكفني الحلب، وأحلبني: أعني عليه، وكذلك جميع ما وَرَد من هذا النوع، فعلى هذا »[4].

إذًا البقاعي يرى متفقا مع المفسرين أن (عوجا) خصصت الإسناد في (تبغونها)، ولكنه يرجح أن يكون هذا التخصيص باتجاه ذكر حال السبيل، ويربط بين ذلك والمعنى.

4– قوله تعالى: « فَما لَكُمْ فِى الْمُنافِقِينَ فِئَتَيْنِ »[5].

بين النيسابوري علاقة قوله: (فئتين) بما قبله، فذكر أنه منصوب على أنه حال وصاحبها ضمير المخاطبين في (لكم)، والعامل محذوف، يقول: « وهو منصوب على الحال والعامل معنوي مثل: ما لك قائما أي ما تصنع؟ وقيل: نصب على أنه خبر «كان» أي ما لكم كنتم في شأن المنافقين فئتين؟ »[6].

([1]) الأعراف 86 .
([2]) نظم الدرر 3 / 67 .
([3]) أخرجه البخاري في صحيحه ، باب الاستنجاء بالحجارة ، حديث رقم 155 ، 1 / 4.
([4]) إعراب القرآن وبيانه لمحي الدين درويش 2 / 6 ، نشر: دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص – سوريا، الطبعة الرابعة 1415هـ .
([5]) النساء 88 .
([6]) تفسير النيسابوري 2 / 464 .

5-قوله تعالى: « يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ »[1].

بين النيسابوري أن قوله: (مكلبين) حال من قوله: (علمتم)، وقد وضح دلالة مجيء هذه الحال، فقال: « وانتصاب مُكَلِّبِينَ على الحال من عَلَّمْتُمْ. وفائدة هذه الحال مع الاستغناء عنها ب عَلَّمْتُمْ أن معلم الجوارح ينبغي أن يكون ماهرا في علمه مدربا فيه موصوفا بالتكليب »[2].

6- قوله تعالى : « وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (27) قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ »[3] .

بين البقاعي في هذه الآية أيضا ما قيد الإسناد في قوله تعالى: (ضربنا) من مقيد يتمثل في قوله (قرآنا) وهو حال موطئة ، يقول البقاعي رابطا بين هذا التقييد والمعنى: « ولما كان ذلك – أي: ضرب المثل – غاية في الشرف ,دل على زيادة شرفه بحال مؤكدة دالة على شدة عنادهم ، تسمى موطئه لأن الحال في الحقيقة ما بعدها بقوله: (قرآنا)، أي: حال كون ذلك المضروب جامعاً لكن ما يحتاج إليه»[4].

وقد جوز البقاعي أيضا أن يكون (قرآنا) منصوبا على المدح، قال: «ويجوز أن يكون النصب على المدح»[5] .

7- قوله تعالى: « طسم (1) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ(2) لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ(3) إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ »[6].

بين البقاعي في هذه الآيات العلاقات النحوية بين الآية الثانية والثالثة والرابعة، وبنى المعنى بناء على هذه العلاقات النحوية، فقد ذكر أن الآية الثالثة في محل نصب

---

(1) المائدة 4 .
(2) تفسير النيسابوري 2 / 549 .
(3) الزمر 27 ، 28 .
(4) نظم الدرر 6 / 442 .
(5) نظم الدرر 6 / 442 .
(6) الشعراء 1 – 4 .

حالا من اسم الإشارة (تلك)، وأن الآية الرابعة في موضع الحال أيضا من الآية الثالثة، يقول: « والظاهر أن جملة الإشفاق في موضع حال من اسم الإشارة كما أن الآية التي بعدها في موضع الحال منها، أي نحن نشير إلى الآيات المبينة لمرادنا فيهم والحال أنك – لمزيد حرصك على نفعهم – بحال يشفق فيها عليك من لا يعلم الغيب من أن تقتل نفسك غمّاً لإبائهم الإيمان والحال أنا لو شئنا أتيناهم بما يقهرهم ويذلهم للإيمان وغيره »[1].

8–قوله تعالى: « لِلَّهِ مُلْكُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ ما يَشاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ إِناثاً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ الذُّكُورَ (49) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْراناً وَإِناثاً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشاءُ عَقِيماً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ »[2].

يرتبط قوله تعالى: (ذكرانا) بقوله: (يزوجهم) بعلاقة تخصيص، حيث خصصت (ذكرانا) الإسناد في قوله: (يزوج)، وقد ذكر النيسابوري وجهين فيما يخص اتجاه التخصيص، وذكر مرجع الضمير على كل وجه، وربط بين ذلك والمعنى، فقال: « ونصبهما – يعني: ذكرانا وإناثا – على الحال، والضمير للأولاد أو على المفعولية، والضمير لمن يشاء أي يجمع لهم كلا الصنفين سواء كانا متساويين في العدد أم لا »[3].

أما البقاعي فلم يذكر إلا وجها واحدا لـ (ذكرانا)، وهو أنها منصوبة على الحال، يقول: « (أو يزوجهم) أي الأولاد بجعلهم ازواجاً لأي صنفين حال كونهم ذكراناً وإناثاً »[4].

9– قوله تعالى: « وما أرسلناك إلا كافة للناس »[5].

ترتبط كلمة(كافة) هنا بعلاقة ملابسة مع الفعل (أرسل)، حيث وقعت حالا وصاحبها (الناس)، وقد بين جلال الدين المحلي دلالة تقديم الحال (كافة) على صاحبها

---

(1) نظم الدرر 5 / 347 .
(2) الشورى 49 ، 50 .
(3) تفسير النيسابوري 6 / 81 .
(4) نظم الدرر 6 / 649 .
(5) سبأ 28 .

(الناس)، فذكر أن ذلك للاهتمام[1]، وتقديم الحال على صاحبها المجرور منعه أكثر النحويين وأجازه ابن مالك مستدلا بهذه الآية[2].

(1) انظر: تفسير الجلالين ص567 .
(2) انظر: توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك للمرادي 2 / 706 ، وتفسير النيسابوري 5 / 497 .

المبحث السادس

علاقة الإخراج أو الاستثناء

وتكون بين الفعل والمستثنى، حيث يأتي المستثنى في الجملة للدلالة على عدم إسناد الفعل إليه أو وقوعه عليه، فعندما نقول: (دخل الطلاب إلا محمدا) فقد نفينا إسناد الدخول إلى محمد، وإذا قلنا: (رأيت الزملاء إلا محمدا) فقد نفينا وقوع الرؤية على محمد، ومن ذلك في القرآن الكريم الآيات التالية:

1- قوله تعالى:« لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ »(1).

في هذه الآية علاقة تخصيص ، حيث جاء الاستثناء ليخرج (الذين ظلموا) من دائرة الناس المنفي صدور حجة منهم على المؤمنين ، فـ (الذين ظلموا) خصصت الإسناد باتجاه الإخراج.

وهذا ما عبر عنه البقاعي بقوله : « ولما كانت الحجة كلاماً ينشأ عن مقدمات يقينية مركبة تركيباً صحيحاً وقع الاستثناء باعتبار تلبس المستثنى بجزء المعنى الذي نفى عن المستثنى منه بدلالة التضمن فهو قريب من الاستخدام فقال : (إلا الذين) أي الناس الذين (ظلموا منهم) ، فإنهم لعنادهم ولددهم لا يرجعون إلى الحق الذي يعرفونه بل يكون لهم عليكم مجرد كلام هو مادة الحجة لا حجة بما دل عليه وصفهم بالظلم الذي هو وضع الشيء في غير محله كما هو شأن كل ماش في مأخذ الاشتقاق الذي هو الظلام »(2) .

وبناء على ما ذكره البقاعي من أن الحجة هي الدليل الصحيح فإنه يرى أن الاستثناء منقطع ؛ لأنه لو كان متصلا فمعنى ذلك أن الذين ظلموا تكون لهم حجة على المؤمنين، وهذا غير صحيح؛ إذ لا يصح ان يسمى ما يقوله الكفار للمؤمنين حجة باعتبار أن معناها الدليل الصحيح ، وفرارا من ذلك رأى البقاعي أن « يكون الاستثناء

---

(1) البقرة 150 .

(2) نظم الدرر 1 / 273 .

على هذا منقطعاً بمعنى : لئلا يحتج أحد عليكم لكن الذين ظلموا يقولون أو يظهرون فجوراً ولدداً في ذلك كلاماً يسمونه حجة ، ولعل السر في تصويره على تقدير الانقطاع بصورة الاستثناء الحث على الثبات على أمر الله سبحانه وتعالى والإعراض عمن خالفه نظراً إلى ما تأصل من إبطاله واستحضاراً لما ظهر من فاسد أحواله وإن أبدى من الشبه ما يخفى أمره ويصعب على بعض المحقين حله حتى يظن حجة »[1] .

وقد جوز النيسابوري أن يكون إطلاق الحجة على قول المعاندين مرادا بها المحاجة **أو** سماها حجة تهكما أو طباقا أو بناء على معتقدهم لأنهم يسوقونها سياق الحجة، وقد تكون الحجة باطلة، قال تعالى: « حُجَّتُهُمْ داحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ »[2]، وكل كلام يقصد به غلبة الغير حجة، وعلى هذا فالاستثناء متصل[3].

وهذا ما أجازه البقاعي أيضا، يقول: « ويجوز أن يراد بالحجة أعم من القطعي والظني فيكون الاستثناء متصلاً، قال السفاقسي : ومثار الخلاف هل الحجة الدليل الصحيح والاستثناء منقطع أو الاحتجاج والخصومة فهو متصل »[4] .

2-قوله تعالى: « فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ»[5].

بين النيسابوري العلاقة النحوية التي يرتبط من خلالها قوله تعالى: (إلا مَنْ اغترف غرفة بيده) ببما قبله، فذكر أنه استثناء من قوله تعالى: (فمن شرب منه فليس مني)، « ليصح النظم وإنما فصل قوله وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ بين المستثنى والمستثنى منه للعناية »[6]، ثم أثر هذا الاستثناء على المعنى فقال: « ومعنى الاستثناء الرخصة في

([1]) السابق 1 / 273 .
([2]) الشورى 16 .
([3]) انظر: تفسير النيسابوري 1 / 436 .
([4]) السابق 1 / 273 .
([5]) البقرة 249 .
([6]) تفسير النيسابوري 1 / 670 .

اغتراف الغرفة باليد دون الكروع. والغرفة بالفتح بمعنى المصدر، وبالضم بمعنى المغروف ملء الكف »[1].

3-قوله تعالى: « فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ (21) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ (22) إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ (23) فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ »[2].

أجاز النيسابوري أن يكون قوله: (إلا مَنْ تولى وكفر) استثناء من قوله: (لست عليهم بمسيطر)، ويكون الاستثناء منقطعا إذا كان المراد بمسيطر: مسلطا عليهم، والتسليط بمعنى قهرهم وخلق الهداية فيهم.

أما إذا كان المراد بالتسليط هو القتال معهم، فيكون الاستثناء متصلا، والمعنى: لست مأمورا بقتالهم إن لم يؤمنوا إلا المصرين على الإعراض والكفر فإنك تصير – في المستقبل – مأمورا بقتالهم مستوليا عليهم بالغلبة والقهر، يقول النيسابوري: « فإن أراد بالتسليط القهر أو بالإكراه بمعنى خلق الهداية فيهم فالآية ثابتة لأن ذلك لا يقدر عليه إلا الله سبحانه وتعالى، وعلى هذا يكون الاستثناء منقطعا. وإن أراد القتال معهم إن لم يؤمنوا فالآية منسوخة وهذا قول كثير من المفسرين، وعلى هذا فالأظهر أن يكون الاستثناء في قوله إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ متصلا لا باعتبار الحال فإن السورة مكية ولكن بالنظر إلى الاستقبال أي إلا المصرين على الإعراض والكفر فإنك تصير مأمورا بقتالهم مستوليا عليهم بالغلبة والقهر »[3].

وقد أجاز أن يكون استثناء من قوله: (فذكر) أي فذكر إلا من انقطع طمعك من إيمانه وتولى فاستحق العذاب الأكبر وما بينهما اعتراض[4].

([1]) تفسير النيسابوري 1 / 670 .
([2]) الغاشية 21 – 24 .
([3]) تفسير النيسابوري 6 / 492 .
([4]) تفسير النيسابوري 6 / 492 .

تعقيب

وهكذا تتضح أهمية بيان ما يخصص الإسناد من مخصصات في تفسير القرآن الكريم، نظرا لتوقف فهم المعنى على تحديد المخصص، وبيان نوعه، وقد تبين مما سبق مدى اعتناء المفسرين في القرن التاسع الهجري ببيان هذه الأمور واسترشادهم بها في تحليلهم للنص القرآني والوقوف على دلالاته.

الفصل الثالث

علاقــة الإضافــة

مدخل

علاقــة الإضــافة أو النســبة علاقــة معنويــة بــين كلمتــين مثــل علاقــة الإســناد والتخصيص، حيث تضاف أو تنسب بواسطتها الكلمة الأولى إلى الثانية، وهذه الإضافة أو النسبة على نوعين:

النوع الأول: إضافة أو نسبة مباشرة.

وفيها تضاف الكلمة الأولى – وتكون اسما فقط – للثانية – وتكون اسما أيضا فقط – إضافة مباشرة دون واسطة، مثل قولنا: (كتاب محمد)، ففي هذا المثال نُسبت كلمة (كتاب) إلى (محمد) نسبة مباشرة.

النوع الثاني: إضافة أو نسبة غير مباشرة.

وفيها تضاف الكلمة الأولى – وتكون اسما أو فعلا – إلى الكلمة الثانية وتكون اسما فقط بواسطة حروف الجر التي يكون لها معان مختلفة بحسب السياق الواردة فيه، مثل قولنا: (جلس محمد على الكرسي) ، ففي هذا المثال أضفنا الجلوس إلى الكرسي بواسطة حرف الجر (على) الذي أفاد في هذا المثال الاستعلاء.

يقول الشاطبي: « والإضافة على وجهين: إضافة اسم إلى اسم نحو: (غلام زيد)، وإضافة فعل إلى اسم بواسطة الحرف المضيف، نحو: (مررت بزيد)»[1] .

وقد تناول النحاة الوجه الأول بالدرس تحت باب الإضافة، وتناولوا الوجه الثاني بالدرس تحت باب (حروف الجر)، حيث فصلوا بينهما لما لكل نوع منهما من أحكام تختص به، وإن كان المتقدمون قد درسوه تحت باب واحد هو الجر، فهذا سيبويه قد تناول النوعين معا في سياق حديثه عن الجر بوجه عام، فقال: «والجر إنما يكون في كل

([1]) المقاصد الشافية 3/ 561 .

اسم مضاف إليه، واعلم أن المضاف إليه ينجر بثلاثة أشياء: بشيء ليس باسم ولا ظرف، وبشيء يكون ظرفاً، وباسم لا يكون ظرفاً»[1].

وهو يعني بما ليس اسما ولا ظرفا حروف الجر، وقد أطلق سيبويه على المجرور بها مضافا إليه، وأطلق على هذه الحروف: (حروف إضافة)، يقول: « وأما الباء وما أشبهها فليست بظروف ولا أسماء، ولكنها يضاف بها إلى الاسم ما قبله أو ما بعده. فإذا قلت: يا لبكر فإنما أردت أن تجعل ما يعمل في المنادى من الفعل المضمر مضافاً إلى بكر باللام.

وإذا قلت: مررت بزيد، فإنما أضفت المرور إلى زيد بالباء، وكذلك هذا لعبد الله. وإذا قلت: أنت كعبد الله، فقد أضفت إلى عبد الله الشبه بالكاف. وإذا قلت: أخذته من عبد الله فقد أضفت الأخذ إلى عبد الله بمن. وإذا قلت:مذ زمان فقد أضفت الأمر إلى وقت من الزمان "بمذ" ، وإذا قلت: أنت في الدار فقد أضفت كينونتك في الدار إلى الدار بفي. وإذا قلت: فيك خصلة سوء، فقد أضفت إليه الرداءة بفي. وإذا قلت: رب رجل يقول ذاك، فقد أضفت القول إلى الرجل برب. وإذا قلت: بالله والله وتالله فإنما أضفت الحلف إلى الله سبحانه »[2].

فسيبويه هنا يسمى حروف الجر حروف إضافة؛ لأن الفعل قبلها يضاف بواسطتها إلى ما بعدها.

والإضافة بنوعيها لها دور كبير في تحليل النصوص، وخاصة النص القرآني ، وفيما يلي أتناول كيفية توظيف علماء التفسير في القرن التاسع الهجري لعلاقة الإضافة بنوعيها في تحليل النص القرآني ، من خلال عرض أهم القضايا النحوية الخاصة بالإضافة بنوعيها وهم بصدد تحليلهم للنص القرآني.

([1]) الكتاب 1/ 419 .

([2]) الكتاب 1/ 419 – 421 .

المبحث الأول

علاقــة الإضافــة المباشرة

عرف ابن هشام الإضافة بقوله: « اسنادُ اسم إلى غيره على تنزيل الثاني من الأول منزلَة تنوينه أَو ما يقوم مقام تنوينه » [1].

وللإضافة ثلاثة معانٍ:

المعنى الأول: معنى اللام، وهذا هو الغالب فيها، وقد اقتصر عليها الزجاج، ولم يجعل ابن الصائغ للإضافة معنى غيرها، وذلك نحو: (غلام زيد)، (حصير المسجد)، فالإضافة في الأول بمعنى اللام التي للملك، وفي الثاني بمعنى اللام التي للاختصاص[2].

المعنى الثاني: معنى (من)، وهو كثير، وقد أثبته الجمهور هو والمعنى السابق فقط، مثل: (خاتم فضة)، أي: خاتم من فضة، وضابطها: أن يكون المضاف بعض المضاف إليه، وأن يكون المضاف إليه صالحا للإخبار به عن المضاف، ففي المثال السابق يصح أن يقال: (هذا الخاتم فضة).

فإن فقد الشرطان معا، أو الشرط الأول فقط، أو الشرط الثاني فقط كانت الإضافة على معنى اللام.

وفي حالة فقد الشرط الأول تكون الإضافة من إضافة المسمى إلى الاسم، نحو: (يوم الخميس)، فعلى الرغم من كون الخميس صالحا للإخبار به عن اليوم، إلا أن اليوم ليس بعض الخميس، وفي حالة فقد الشرط الثاني كما في نحو: (يد زيد) – حيث لا يصح الإخبار باليد عن زيد، كانت الإضافة من إضافة الجزء إلى الكل.

المعنى الثالث: معنى (في)، ولم يثبته إلا ابن مالك، وضابطه كون المضاف إليه ظرفا للمضاف، سواء أكان زمانا أم مكانا، فالأول نحو قوله تعالى: « بَلْ مَكْرُ اللَّيلِ

([1]) شرح شذور الذهب ص325 .

([2]) انظر: شرح التصريح على التوضيح 2/ 25 .

والنَّهارِ »[1]، والثاني نحو قوله تعالى: « يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ »[2]، فإن فقد هذا الشرط كانت بمعنى اللام أيضا، كما في نحو: (حصير المسجد).

وليس معنى ذلك أنه إذا توافر ضابطا الإضافة التي بمعنى (من)، والإضافة التي بمعنى (في) فلا بد من حمل الإضافة على معنى (من)، أو(في)، بل ذلك مرهون بمراد المتكلم، إذ قد تحتمل الإضافة أكثر من معنى، والسياق هو الذي يحدد المراد.

فالإضافة في قولنا: (حصير المسجد) مثلا تحتمل معنى (اللام)، ومعنى (في)، وقصد المتكلم هو الذي يحدد المراد، يقول الشيخ يس تعليقا على ضابط الإضافة التي بمعنى (في): « قال اللقاني: هذا الضابط يشمل حصير المسجد وقنديله، ومراده أن الضابط لا يكون مانعا؛ لأنه سيأتي التمثيل بحصير المسجد لما الإضافة فيه على معنى الاختصاص، ويجاب بأنه لا مانع من جواز الأمرين باختلاف قصد المتكلم وإرادته بيان معنى الظرفية والاختصاص...وباعتبار القصد لا يتناول أحد الضابطين الآخر» [3].

وتكون الإضافة بمعنى اللام « تحقيقا حيث يمكن النطق بها، كـ (غلام زيد)، أو تقديرا حيث لا يمكن النطق بها نحو: (ذي مال، عند زيد ، مع عمرو) ، وامتحان هذا بأن تأتي مكان المضاف بما يرادفه أو يقاربه، نحو: (صاحب – مكان – مصاحب) » [4].

وقد أدرك علماء التفسير في القرن التاسع الهجري الدور الكبير للإضافة المباشرة في تحليل آيات القرآن الكريم ، ويتمثل هذا الإدراك لهذا الدور الكبير في اهتمامهم ببيان المواضع التي فيها إضافة مباشرة أو نسبة مع بيان دلالة هذه الإضافة، من ذلك ما نجده مثلا في تفسير الآيات التالية:

1–**قوله تعالى:** « وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ »[5].

([1]) سبأ 33 .
([2]) يوسف 39 .
([3]) شرح التصريح على التوضيح 2/ 25 .
([4]) شرح التصريح على التوضيح 26/2 .
([5]) البقرة 120 .

بين البقاعي في هذه الآية دلالة إضافة الملة إلى الضمير العائد على اليهود والنصارى، حيث بين أن هذه الإضافة يفهم منها ما أحدثه اليهود والنصارى في ملتهم من تحريف وتبديل ، يقول: « (حتى تتبع ملتهم)، أي: حتى تكون بشيراً لهم، ولن تكون بشيراً لهم حتى توافقهم فيما أحدثوه من أهوائهم بأن تتبع كتابهم على ما بدلوا فيه وحرفوا وأخفوا على ما أفهمته إضافة الملة إليهم لا إلى صاحبها المعصوم وهو إبراهيم – عليه السلام – »[1] .

2–قوله تعالى: « وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْاْ بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ »[2] .

بين البقاعي أيضا في هذه الآية دلالة إضافة (أزواج) إلى الضمير العائد على النساء، حيث لم يقل مثلا: أزواجا لهن ، حيث بين أن هذه الإضافة يفهم منها الأزواج الأكفاء، يقول: « (إذا تراضوا) ، أي: النساء والأزواج الأكفاء بما أفهمته الإضافة دون أن يقال: أزواجاً لهن مثلاً »[3] .

3– قوله تعالى: « وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّاىَ فَاتَّقُونِ »[4].

أضيفت في هذه الآية كلمة (آيات) إلى ياء المتكلم المراد بها الله – عز وجل – وقد بين ابن عرفة دلالة هذه الإضافة فقال: « عظم الآيات بالجمع والإضافة إليه إضافة تشريف »[5].

4–قوله تعالى: « قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِن شَهِدُواْ فَلاَ تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ »[6].

([1]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور 235/1 .
([2]) البقرة 232 .
([3]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور 437/1 .
([4]) البقرة 41 .
([5]) تفسير ابن عرفة 1 / 270 .
([6]) الأنعام 150 .

ارتبط في هذه الآية قوله: (شهداء) بضمير المخاطبين بعلاقة إضافة، حيث أضيف الأول للثاني، وقد بين النيسابوري دلالة هذه العلاقة فقال: « وإنما لم يقل شهداء – أي بغير إضافة – يشهدون لأنه ليس الغرض إحضار أناس يشهدون بالتحريم وإنما المراد إحضار شهدائهم الموسومين بالشهادة لهم المعروفين بنصرة مذهبهم ولهذا قال: فَإِنْ شَهِدُوا أي فإن وقعت شهادتهم فَلا تَشْهَدْ مَعَهُمْ أي لا تسلم لهم ما شهدوا به ولا تصدقهم لأن شهادتهم محض الهوى والتعصب »[1]، وأشار إلى هذه الدلالة البقاعي أيضا حيث قال: « وإضافة الشهداء إليهم ووصفهم بـ (الذين) دليل على أنهم معروفون موسومون بنصرة مذهبهم بالباطل ، ولو قال : شهداء – من غير إضافة لأفهم أن المطلوب من يشهد بالحق وليس كذلك ، لأنه أقيم الدليل العقلي على أنه لا حجة لهم وأن الحجة لله على خلاف ما ادعوه ، فبطل قطعاً أن يكون أحد يشهد على ذلك بحق »[2].

فالدلالة السابقة التي ذكرها النيسابوري والبقاعي للآية أسهم في تحقيقها علاقة الإضافة في قوله: شهداءكم، ثم وصف هذه الكلمة باسم الموصول.

5–**قوله تعالى:** « وَلاَ تُفْسِدُواْ فِى الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا »[3] .

بين البقاعي أن الإضافة في قوله: (إصلاحها) بمعنى اللام، وأنها من إضافة المصدر إلى المفعول به، يقول: « والظاهر أن الإضافة بمعنى اللام وهي إضافة في المفعول، أي لا تدنسوها بفساد بعد أن أصلحها لكم »[4] .

6–قوله تعالى:« سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِى الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ»[5].وقوله تعالى: « وَمَا نَقَمُواْ إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ »[6] .

وقوله تعالى: « وَجَاهِدُوا فِى اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ »[1] .

([1]) تفسير النيسابوري 3 / 184 .
([2]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور 2 / 740 .
([3]) الأعراف 56 .
([4]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور 3 / 44 .
([5]) الأعراف 146 .
([6]) التوبة 74 .

وقولـه تعـالى: « قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِراً تَهْجُرُونَ »[2] .

وقوله تعالى: « وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَآ إِلاَّ الْكَافِرونَ »[3] .

وقوله تعالى: « وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلاَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ »[4] .

وقوله تعالى: « مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الأَرْضِ »[5] .

هذه بعض الآيات التي ذكر البقاعي عندها دلالة بعض مواضع الإضافة فيها، وهي تشترك جميعها في أن الإضافة فيها تفيد تعظيم المضاف.

ففي الآية الأولى ذكر أن إضافة (آيات) إلى ياء المتكلم أفادت تعظيم الآيات، يقول: « (ساصرف عن آياتي) أي المسموعة والمرئية على عظمتها بما أشارت إليه الإضافة »[6] .

وفي الآية الثانية ذكر دلالة إضافة (رسول) إلى ضمير الغائب العائد على لفظ الجلالة، فبين أنها تفيد تعظيم الرسول – صلى الله عليه وسلم، يقول: «(ورسوله) أي: الذي هو أحق الخلق بأن يجوز عظمة الإضافة إليه سبحانه »[7] .

وفي الآية الثالثة ذكر البقاعي أن إضافة (جهاد) إلى ضمير الغائب العائد على لفظ الجلالة أفاد أنه يجب على المؤمنين أن يجاهدوا « جهاداً يليق بما أفهمته الإضافة

([1]) الحج 78 .
([2]) المؤمنون 67 .
([3]) العنكبوت 47 .
([4]) لقمان 27 .
([5]) سبأ 14 .
([6]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور 3 / 111 .
([7]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور 3 / 361 .

إلى ضميره سبحانه من الإخلاص والقوة، فإنه يهلك جميع من يصدكم عن شيء منه »[1] .

وفي الآية الرابعة بين أن إضافة (آيات) إلى ياء المتكلم أفادت أن عظمة هذه الآيات التي استحقت بها الإضافة تكفي في الحث على الإيمان بها بمجرد سماعها[2].

وكذلك في الآية الخامسة بين أن إضافة (آيات) إلى ضمير العظمة (نا) أفادت أن هذه الآيات نالت أقصى غايات العظمة [3].

وفي الآية السادسة ذكر البقاعي أن إضافة جمع القلة إلى لفظ الجلالة أفادت عظمة هذا القليل بالعجز عن الإتيان بمثله، يقول « وأشار بجمع القلة مع الإضافة إلى اسم الذات إلى زيادة العظمة بالعجز عن ذلك القليل فيفهم العجز عن الكلم من باب الأولى »[4] .

وفي الآية الأخيرة بين دلالة إضافة (دابة) إلى (الأرض) بقوله: « فخمها بهذه الإضافة التي من معناها أنه لا دابة للأرض غيرها لما أفادته من العلم ولأنها لكونها تأكل من كل شيء من أجزاء الأرض من الخشب والحجر والتراب والثياب وغير ذلك أحق الدواب بهذا الاسم »[5] .

7-قوله تعالى: « وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَآءِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقاً »[6] .

أضيفت في هذه الآية كلمة (شركاء) إلى ياء المتكلم المقصود بها رب العزة – تبارك وتعالى – وقد بين البقاعي دلالة هذه الإضافة، وهي : التوبيخ، يقول: «وبين أن

---

(1) السابق 5 / 179 .
(2) انظر: السابق 5 / 211 .
(3) انظر: السابق 5 / 566 .
(4) انظر: السابق 6 / 30 .
(5) انظر: السابق 6 / 165 .
(6) الكهف: 52 .

الإضافة ليست على حقيقتها ، بل هي توبيخ لهم، فقال تعالى: (الذين زعمتم أنهم شركاء) »[1] .

8-قوله تعالى: « فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً قَالَ يَقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْداً حَسَناً أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَّوْعِدِى »[2] .

ذكر البقاعي هنا دلالة إضافة (موعد) إلى ياء المتكلم المقصود بها سيدنا موسى – عليه السلام ، حيث لم يضفها إلى لفظ الجلالة مثلا، فقال: « وكأنه أضاف الموعد إليه أدباً مع الله تعالى وإعظاماً له »[3] .

9-قوله تعالى: « لاَ يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلاَئِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ »[4] .

أضيفت كلمة (يوم) إلى ضمير المخاطبين المراد به أهل الجنة، وسبب ذلك كما يقول البقاعي: « أنهم المنتفعون به »[5] .

10-قوله تعالى: « قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَالَّذِينَ هُمْ فِى صَلاَتِهِمْ خَاشِعُونَ »[6].

ذكر البقاعي أنه أضيفت كلمة (صلاة) هنا إلى ضمير الغائب (هم) العائد على المؤمنين؛ « ترغيباً لهم في حفظها، لأنها بينهم وبين الله تعالى، وهو غني عنها، فهم المنتفعون بها »[7] .

11-قوله تعالى: « كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ »[8] .

---

(1) نظم الدرر 4 / 477 .
(2) طه 86 .
(3) نظم الدرر 5 / 38 .
(4) الأنبياء 103 .
(5) نظم الدرر 5 / 115 .
(6) المؤمنون 1 ، 2 .
(7) نظم الدرر 5 / 182 .
(8) المؤمنون 44 .

أضيفت في هذه الآية كلمة (رسول) إلى ضمير الغائب المتصل العائد على المفعول به (أمة)، وقد بين البقاعي دلالة هذه الإضافة التي جاءت في معرض تكذيب الأمم لرسلها، فقال: « ولما كان في بيان التكذيب ، أضاف الرسول إليهم ، ذماً لهم لأنْ يُخَصُّوا بالكرامة فيأبوها، ولقصد التسلية »[1] .

12–قوله تعالى: « وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِى ارْتَضَىٰ لَهُمْ »[2] .

أضيفت هنا كلمة (دين) إلى ضمير الغائب العائد على (الذين آمنوا) ، وقد جاءت هذه الإضافة « إشارة إلى رسوخ أقدامهم فيه وأنه ابديّ لا ينسخ »[3].

13–قوله تعالى: « سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ »[4] .

في هذه الآية أضيفت كلمة (رب) إلى (العزة)، وقد أفادت هذه الإضافة اختصاص الله – عز وجل– بهذه العزة كما ذكر البقاعي ، حيث يقول: « (رب العزة) أي التي هو مختص بها بما أفهمته الإضافة وأفاد شاهد الوجود وحاكم العقل »[5] .

كما بين إن إضافة (رب) إلى كاف الخطاب المراد بها الرسول – صلى الله عليه وسلم – ثم إضافتها مرة أخرى إلى (العزة) فيه « إشارة إلى اختصاصه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكل من وافقه في أمره عن جميع الخلق بالعزة وإن رئي في ظاهر الأمر غير ذلك »[6] .

14–قوله تعالى: « وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ »[7] .

ذكر البقاعي أن دلالة الإضافة في قوله تعالى: (تقواهم) هي « أنه آتى كلاً منهم منها بحسب ما يقتضيه حاله »[8] .

---

(1) نظم الدرر 5 / 201 .
(2) النور 55 .
(3) نظم الدرر 5 / 279 .
(4) الصافات 180 .
(5) نظم الدرر 6 / 354 .
(6) نظم الدرر 6 / 354 .
(7) محمد 17 .
(8) نظم الدرر 7 / 163 .

15–قوله تعالى: « هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ »(1) .

جوز البقاعي أن تكون الإضافة في قوله: (دين الحق) من إضافة الموصوف لصفته، وتكون دلالتها حينئذ الإشارة إلى شدة التباس الموصوف بالصفة، يقول: « ويجوز أن يكون المعنى : والدين الذي هو الحق الثابت في الحقية الكامل فيها كمالاً ليس لغيره ، فيكون من إضافة الموصوف إلى صفته إشارة إلى شدة التباسه بها »(2) .

16–قوله تعالى: « قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْراً فَمَن يَأْتِيكُمْ بِمَآءٍ مَّعِينٍ»(3) .

بين البقاعي دلالة إضافة (ماء) إلى ضمير المخاطبين، حيث يقول: «(أصبح مآؤكم) أي الذي تعدونه في أيديكم – بما نبهت عليه الإضافة »(4) .

17–قوله تعالى: « إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ »(5) .

ذكر البقاعي أيضا دلالة الإضافة في قوله: (جنات النعيم)، حيث بين أنها تفيد اقتصار الجنة على النعيم، وأنه لا يوجد فيها غيره، يقول: « (جنات) جمع جنة وهي لغة البستان الجامع، وفي عرف الشرع مكان اجتمع فيه جميع السرور وانتفى منه جميع الشرور) النعيم (وهو الخالص من المكدر والمشوش والمنغص، لا شيء فيها غيره أصلاً – بما أفادته الإضافة »(6) .

18–قوله تعالى: « وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ »(7) .

---

(1) الصف 9 .
(2) نظم الدرر 7 / 584 .
(3) الملك 30 .
(4) نظم الدرر 8 / 88 .
(5) القلم 34 .
(6) نظم الدرر 8 / 109 .
(7) الحاقة 51 .

ذكر البقاعي أن إضافة (حق) إلى (اليقين) من إضافة الصفة إلى الموصوف، يقول: « (لحق اليقين) أي: الأمر الثابت الذي يذاق فيصير لا يقبل الشك فهو يقين مؤكد بالحق ، من إضافة الصفة إلى الموصوف ، وهو فوق علم اليقين »[1] .

19–قوله تعالى: « الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ دَآئِمُونَ »[2] .

ذكر البقاعي أن الإضافة في قوله: (صلاتهم) تفيد أن هذه الصلاة نافعة لهم لا لغيرهم، أي أن الإضافة خصصت النفع العائد من الصلاة بهم فقط، يقول: « على صلاتهم) أي التي هي معظم دينهم وهي النافعة لهم لا لغيرهم – بما أفادته الإضافة »[3] .

20–قوله تعالى: « إِذَا جَآءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ »[4] .

ذكر البقاعي أن إضافة (نصر) إلى لفظ الجلالة أفاد أمرين: الأول: تعظيم هذا النصر، الثاني: بيان أن هذا مرتبة هذا النصر هي أعلى مراتبه، يقول: « ولما كان للنصر درجات ، وكان قد أشار سبحانه بمطلق الإضافة إليه ثم بكونها إلى الاسم الأعظم إلى أن المراد أعلاها »[5] .

21–قوله تعالى: « مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ »[6] .

وقوله تعالى: « مَلِك النَّاس »[7] .

قارن البقاعي بين الإضافة في قوله: (مالك يوم الدين)، وقوله: (ملك الناس)، حيث بين أن كلمة (مالك) في الآية الأولى قرئت بالألف وبدونها، وبين أن إضافتها – على كلا وجهي قراءتها – إلى (يوم الدين) أفاد « أفاد اختصاصه بجميع ما فيه من

([1]) نظم الدرر 8 / 142 .
([2]) المعارج 23 .
([3]) نظم الدرر 8 / 151 .
([4]) النصر 1 .
([5]) نظم الدرر 8 / 560 .
([6]) الفاتحة 4 .
([7]) الناس 2 .

جوهر وعرض »[1] ، وذكر أنه لما كانت (مالك) و(ملك) تفيدان نفس المعنى بإضافتهما إلى (يوم الدين) وردت الرواية بهما[2].

أما في سورة الناس فنظرا لأن إضافة (مالك) إلى (الناس) لا تفيد المعنى السابق الذي أفادته إضافة (مالك) إلى (يوم الدين) لم ترد إلا قراءة واحدة فيها وهي: (ملك) [3] ، يقول البقاعي: « فقد أجمع القراء في هذه السورة على إسقاط الألف من (ملك) بخلاف الفاتحة كما مضى؛ لأن الملك إذا أضيف إلى (اليوم) أفهم اختصاصه بجميع ما فيه من جوهر وعرض ، وأنه لا أمر لأحد معه ولا مشاركة في شيء من ذلك ، وهو معنى الملك – بالضم ، وأما إضافة المالك إلى الناس فإنها تستلزم أن يكون ملكهم ، فلو قرئ به هنا لنقص المعنى »[4] .

وإذا كان علماء التفسير فيما مضى بينوا الدلالات المختلفة التي أفادتها الإضافة مراعين في ذلك السياق، فإنهم أيضا بينوا دلالة عدم الإضافة في بعض المواضع، من ذلك ما نجده عن البقاعي عند تفسيره لقوله تعالى: « وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ »(5) ، فقد بين دلالة مجيء كلمة (النساء) هكذا بدون إضافة حيث لم يقل مثلا: (نساءكم)، فقال: « ولم يقل : نساءكم ، لئلا تفهم الإضافة أن لطلاقهم غير نسائهم حكماً مغايراً لهذا في بلوغ الأجل مثلاً ونحوه »[6] .

ومن ذلك أيضا ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى: « وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَاْ »(7) ، حيث بين أن كلمة (الأبصار) جاءت بالتعريف

([1]) نظم الدرر 1 / 16 .
([2]) انظر: السابق 8 / 560 .
([3]) انظر: السابق 8 / 560 .
([4]) نظم الدرر 8 / 614 .
([5]) البقرة 231 .
([6]) نظم الدرر 1 / 435 .
([7]) الأحزاب 10 .

والقطع عن الإضافة إلى كاف الخطاب؛ « إبقاء عليهم وتعليماً للأدب في المخاطبة، وكذا (وبلغت القلوب) »[1] .

كما أنهم عنوا ببيان الآيات التي اشتملت على علاقة إضافة بين كلمتين أضيفت إحداهما إلى الأخرى وقد حذف فيها المضاف، ومن ذلك الآيات التالية:

1-قوله تعالى: « يَسْأَلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِّنَ الْجَوَارِحِ »[2].

في هذه الآية حذف مضاف، والتقدير: (وصيد ما علمتم)، يقول البقاعي: « (وما) وهو على حذف مضاف للعلم به ، فالمعنى: وصيد ما علمتم من الجوارح »[3].

2-قوله تعالى:« وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتاً أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ»[4].

بين البقاعي هنا أن قوله: (قرية) قد جاء على حذف مضاف، والتقدير: (أهل قرية)، وقد ذكر دلالة حذف المضاف هنا فقال: « ولما كان المراد المبالغة في الإهلاك، أسنده إلى القرية والمراد أهلها فقال: (أهلكناها)، أي بما لنا من العظمة لظلمها باتباع من دون الله »[5].

وذكر البقاعي أن قوله تعالى: (أو هم قائلون) جاء مبينا أن المراد بالقرية أهلها، موضحا أن المضاف إذا حذف «جاز فيه اعتباران بحسب ما يحسن من المعنى : أن لا يلتفت إليه – كما في اول الآية ، وأنن يلتفت إليه كما في هذا الأخير لبيان أن الأهل هم المقصودون بالذات لأنه موضع التهديد »[6].

([1]) نظم الدرر 6 / 80 .
([2]) المائدة 4 .
([3]) نظم الدرر 2 / 396 .
([4]) الأعراف 4 .
([5]) نظم الدرر 3 / 8 .
([6]) نظم الدرر 3 / 8 .

3-قوله تعالى: « وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ»(1).

ذهب البقاعي إلى أن قوله: (مَنْ آمنَ) إما أن يكون مستثنى من الضمير في (أموالكم وأولادكم)، وإما أن يكون على حذف مضاف، وقد بين المعنى على كل وجه، يقول: « ثم استثنى من ضمير الجمع الذي هو قائم مقام أحد، فكأنه قيل: لا تُقرّب أحداً إلا من، أو يكون المعنى على حذف مضاف، أي إلا أموال وأولاد من آمن »(2).

4- قوله تعالى: « وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ »(3).

جاء خبر (لعل) هنا مذكرا بينما جاء اسمها مؤنثا، أي: لا يوجد تطابق بين اسم (لعل) وخبرها في التذكير والتأنيث، وقد قدم البقاعي عدة تخريجات لذلك، فقال: « ولما كان تأنيث الساعة غير حقيقي لأنها بمعنى الوقت ذكَّرها فقال: (قريب)، فأفهم ذلك أنها ذات الشدائد وأن شدائدها ذكور الشدائد وأن قربها أسرع من لمع البرق لما له من الثبات في الحق ، أو ذكرها على إرادة السبب أي ذات قرب ، أو على حذف مضاف، أي: مجيئها »(4)، وقد ذكر دلالتها على كل هذه الاحتمالات فقال: « وعلى كل حال فهو دال على تفخيمها أي إنك بمظنة من قرب القيامة ، فيقع بهم ما توعدوا به مما ينبغي الإشفاق منه »(5).

5-قوله تعالى: « إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ »(6).

ذكر البقاعي أن قوله: (إلا موتتنا الأولى) جاء على حذف مضاف، يقول البقاعي مبينا ذلك ومبينا السبب الدلالي لمجيء التركيب هكذا: « (ما هي إلا موتتنا) على حذف مضاف، أي: ما الحياة إلا حياة موتتنا الأولى، أي: التي كانت قبل نفخ الروح – كما سيأتي في الجاثية: (إن هي إلا حياتنا الدنيا)، وعبروا عنها بالموتة إشارة إلى أن الحياة

---

(1) سبأ 37 .
(2) نظم الدرر 6 / 186 .
(3) الشورى 17 .
(4) نظم الدرر 6 / 617 .
(5) السابق 6 / 617 .
(6) الدخان 35 .

في جنب الموت المؤبد على زعمهم أمر متلاش لا نسبة لها منه ، وساق سبحانه كلامهم على هذا الوجه إشارةً إلى أن الأمور إذا قيس غائبها على شاهدها، كان الإحياء بعد الموتة الثانية أولى لكونه بعد حياة من الإحياء بعد الموتة الأولى ، فحط الأمر على أن الابتداء كان من موت لم يتقدمه حياة »[1]. فالكفار يقرون بأن حياتهم الدنيا جاءت بعد موت لم تكن قبله حياة، ولكنهم لا يؤمنون بالحياة بعد الموت الذي كانت قبله حياة !

6-قوله تعالى: « إِنَّ فِى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ »[2].

يقارن البقاعي بين هذه الآية وآية سورة البقرة التي جاء فيها: « إِنَّ فِى خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ »[3]، فيذكر سبب حذف (خلق) هنا، أي: سبب مجيء الآية على حذف المضاف الذي ذكر في سورة البقرة فيقول: « ولما كانت الحواميم – كما روى أبو عبيدة في كتاب الفضائل عن ابن عباس رضي الله عنهما – لباب القرآن ، حذف ما ذكر في البقرة من قوله (خلق) ليكون ما هنا أشمل فقال: (السماوات) أي ذواتها بما لها من الدلالة على صانعها وخلقها على ما فيها من العبر بما فيها من المنافع وعظيم الصنعة ما لها من الشفوف الدال على تعددها بما فيها من الكواكب، (والأرض) كذلك بما حوت من المعادن والمعايش والمنابع والمعاون (لآيات) أي: دلائل على وحدانيته وجميع كماله »[4].

فهو يربط بين حذف المضاف والمعنى في هذه الآية، معللا هذا الحذف بأنه لإفادة أن ما في السموات والأرض على وجه الشمول – وليس من جهة خلقهما فقط – دليل على قدرة الله ووحدانيته سبحانه وتعالى، وقد جاء هذا الحذف لإفادة هذا المعنى الذي يتلاءم مع سورة الجاثية بصفة خاصة والحواميم بصفة عامة التي هي لباب القرآن.

وقد ورد ذكر خَلْق السموات والأرض كآية من آيات الله وقدرته – أي: بذكر المضاف وهو (خَلْق) – في آيات كثيرة، منها آية سورة البقرة التي سبق ذكرها، ومنها

([1]) نظم الدرر 7 / 77 .
([2]) الجاثية 3 .
([3]) البقرة 164 .
([4]) نظم الدرر 7 / 89 .

قوله تعالى: « إِنَّ فِى خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِى الْأَلْبَابِ »(1) ، وقوله تعالى: « الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا ما خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ »(2) ، وقوله تعالى: « وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ »(3) ، وقوله تعالى: « وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ»(4).

ففي كل هذه الآيات وردت بذكر المضاف وهو (خلق)، ولم ترد بدون المضاف كآية من آيات قدرة الله تعالى إلا في آية سورة الجاثية للدلالة التي ذكرها البقاعي آنفا، وفي قوله تعالى: « قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِى الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ »(5) ، للدلالة على التأمل في السموات والأرض من جميع النواحي من الخلق وغيره.

7-قوله تعالى: « إِذَآ أُلْقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقاً وَهِىَ تَفُورُ »(6).

ذكر البقاعي أن قوله: (سمعوا لها شهيقا) يحتمل أن يكون معناه: سمعوا لها نفسها شهيقا، ويحتمل أن يكون على حذف مضاف، أي: سمعوا لأهلها، يقول: «سمعوا لها) أي جهنم نفسها (شهيقاً) أي صوتاً هائلاً أشد نكارة من أول صوت الحمال لشدة توقدها وغليانها ، أو لأهلها – على حذف مضاف »(7).

8-قوله تعالى: « أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ »(8).

---

(1) آل عمران 190 .
(2) آل عمران 191 .
(3) الروم 22 .
(4) الشورى 29 .
(5) يونس 101 .
(6) الملك 7 .
(7) نظم الدرر 8 / 71 .
(8) الفجر 6 – 7 .

جاء قوله: (إرم) هنا على حذف مضاف، والتقدير: (أهل إرمَ)، وقد بين البقاعي سبب حذف المضاف هنا وإطلاق (إرم) عليهم، فقال: « قال مبيناً لهم – أي: لأهل عاد – على حذف مضاف : (إرم) أي أهلها وعمدتها، وأطلقها عليهم لشدة الملابسة لما لها من البناء العجيب والشأن الغريب ، ثم بينها بقوله: (ذات) أي صاحبة (العماد) أي البناء العالي الثابت بالأعمدة التي لم يكن في هذه الدار مثلها »[1].

وقد عد سيبويه الحذف فيما سبق ضربا من اتساع الكلام والاختصار، يقول: « ومما جاء على اتّساع الكلام والاختصارِ قوله تعالى جدّه: (واسألِ القَرْيةَ التى كُنَّا فيها والعير التى أقبلنا فيها) [2]، إنّما يريد: أهلَ القرية، فاختصر، وعمل الفعل في القرية كما كان عاملاً في الأهل لو كان هاهنا. ومثله: (بَلْ مَكْرُ الليلِ والنَّهارِ) [3]، وإنّما المعنى: بل مكركم فى الليل والنهار. وقال عزّ وجلّ: (ولكنَّ البرَّ مَنْ آمن بالله)[4]، وإنّما هو: ولكنّ البِرَّ برُّ مَنْ آمن بالله واليوم الآخِر. ومثله فى الاتّساع قولُه عزّ وجلّ: (وَمَثَلُ الذين كفروا كمثل الذى يَنْعِقُ بما لا يَسْمَعُ إلا دعاءً ونداءً) [5]، وإنَّما شُبّهوا بالمنعوق به، وإنَّما المعنى: مَثَلُكم ومَثَلُ الذين كفروا كمثل الناعِق والمنعوقِ به الذى لا يَسمع، ولكنه جاء على سعة الكلام والإيجاز لعلم المخاطَب بالمعنى»[6].

([1]) نظم الدرر 8 / 416 .
([2]) يوسف 82 .
([3]) سبأ 33 .
([4]) البقرة 177 .
([5]) البقرة 171 .
([6]) الكتاب 1 / 212 .

المبحث الثاني
علاقــة الإضافــة غير المباشرة

ذكـرتُ قبـل ذلـك أن هـذا النـوع مـن الإضـافة يـتم بواسـطة حـروف الجـر، ولهـذه الحروف أهمية كبرى في النص اللغوي، حيث إنها وسيلة لفهم المعنـى المراد، وقد أولاها العلماء قديما عناية كبيرة، وأدرجوها ضمن حروف المعاني، نظرا لأنها تؤدي معنـى في غيرها، ونظرا لأهميتها خصص لها السيوطي بابا في كتابه (الإتقان) سماه: (الأدوات التي يحتاج إليها المفسر)، ثم قال: « وأعني أن معرفة ذلك من المهمات المطلوبة لاختلاف مواقعها ولهذا يختلف الكلام والاستنباط بحسبها »[1].

ولكون هذه الحروف لا تؤدي معنى إلا في غيرها افتقرت إلى ما يكون معها ليفيد معناه فيها[2]، ولكونها تفتقر إلى ما يكون معها ليفيد معناه فيها انحصرت وظيفتها في أكثر المواضع بالوصل بين مفردات التركيب، وتعليق معنى السابق لها باللاحق[3]، وبالإضافة إلى ذلك فإنها تحقق الإيجاز والإختصار، إذ إن « حروف الجر جاءت نائبة عن الأفعال التي هي بمعناها » [4].

ومعنى هذا أن هناك كلمتين ترتبط الأولى منهما بالثانية بعلاقة إضافة وهذه العلاقة تتم بواسطة حرف من حروف الجر، ويكون الجار والمجرور متعلقين بتلك الكلمة الأولى، كما في قولنا: (جلس محمد على الكرسي)، فقد ارتبط الفعل (جلس) بالاسم (الكرسي) بعلاقة إضافة، وتمت هذه الإضافة بواسطة حرف الجر (على) الذي أفاد الاستعلاء هنا.

([1]) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي 2 / 166 .

([2]) انظر: شرح المفصل 8/ 4 .

([3]) انظر: دور البنية الصرفية في وصف الظاهرة النحوية وتقعيدها، رسالة ماجستيرل/ لطيفة إبراهيم النجار، نشر/ دار البشير – عمان – الأردن، الطبعة الأولى 1994م، ص193.

([4]) شرح المفصل 8/ 7 .

وقد اهتم مفسرو القرن التاسع الهجري ببيان هذا النوع من العلاقات النحوية في الآيات التي اشتملت عليها، حيث عُنوا ببيان دلالة هذه الإضافة غير المباشرة، وتحديد حرف الجر الذي بواسطته تمت هذه العلاقة، وبيان معناه كما عُنوا بتحديد ما يتعلق به الجار والمجرور، وفيما يلي أذكر نماذج من كتب التفسير في القرن التاسع الهجري تثبت ذلك.

1-قوله تعالى: « فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ»(1).

ففي هذه الآية الكريمة جاءت كلمة (مريضا) بصيغة الوصف، ثم عطف عليها الجار والمجرور (على سفر) بالإضافة أو النسبة غير المباشرة بواسطة حرف الجر (على) دون أن يقال: (مسافرا)، وهنا يقارن البقاعي دلاليا بين الأمرين، فيقول: « ولما كان المرض وصفاً جاء بلفظ الوصف ولما كان السفر – وهو إزالة الكِنّ[2] عن الرأس تمام دورة يوم وليلة بالمسير عنه بحيث لا يتمكن من عوده لمأواه في مدار يومه وليلته – نسبةً بين جسمانيين جاء بحرف الإضافة مفصولاً فقال: (أو على سفر) »[3] .

2-قوله تعالى: « وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ »[4].

بين النيسابوري دلالة إضافة أو نسبة التكبير إلى قوله: (ما هداكم) بواسطة حرف الجر (على) فقال: « وعدى فعل التكبير بعلى لتضمين معنى الحمد أي ولتكبروا الله حامدين على ما هداكم »[5].

3-قوله تعالى: « وَالَّتِى أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَآ آيَةً لِّلْعَالَمِينَ »(6).

---

(1) البقرة 184 .
(2) الكِنّ : كل ما يُستتَر فيه سواء أكان غارا أو مكانا عاليا أو بيتا .
(3) نظم الدرر 1/ 339 .
(4) البقرة 185 .
(5) تفسير النيسابوري 1 / 504 .
(6) الأنبياء 91 .

فقد بين البقاعي دلالة إضافة النفخ إلى ضمير الغائب العائد على السيدة مريم – عليها السلام – إضافة غير مباشرة بواسطة حرف الجر (في)، دون إضافته إلى فرجها وحده، حيث قال: « ولعله أضاف هنا النفخ إليها ، لا إلى فرجها وحده ، ليفيد أنه – مع خلق عيسى عليه السلام به وإفاضة الحياة عليه حساً ومعنى – أحياها هي به معنى بأن قوى به معانيها القلبية حتى كانت صديقة متأهلة لزواجها بخير البشر في الجنة »[1] .

4–قوله تعالى: « فَأَوْقِدْ لِي يَاهَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحاً لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى »[2] ، فقد بين هنا دلالة نسبة أو إضافة الإيقاد إلى ضمير المتكلم المراد به فرعون بواسطة حرف الجر اللام، فقال: « أضاف الإيقاد إليه إعلاماً بأنه لا بد منه »[3] .

5– قوله تعالى: « يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ »[4].

ففي هذه الآية أضيف الفعل في قوله: (امسحوا) إلى الاسم في قوله: (رؤوسكم) إضافة غير مباشرة بواسطة حرف الجر الباء الذي أفاد الإلصاق، وهنا يبين البقاعي دلالة ذلك وسبب العدول إليه دون أن بفعل فيه مثلما فعل في قوله: (فاغسلوا وجوهكم) أي بتعدية الفعل إليه مباشرة وهي علاقة فرعية لعلاقة التخصيص، يقول: « ولما عدل عن تعدية الفعل إلى الرأس ، فلم يفعل كما فعل في الغسل مع الوجه ، بل أتى بالباء فقال : (برءوسكم) علم أن المراد إيجاد ما يسمى مسحًا في أي موضع كان من الرأس، دون خصوص التعميم وهو معنى قول الكشاف : المراد إلصاق المسح بالرأس ، وماسح بعضه ومستوعبه بالمسح كلاهما ملصق للمسح »[5] .

([1]) نظم الدرر 5/ 108 .
([2]) القصص 38 .
([3]) نظم الدرر 5/ 490 .
([4]) المائدة 6 .
([5]) نظم الدرر 2 / 402 ، وانظر: الكشاف للزمخشري 1 / 610 .

6-قوله تعالى: « سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى »(1).

بعد أن بين البقاعي أن الفعل (أسرى) يستعمل متعديا وقاصرا، ذكر أنه قد اختير القاصر الذي أضيف لما بعده بواسطة حرف الجر الباء للدلالة على المصاحبة،يقول: « ولما كان حرف الجر مقصوراً على إفادة التعدية في (سرى) الذي بمعنى (أسرى)، وكان (أسرى) يستعمل متعدياً وقاصراً – عبر به، واختير القاصر للدلالة على المصاحبة زيادة في التشريف فقال تعالى:(بعبده)»[2].

7-قوله تعالى: « قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ»(3).

ذكر البقاعي أن الباء في (بالله) زائدة للتأكيد، يقول: « ومعنى الباء في (بالله) أي الذي له الإحاطة الكاملة – التأكيد »[4] ، وقد علل البقاعي سبب زيادة الباء للتأكيد بقول علي بن عيسى الرماني: « دخلت لتحقيق الإضافة من وجهين جهة الفاعل و جهة حرف الإضافة و ذلك أن الفعل لما جاز أن يضاف إلى غير فاعله بمعنى أنه أمر به أزيل هذا الاحتمال بهذا التأكيد »[5] .

8- قوله تعالى: « **كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلاَ يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ** »(6).

جوز البقاعي هنا وجهين لتعلق اللام في قوله: (لتنذر): أحدهما بالفعل (أُنزِل)، والآخر بمعنى النهي، وهي في كلتا الحالتين تفيد التعليل، يقول: «ويجوز أن تتعلق لام (لتنذر) بمعنى النهي، أي انف الحرج الواقع لأجل لكذا ، فإن من كان

---

(1) الإسراء 1 .
(2) نظم الدرر 4 / 328 .
(3) الرعد 43 .
(4) نظم الدرر 4 / 163 .
(5) نظم الدرر 4 / 163 ، ولم أجد هذا النص في كتب الرماني.
(6) الأعراف 2 .

منشرح الصدر أقدم على ما يريد أو يحرج ، أي لا يكن الحرج الواقع لأجل أن تنذر، أي لأجل إنذار به »[1].

9–قوله تعالى: « وَإِذْ قُلْتُمْ يَامُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ »[2].

ذكر البقاعي معنى حرف الجر اللام الذي بواسطته تحققت إضافة الفعل (نؤمن) إلى كاف الخطاب في قوله: (لك)، فقال إنها بمعنى: (لأجل)، أي: لن نؤمن لأجل قولك[3]، ثم بين سبب التعبير باللام هنا عدولا عن الأصل؛ إذ الأصل تعدية (نؤمن) بالباء، ناقلا ذلك عن الحرالي[4]، فقال: « قال الحرالي : وجاء باللام لأنهم قد كانوا آمنوا به فتوقفوا عن الإيمان له الذي يتعلق بأمور من تفاصيل ما يأتيهم به ، فمن آمن لأحد فقد آمن بأمور لأجله ، ومن آمن به فقد قَبِل أصل رسالته »[5] .

فهو يبين هنا الفرق بين تعدية (نؤمن) بالباء واللام، فالتعدية بالباء تفيد أنهم آمنوا بأصل رسالته، وأن التعدية باللام تفيد أنهم آمنوا بأمور لأجله، ولما كانوا قد آمنوا به، ولكنهم علقوا الإيمان له برؤية الله جهرة – فقد تعدى الفعل باللام للدلالة على ذلك.

10–قوله تعالى: « فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَاآدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى »[6].

في هذه الآية أضيف الفعل (وسوس) بواسطة حرف الجر (إلى) إلى ضمير الغائب، وقد بين البقاعي دلالة اختيار (إلى) هنا دون اللام، ويفرق دلاليا بين هذه الآية،

([1]) نظم الدرر 3 / 3 .
([2]) البقرة 55 .
([3]) انظر: نظم الدرر 1 / 136 .
([4]) هو: أَبُو الحَسَنِ عَلِيُّ بنُ أَحْمَدَ بنِ حَسَنٍ التُّجِيْبِيُّ الأَنْدَلُسِيُّ، ت (638هـ)، مفسر من علماء المغرب، أصله من (حَرَّالة) من أعمال (مُرْسية)، وولد بالمغرب، أخذ العربية عن ابن خروف وغيره، له كتاب في التفسير يسمى: (مفتاح الباب المقفل لفهم القرآن المنزل) وهو مخطوط، انظر: سير أعلام النبلاء لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي 23 / 47 .
([5]) نظم الدرر 1 / 136 .
([6]) طه 120 .

وآية سورة الأعراف التي أضيف فيها الفعل (وسوس) باللام، وهي قوله تعالى: « فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا »[1].

فبين البقاعي أن التعبير بـ (إلى) في آية سورة طه جاء؛ « لأن المقام لبيان سرعة قبول هذا النوع للنقائض وإن أتته من بعد ، أو لأنه ما أنهى إليه ذلك إلا بواسطة زوجه »[2]، أما في آية سورة الأعراف فلما كانت الوسوسة متعدية لآدم وحواء فإنها جاءت باللام، يقول البقاعي: « لذلك عدى الفعل عند ذكرهما باللام »[3].

11–قوله تعالى: « وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ »[4].

يجوز في الفعل (ينفق) أن يتعدى إلى ما بعده مباشرة، أي: يكون ما بعده مفعولا به، فيكون مرتبطا بالفعل بعلاقة تعدية وهي علاقة فرعية لعلاقة التخصيص، ويجوز أن يرتبط بما بعده بواسطة علاقة الإضافة غير المباشرة أي: بواسطة حرف جر، وقد جاء في هذه الآية على العلاقة الثانية، فذكر البقاعي دلالة حرف الجر (مِنْ)، فبين أنه هنا للتبعيض[5]، ورأى أن فائدة التبعيض هنا التنبيه « على طيب النفقة لأن الله طيب لا يقبل إلا طيباً وآمراً بالورع وزاجراً عما فيه شبهة؛ لأن الرزق يشمل الحلال والحرام والمشتبه »[6].

12–قوله تعالى: « وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ »[7].

ذكر البقاعي أن (مِنْ) في قوله: (من مثله) هنا تبعيضية، كما بين الحكمة من الإتيان بها في قوله: « وحكمة الإتيان بـ(من) التبعيضية في هذه السورة دون بقية القرآن أنه – سبحانه – لما فرض لهم فيها الريب الذي يلزم منه زعمهم أن يكونوا اطلعوا له

([1]) الأعراف 20 .
([2]) نظم الدرر 5 / 52 .
([3]) نظم الدرر 5 / 52 .
([4]) البقرة 3 .
([5]) انظر: نظم الدرر 1 / 34 .
([6]) نظم الدرر 1 / 34 .
([7]) البقرة 23 .

على مثيل أو سمعوا أن أحداً عُثر له على شبيه اقتضى الحال الإتيان بها ليفيد أن المطلوب منهم في التحدي قطعةٌ من ذلك المثل الذي ادعوه حكيمةُ المعاني متلائمةُ المباني منتظمٌ أولها بآخرها كسور المدينة في صحة الانتظام وحسن الالتئام والإحاطة بالمباني التي هي كالمعاني والتقاء الطرفين حتى صار بحيث لا يدرى أوله من آخره، سواء كانت القطعة المأتي بها تباري آية أو ما فوقها؛ لأن آيات القرآن كسورة يعرف من ابتدائها ختامها ويهدي إلى افتتاحها تمامُها، فالتحدي هنا منصرف إلى الآية بالنظر الأول وإلى ما فوقها بالنظر الثاني.

والمراد بالسورة هنا مفهومها اللغوي ، لأنها من المثل المفروض وهو لا وجود له في الخارج حتى يكون لقطعة اصطلاح في الأسماء معروف ، ولأن معرفة المعنى الاصطلاحي كانت مخصوصاً بالمصدقين ولو أريد التحدي بسورة من القرآن لقيل : فائتوا بمثل سورة منه »[1] .

13- قوله تعالى: « وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ »[2] ، فقد تعلق الجار والمجرور (على ملك) بالفعل (تتلو)، وقد ذكر البقاعي أن (على) أفهمت أن « السحر كان في تلك الأيام ظاهراً عالياً »[3]، فمعنى ذلك أن (على) أفادت الاستعلاء المعنوي.

وقد جوز وجها آخر وحسنَّه، وهو أن يكون الفعل (تتلو) قد ضمن معنى (تكذب)، يقول: « وأحسن من هذا أن يضمن (تتلوا) تكذب ، فيكون التقدير: تتلو كذباً على ملكه »[4] .

14- قوله تعالى: « لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ »[5] ، فـ (على) في قوله: (عليكم حجة) تفيد الاستعلاء المعنوي، يقول البقاعي: « ووصفها

([1]) نظم الدرر 1 / 63 .
([2]) البقرة 36 .
([3]) نظم الدرر 1 / 205 .
([4]) نظم الدرر 1 / 205 .
([5]) البقرة 150 .

بالاستعلاء عليهم لما يحصل بها من الأذى بدلالتها على العداوة والشقاق لا بتغييرها في وجه شيء من الأدلة »[1] .

15–قوله تعالى: « كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ »(2)، فقد بين البقاعي أنه « أشار بأداة الاستعلاء إلى غلبتهم وشدة هوانهم فقال: (عليهم) »[3].

ومن ذلك أيضا قوله تعالى: « وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ »(4) ، يقول البقاعي مبينا معنى (على) وفائدتها: « ثم عبر بأداة الاستعلاء إشارة إلى عموم النعم وغلبتها فقال: (عليكم) »[5] .

16– قوله تعالى: « قُولُواْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا »(6)، فقد بين البقاعي هنا دلالة اختيار حرف الجر (إلى) لتتم بواسطته إضافة الفعل (أنزل) إلى ضمير المتكلمين، فبين أنه نظرا لأن الخطاب للمؤمنين، ونظرا لأن تعدية الإنزال بـ (إلى) تقتضي الانتهاء، وكان ذلك يقتضي واسطة قبل الانتهاء، كان الأنسب في هذه الآية لتوجيه الأمر إليهم التعبير بـ (إلى) [7].

فالتعبير بـ (إلى) هنا مناسب للسياق – كما يرى البقاعي – بخلاف آية آل عمران، وهي قوله تعالى: « قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا »(8) ، حيث تعدى الفعل بـ (على)؛ لأن الخطاب في قوله: (قل) هنا للرسول – صلى الله عليه وسلم – وليس للمؤمنين – كما في الآية التي قبلها، فـ « كان الأنسب أن يقال : (وما أنزل علينا)، فيكون ذلك له حقيقة ولأتباعه مجازاً »[9].

([1]) نظم الدرر 1 / 274 .
([2]) البقرة 167 .
([3]) نظم الدرر 1 / 303 .
([4]) البقرة 231 .
([5]) نظم الدرر 1 / 436 .
([6]) البقرة 136 .
([7]) انظر: نظم الدرر 1 / 254 .
([8]) آل عمران 84 .
([9]) نظم الدرر 2 / 120 .

وهكذا لما كان الخطاب للمؤمنين في الآية الأولى ناسب ذلك التعبير بحرف الجر (إلى) الذي يدل على انتهاء النزول إليهم، ولما كان الخطاب للرسول – صلى الله عليه وسلم – في الآية الثانية ناسب ذلك التعبير بـ (على)؛ لأن الرسول واسطة بين الله – عز وجل – وبين المؤمنين، وليس نهاية النزول إليه.

17– قوله تعالى: « أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَآئِكُمْ »(1) ، فقد أضيف (الرفث) إلى (نساؤكم) بواسطة حرف الجر (إلى)، وهو هنا يفيد انتهاء الغاية؛ « لتضمين الإفضاء، أي: مفضين إلى نسائكم بالجماع قولاً وفعلاً »(2).

18–قوله تعالى: « وَلاَ تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ »(3) ، فـ (في) هنا أفادت الظرفية المكانية، وقد ذكر البقاعي علة التعبير بـ (عند) في قوله: (عند المسجد الحرام) ، وبـ (في) في قوله: (فيه)، حيث قال: « وكأنه عبر بـ(فيه) في الثاني و(عند) في الأول، والمراد: الحرم في كل منهما؛ كفاً عن القتال فيه مهما وُجد إلى الكف سبيلٌ؛ تعظيماً له وإجلالاً لمحله؛ لأنه موضع للصلاة التي أعظم مقاصدها السجود لا لغيره فضلاً عن القتال »(4) .

19–قوله تعالى: « وَلاَ تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِى الْمَسَاجِدِ »(5) ، فـ (في) هنا أيضا للظرفية المكانية، ونظرا لأن تحديد المعنى المراد يتوقف على معرفة ما يتعلق به الجار والمجرور (في المساجد) فقد بينه البقاعي في قوله: « و(في المساجد) ظرف لعاكفون »(6)، ويترتب على ذلك أنه « تحرم المباشرة في الاعتكاف ولو في غير المسجد »(7) ، فـ « تقييد الاعتكاف بها لا يفهم صحته في غير مسجد »(8) ، وإذا كان كذلك فإن الجار والمجرور (في المسجد) « إنما ذكر لبيان الواقع ليفهم حرمة الجماع في

---

(1) البقرة 187 .
(2)نظم الدرر 1 / 350 .
(3) البقرة 191 .
(4)نظم الدرر 1 / 364 .
(5) البقرة 187 .
(6)نظم الدرر 1 / 356 .
(7)نظم الدرر 1 / 356 .
(8)نظم الدرر 1 / 356 .

المساجد، لأنه إذا حُرِّم تعظيماً لما هي سبب لحرمته ومصححة له كانت حرمته تعظيماً لها لنفسها أولى »[1] .

وقد ذكر البقاعي وجها آخر لتقييد الاعتكاف بكونه في المسجد، وحسن هذا الوجه، وهو قوله: « أو يقال وهو أحسن : لما كان معنى العكوف مطلق الحبس قيده بالمسجد ليفهم خصوص الاعتكاف الذي هو الحبس عبادة » [2].

وقد ذكرت في مبحث سابق عند الحديث عن علاقة الظرفية التي هي علاقة فرعية لعلاقة التخصيص الآيات التي اشتملت على الظروف: (قبل)، و(بعد)، و(فوق) التي ارتبطت بالفعل بعلاقة الظرفية دون أن تسبق هذه الظروف بحرف الجر (من)، وبينت دلالة هذه العلاقة.

أما هنا فأذكر الآيات التي اشتملت على تلك الظروف السابقة ولكن سبقت بحرف الجر (مِنْ)، حيث إن هذا معنى هذا الحرف وهو التبعيض يؤثر على المعنى الذي تفيده هذه الظروف في هذه الآيات، إذ تصبح هذه الظروف دالة على حدوث الفعل في بعض الوقت، وليس مستغرقا للزمان كله أو المكان الذي يفيده الظرف.

ومن ذلك قوله تعالى: « فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلاَ تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ »[3] ، فقد بين البقاعي أن دخول(مِنْ) قبل الظرف (بعد) هنا يدل على أن المراد تحريم زواج الرجل من مطلقته طلاقا بائنا بينونة كبرى في أي وقت ولو كان قليلا منذ الطلاق وحتى زواجها من آخر، ويرى أن عدم دخول (مِنْ) قد يوهم أن المحرم هو الزواج بها في زمن استغراق البعد، أما الزواج بها في بعض هذا الزمن فحلال، يقول: « ولما كان إسقاط الحرف والظرف يوهم أن الحرمة تختص بما استغرق زمن البعد، فيفهم أن نكاحه لها في بعض ذلك الزمن يحل، قال: (من بعد)، أي: في زمن ولو قل من أزمان ما بعد استيفاء

([1])نظم الدرر 1 / 356 .
([2])نظم الدرر 1 / 356 .
([3]) البقرة 230 .

الـدور الـذي هـو الـثلاث بمـا أفـاده إثبـات الجار،وتمتـد الحرمـة (حتـى) أي إلـى أن (تَنكِح)»[1]، فـ (من) هنا أفادت التحريم في أي وقت من زمن الاستغراق ولو كان بعضه.

ومن ذلك أيضا الآيات التالية:

- « ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون »[2].
- « ثم توليتم من بعد ذلك »[3].
- « وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا »[4].
- « قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم صادقين »[5].
- « ود الذين كفروا من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم »[6] .
- « يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده »[7].

فالبقاعي يرى أن مجيء حرف الجر (مِنْ) قبل الظرف (قبل)، و(بعد) في هذه الآيات وغيرها يدل على حدوث الفعل في بعض الوقت، ففي الآية الأولى دل حرف الجر (من) على أن اتخاذ العجل كان في بعض الوقت، يقول البقاعي: «إثبات الجار لأن اتخاذهم ذلك لم يستغرق زمان البعد »[8].

وفي الآية الثانية دل على أن توليهم لم يستغرق زمن البعد[9]، وفي الآية الثالثة دل على أن استفتاحهم كان في بعض الزمان[10].

([1]) نظم الدرر 1 / 434 .
([2]) البقرة 51 .
([3]) البقرة 64 .
([4]) البقرة 89 .
([5]) البقرة 91 .
([6]) البقرة 109 .
([7]) آل عمران 65 .
([8]) نظم الدرر 1 / 133 .
([9]) السابق 1 / 167 .
([10]) السابق 1 / 191 .

وفي الآية الرابعة دل على أن قتلهم الأنبياء حدث في بعض الأزمان الماضية[1].

وفي الآية الخامسة أشار حرف الجر (من) إلى تمني الذين كفروا من أهل الكتاب رد المؤمنين كفارا في بعض الأوقات، وإلى قناعتهم بذلك الشيء المستحيل ولو في زمن يسير[2].

وفي الآية السادسة أفادت (مِن) أن إنزال التوراة والإنجيل كان في بعض الأوقات، وليس مستغرقا لكل الزمان الآتي بعد سيدنا إبراهيم، يقول البقاعي: « ولما كان إنزال كتاب كل منهم غير مستغرق للزمان الآتي بعده أدخل الجار فقال : (من بعده) »[3].

وهكذا فإن الظروف (قبل) و(بعد) و(فوق) قد جاءت في الآيات السابقة مسبوقة بحرف الجر (من) الذي أثر معناه – وهو التبعيض – على معنى الظرفية.

قد تأتي – كما ذكرتُ آنفا – مرتبطة بعلاقة الظرفية مع الفعل دون أن تسبق بحرف الجر (من) وهو ما تناولته في المبحث الخاص بعلاقة الظرفية التي هي علاقة فرعية لعلاقة التخصيص وبينت دلالته، ومن نماذج ذلك أيضا:

قوله تعالى: « ورفعنا فوقكم الطور »[4] ، فقد ارتبط الظرف (فوق) بعلاقة الظرفية مع الفعل، مع عدم سبقه بـ (مِن) الجارة، وهذا أفاد هنا – كما ذكر البقاعي أن الجبل « قد صار فوقهم كالظلة عاماً لهم بحيث إنه إذا وقع عليهم لم يفلت منهم إنسان »[5].

فكأنه يقصد أن نزع الجار (مِنْ) نزع معه معنى البعضية التي لو وجدت لأفادت أن الجبل قد صار فوق بعضهم وليس كلهم كالظلة، مما ينتج عنه احتمال نجو بعضهم إذا وقع عليهم، ولكن نزع حرف الجر نزع معه هذا الاحتمال، وأفاد المعنى الأول.

وما سبق ينطبق على قوله تعالى: « ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا »[1]، فقد وردت (بعد) هنا مرتبطة بالفعل بعلاقة الظرفية الزمانية التي هي علاقة فرعية لعلاقة

([1]) نظم الدرر 1 / 197 .
([2]) السابق 1 / 219 .
([3]) السابق 2 / 110 .
([4]) البقرة 63 .
([5]) مظم الدرر 1 / 166 .

التخصيص، وجاءت غير مسبوقة بحرف الجر (مِنْ) للدلالة على أن المؤمنين يسألون الله – عز وجل – دوام الثبات على الإيمان بعد هداية الله لهم، وذلك في كل الأوقات، وليس في بعضها، يقول البقاعي: « ولما كان صلاح القلب صلاح الجملة وفساده فسادها وكان ثبات الإنسان على سنن الاستقامة من غير عوج أصلاً مما لم يُجرِ به سبحانه وتعالى عادته لغير المعصومين قال نازعاً الجار مسنداً الفعل غلى ضمير الجملة : (بعد إذ هديتنا) »[2].

كذلك قوله تعالى: « فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون »[3]، فقد جاءت (بعد) غير مسبوقة بـ (مِنْ) للدلالة على أن « المستحق بغاية الذم إنما هو من اتصل توليه بالموت »[4]، أي: من كان توليه مستغرقا كل الزمان التالي للميثاق المذكور في الآية السابقة، وهي: « وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَآ آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُمْ مِّنَ الشَّاهِدِينَ »، فهذا هو الذي يدخل في نطاق الذم والحكم عليه بانه من الفاسقين، أما من تولى ولكن تاب بعد ذلك في أي وقت فلا يدخل في هذا الذم، ولا يحكم عليه بأنه من الفاسقين.

ولذلك لما كان اتخاذ قوم موسى العجل الذي بينه الله في قوله تعالى: « يسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَاباً مِّنَ السَّمَآءِ فَقَدْ سَأَلُواْ مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذٰلِكَ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا اللَّهِ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُواْ الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذٰلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَاناً مُّبِيناً »[5] – لما كان اتخاذهم العجل لم يستغرق الزمان التالي لإحياء الله لهم بعد موتهم، بل كان في بعض الزمان، ثم تابو عنه، دخل حرف الجر

([1]) آل عمران 8 .
([2]) نظم الدرر 2 / 26 .
([3]) آل عمران 82 .
([4]) نظم الدرر 2 / 119 .
([5]) النساء 153 .

(من) على (بعد)، يقول البقاعي: « وأدخل الجار إعلاماً بأن اتخاذهم لم يستغرق زمان البعد ، بل تابوا عنه »[1].

وهكذا فإن البقاعي يرى أن دخول حرف الجر (مِنْ) قبل (بعد)و(قبل) له دلالة تتمثل في الإشارة إلى ان حدوث الفعل لا يستغرق الزمان كله المراد في الآية، وأن عدم مجيئها له دلالة أيضا تتمثل في استغراق الزمان كله.

وبعد فيتضح مما سبق اهتمام مفسري القرن التاسع الهجري ببيان دلالات الإضافة بنوعيها: المباشرة وغير المباشرة، واهتمامهم أيضا ببيان معاني حروف الجر التي بواسطتها تنشأ علاقة الإضافة غير المباشرة، وعنايتهم كذلك ببيان ما تتعلق به هذه الحروف نظرا لتوقف تحديد المعنى المراد على ذلك.

وقد اشتمل القرآن الكريم على آيات كثيرة اشتملت على علاقة بين الجار والمجرور ومتعلقهما، مع تقديم الجار والمجرور على هذا المتعلق، وهنا عُني مفسرو القرن التاسع الهجري أيضا بتوضيح هذه العلاقة مع بيان دلالات هذا التقديم، ومن هذه الدلالات التي ذكروها:

التخصيص، كما في الآيات التالية:

1- قوله تعالى: « وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ »[2].

فهنا علاقة إضافة بين (خالدون) وضمير الغائب في قوله: (فيها) وقد تقدم الجار والمجرور (فيها) على متعلقهما (خالدون) ليفيد – كما يقول البقاعي « تخصيص الكون بها وعدم الكون في غيرها»[3].

2- قوله تعالى: « اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ»[4].

([1]) نظم الدرر 2 / 346 .
[2] البقرة 25 .
[3] نظم الدرر 1 / 74 .
[4] آل عمران 2 .

فقد أفاد تقديم الجار والمجرور على المفعول به هنا تخصيص سيدنا محمد بذلك، يقول البقاعي: « (عليك) أي: خاصة بما اقتضاه تقديم الجار من الحصر، وكأن موجب ذلك ادعاء بعضهم أنه يوحى إليه وأنه يقدر على الإتيان بمثل الوحي »[1].

3-قوله تعالى: « وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ »[2].

ففي هذه الآية بيان أن إبليس – لعنه الله – كان يحاول إقناع آدم وحواء – عليهما السلام – بأنه يريد تقديم النصح لهما، فأقسم لهما أولا على ذلك، ثم أكد كلامه بـ(إنَّ)، ثم زاد ذلك تأكيدا بتقديم الجار والمجرور على متعلَّقه (الناصحين)، ليفيد بذلك التخصيص والقصر، فكأنه يقول لآدم وحواء: إني خصصتكما بنصيحتي، يقول البقاعي: « أكد – لمعرفته أنهما طُبعا على النفرة من المعصية – ما أقسم عليه أنواعا من التأكيد في قوله : (إني لكما)، فأفاد تقديم الجار المفهم للاختصاص أنه يقول إني خصصكما بجميع نصيحتي »[3].

4- قوله تعالى: « وما جعَلَه اللهُ إلا بُشْرىٰ ولتطمِئنَّ به قلوبُكم »[4].

بين البقاعي عند تفسيره لهذه الآية دلالة تقديم الجاروالمجرور (به) على الفاعل (قلوبكم)، ولم يكتف بذلك بل قارن بين التقديم هناوعدمه في قوله تعالى في سورة آل عمران: « وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به »، بل قارن أيضا بين تقييد البشرى بالجار والمجرور (لكم) في الآية الثانية، وعدم تقييدها بهما في الآية الأولى، فذكر أنه لما كان النصر ظاهرا وواضحا في الآية الأولى أنه للمسلمين لم تتقيد البشرى بـ (لكم)، وتقدم الجار والمجرور على الفاعل لتأكيد أمر الإمداد والاهتمام به وتخصيصه بأنه سبب الطمأنينة، يقول البقاعي: « فلذلك وجب تقديم ضميره – يقصد: الإمداد – في قوله (به) على القلوب تأكيداً لأمره وتفخيماً لشأنه، وإشارة إلى إتمامه على عادة

---

(1) نظم الدرر: 2 / 8 .
(2) الأعراف 21 .
(3) نظم الدرر: 3 / 17 .
(4) الأنفال 10 .

العرب في تقديم ماهم به أعنى وهو عندهم أهم، فقال: (ولتطمئن) أي: (وطمأنينة) لتطمئن به، أي: وحده من غير نظر إلى شيء من قوتكم ولا غيرها »(1).

أما الآية الثانية فنظرا لأنها جاءت في سياق الحديث عن غزوة أحد؛ إذ جاءت لتذكير المسلمين – بعد هزيمتهم في أحد وقتل عدد كبيرمنهم – بنصر الله لهم في غزوة بدر، نظرا لذلك فقد قيدت البشرى بـ (لكم) حتى لا يتوهم أن البشرى للكفار، ولهذا أيضا قدم الفاعل وأخر الجار والمجرور لأنه الأنسب والموازن لقوله (بشرى لكم)، يقول البقاعي: « ولما كانت الهزيمة عليهم في هذه الكرة – أي: غزوة أحد – وكان المقتول منهم أكثر، قال : (لكم) لئلا يتوهم أن ذلك بشرى لضدهم ، ولمثل هذا قدم القلوب فقال : (ولتطمئن) »(2)، ويقول أيضا: « وأما في قصة أحد فلما قيدت البشرى بالإمداد بلكم لما تقدم ، علم الطمأنينة كذلك ، فكان الأنسب تأخير ضميره وتقديم القلوب الملابسة لضميرهم موازنة لقوله (لكم) »(3) .

وهكذا تبدو الآيتان متشابهتين من حيث المعنى، ولكن التأمل الدقيق في العلاقات النحوية في كل منهما وما طرأ عليهما من تقديم وتأخير مع مراعاة السياق الذي وردت فيه كل آية، كل هذا يقودنا إلى معرفة الفروق الدلالية الدقيقة بين الآيتين والتي لا يمكن الوصول إليها من خلال تفسير لا يُراعَي فيه تأمل العلاقات النحوية وربطها بالمعنى.

5- قوله تعالى: « ربنا آتنا من لدنك رحمة »(4).

ذكر النيسابوري دلالة تقديم الجارو المجرور هنا، فقال: « وتقديم (من لدنك) للاختصاص أي رحمة مخصوصة بأنها من خزائن رحمتك وهي المغفرة والرزق والأمن من الأعداء »(5).

6- قوله تعالى: « وَمَا يَأْتِيهِم مِّنْ نَّبِىٍّ إِلاَّ كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ »(6).

---

(1) نظم الدرر: 3 / 191 .
(2) نظم الدرر: 2/ 150 .
(3) نظم الدرر: 3 / 191 .
(4) الكهف 10 .
(5) تفسير النيسابوري 5 / 158 .
(6) الزخرف 7 .

ذكـر البقـاعي أن تقـديم الجـار والمجـرور (بـه) علـى متعلَّقـه – وهـو الفعـل (يستهزئون) « للإشارة إلـى أن استهزاءهم بـه لشدة مبالغتهم فيـه كأنـه مقصـور عليـه »[1].

7–قوله تعالى: « وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً »[2].

ذكـر البقـاعي هنـا أيضـا دلالـة تقديم الجـار والمجـرور (مـن الليـل) علـى متعلَّقـه، فذكر أن التقديم هنا جاء « لما في صلاة الليل من مزيد الكلفة والخلوص ومزيد الفضيلة لأن الالتفات فيه إلى جانب الحق أتم لزوال الشاغل للحواس من حركات الناس وأصواتهم وسائر الأحوال الدنيويـة ، فكـان أبعد عن الريـاء فكـان الخشوع فيـه واللذة التامـة بحـلاوة العبادة أوفى »[3].

8–قوله تعالى: « وَإِذْ قَالَ موسى لِفَتَاهُ لا أَبْرَحُ »[4].

بـين ابـن عرفـة دلالـة تقديم الجـار والمجـرور (لفتـاه) علـى جملـة مقول القـول (لا أبرح) الواقعة في محل نصب مفعولا بـه، ، وقارن بين تقديم الجار والمجرور هنا وبين تقديمـه علـى المفعـول أيضـا فـي قولـه تعـالى: « وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ »[5]، فـذكر أن التقـديم فـي الآيـة الأولـى أفـاد: « الاعتنـاء بالمقول لـه وتشريفه، والاهتمام بـه وتخصيصـه بتلك المقالـة دون غيره»[6]، أما فـي الآيـة الثانية فقد تقدم الجار والمجرور على المفعول « والأصل تأخيره عنه، ولا (يقدم) إلا لنكتة (تتوخى) والحكمة في ذلك أن النداء إقبال على المنادى، وتخصيص لـه فلو قيل: (وإذ) قال موسى: يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم لقومه. لما كان لقومه فائدة »[7].

---

[1] نظم الدرر: 7 / 7 .
[2] الإنسان 26 .
[3] نظم الدرر: 8 / 277 .
[4] الكهف 60 .
[5] البقرة 54 .
[6] تفسير ابن عرفة 1 / 290 .
[7] تفسير ابن عرفة 1 / 289 ، 290 .

ومن الدلالات التي ذكرها المفسرون في القرن التاسع الهجري أيضا لتقديم الجار والمجرور على متعلَّقهما: **الاهتمام** ، كما في الآيات التالية:

1-قوله تعالى: « إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ»(1).

بين البقاعي دلالة تقديم ضمير المحرم في قوله: (به)، وقارن بين التقديم هنا وعدمه في قوله تعالى: « وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ »(2)، فذكر أن التقديم في الآية الأولى للعناية بشأن المحرم، يقول: « وفي تقدم إضمار المحرم في قوله (به) تأكيد لمعناه؛ لأنهم يقدمون ما هم به أهم وهم ببيانه أعنى، قال (صلى الله عليه وسلم): (ابدؤوا بما بدأ الله به) ، فلما كانت هذه الآية جامعة، أي: التحريم أظهر فيها تقديم العناية بالمُحرَّم »(3)، وبسبب هذا التقديم هنا يرى البقاعي أن هذه الآية « في الإبلاغ أنهى معنى من الذي أُخِّر فيها هذا الضمير »(4).

أما في الآية الثانية فقد قدم (غير) لتقبيح حال المعتنى به، وذلك ملاءم لمقصود السورة، يقول البقاعي موضحا ذلك: « ولما كان مقصود السورة لبيان الكمال، كان تقديم غيره لتقبيح حال المعتنى به أولى فقال تعالى: (لغير الله) أي الملك الأعظم الذي لا ملك سواه »(5).

2-قوله تعالى: « فَمَنُ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَآ أَنَاْ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ »(6).

ففي هذه الآية علل البقاعي تقديم الجار والمجرور (عليكم) على متعلَّقه (وكيل) الواقع خبرا لـ (ما) بأنه للاهتمام، يقول: « ولما كان السياق لنفي تصرفه فيهم وأن ذلك

---

(1) البقرة 173 .
(2) المائدة 3 .
(3) نظم الدرر 1/ 317 .
(4) السابق 1/ 317 .
(5) السابق 4/ 318 .
(6) يونس 108 .

إنما هو إلى الله تعالى ، كان تقديم ضميرهم أهم فقال : (عليكم بوكيل)، فيُطلب مني حفظُكم مما يؤدي إلى الهلاك ومنه عنكم كما يُطلب من الوكيل »(1).

3-قوله تعالى: « وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُوراً »(2).

علل البقاعي أيضا تقديم الجار والمجرور في هذه الآية وهو قوله: (للناس) بأنه للاهتمام، يقول: « ولما كان مبنى السورة على بيان العناية بالناس الذين اتقوا والذين هم محسنون ، اقتضى المقام لمزيد الاهتمام تقديم قوله تعالى: (للناس) »(3).

4-قوله تعالى: « وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ »(4).

يقول البقاعي عن تقديم الجار والمجرور في هذه الآية وغيرها من الآيات المشابهة لها والتي جاءت على نفس هذا النمط التركيبي: « وقد مضى غيره مرة أن تقديم الجار في مثل هذا للتنبه على مزيد الاعتناء بعلم ذلك لا على الاختصاص ولا لأجل الفواصل »(5).

5- قوله تعالى: « وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِى عِندَكَ بَيْتاً فِى الْجَنَّةِ »(6).

في هذه الآية علل البقاعي أيضا تقديم الظرف المتصل بكاف الخطاب (عندك) بأنه للاهتمام، يقول: « ولما كان الجار مطلوباً - كما قالوا - قبل الدار، طلبت خير جار وقدمت الظرف اهتماماً به لنصه على المجاورة ولدلالته على الزلفى فقالت: (عندك بيتاً)، وعيَّنت مرادها بالعندية فقالت: (في الجنة) »(7).

---

(1) نظم الدرر 3/ 496 .
(2) الإسراء 89 .
(3) نظم الدرر 4 / 425 .
(4) الممتحنة 3 .
(5) نظم الدرر 7/ 553 .
(6) التحريم 11 .
(7) نظم الدرر 8 / 59 .

ومن الدلالات التي ذكرها المفسرون في هذ القرن لتقديم الظرف أو الجار والمجرور أيضا: الإفهام بعد الإبهام، كما في **قوله تعالى:** « إِلَىٰ اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ »[1]، يقول البقاعي: « ولما كان في تقديم الظرف إبهام ، وكان الإفهام بعد الإبهام أوقع في النفس ، قال: (فيه تختلفون) »[2].

ومن هذه الدلالات أيضا: كمال الشيء، وهذه الدلالة ذكرها البقاعي عند تفسيره لقوله تعالى: « **فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِؤُونَ** »[3]، فقد ذكر أن تقديم الجار والمجرور أفاد أنهم لم يكونوا يهزؤون بغير الحق الكامل »[4].

ومن هذه الدلالات المبالغة، ومن ذلك ما ذكره البقاعي عند قوله تعالى: « وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِم قَائِمُونَ »[5]، فالتقديم هنا يدل على مبالغتهم في القيام بالشهادة ورعايتهم لها، يقول البقاعي: « وتقديم المعمول إشارة إلى أنهم في فرط قيامهم بها ومراعاتهم لها كأنهم لا شاغل لهم سواها »[6].

وهكذا نشأت في الآيات السابقة علاقة نحوية بين جار ومجرور ومتعلَّق يتعلقان به، مع تقديم الجار والمجرور، وهو تقديم لا يخلو من دلالات اهتم ببيانها مفسرو القرن التاسع الهجري.

---

(1) المائدة 48 .
(2) نظم الدرر 2 / 478 .
(3) الأنعام 5 .
(4) نظم الدرر 2 / 589 .
(5) المعارج 33 .
(6) نظم الدرر 8 / 154 .

الفصل الرابع
علاقـة التبعيـة

مدخل

علاقة التبعية هي علاقة معنوية بين طرفين، حيث يكون الطرف الثاني تابعا للطرف الأول في الإعراب، وهذا التابع إما أن يكون نعتا للمتبوع أو مؤكدا له، أو معطوفا عليه، أو بدلا منه.

ومن ثم فإن علاقة التبعية علاقة معنوية كبرى تتفرع عنها أربع علاقات فرعية ، هي: النعت، والتوكيد، والعطف، والبدل.

وهذه العلاقات الفرعية تناولها النحاة تحت باب: التوابع، وسميت كذلك لأنها « لا يمسها الإعراب إلا على سبيل التبع لغيرها »[1] .

وتعتبر التوابع من الفضلات، أي ما ليس عمدة في الكلام، حيث لا تعد ركنا إسناديا فيها، وليس معنى ذلك عدم أهميتها في الجملة، بل إن إطلاق إصطلاح (فضلات) عليها لتمييزها عن العمد: كالفاعل والمبتدأ، فقد يتوقف معنى التركيب على ذكر التابع، كما في قوله تعالى: « فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون » [2]، فلو حذف النعت هنا (الذين) وصلته لفسد المعنى.

ومن ثم فإنه لا غنى لمحلل النص اللغوي عن الكشف عن هذه التوابع وبيان نوعها، وتحديد الطرفين اللذين نشأت بينهما علاقة التبعية، وبيان دلالات هذه التوابع، حيث لا تأتي في الكلام إلا ولها مغزى دلالي لا بد أن يتأمله محلل النص ويكشف عنه.

وهذا ما قام به مفسرو القرن التاسع الهجري وهم بصدد تفسيرهم للقرآن الكريم، حيث عنوا ببيان هذه التوابع وتحديد متبوعاتها، وما قد يعتريها من أحوال، والربط بينها وبين المعنى، وفيما يلي أذكر بعض الآيات التي توقف عندها مفسرو القرن التاسع

---

(1) شرح المفصل 3/ 38 .
(2) الماعون 4 ، 5 .

الهجري لبيان ما اشتملت عليه من علاقة التبعية، وتحديد طرفي هذه العلاقة، وبيان نوع التابع ودلالته، وسيكون ذلك من خلال المباحث التالية

المبحث الأول: علاقة الوصف.

المبحث الثاني: علاقة التوكيد.

المبحث: علاقة العطف.

المبحث الرابع: علاقة البدل.

المبحث الأول

علاقة الوصف

وتكون هذه العلاقة بين النعت والمنعوت حيث يأتي الثاني لبيان صفة في الأول، ومن ذلك الآيات التالية:

1-قوله تعالى: « قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ »[1].

جاءت كلمة (صفراء) في هذه الآية الكريمة نعتا حقيقيا لكلمة (بقرة)، ثم نعتت (البقرة) نعتا سببيا بقوله: (فاقع لونها)، وقد ذكر البقاعي دلالة هذا النعت السببي الذي عدل فيه عن وصف (صفراء) بـ (فاقعة) إلى وصف لون البقرة بـ (فاقع)، يقول: « وأكد شدة صفرتها بالعدول عن فاقعة إلى قوله معبراً باللون (فاقع لونها) أي خالص في صفرته »[2] .

2-قوله تعالى:«وَالَّذِينَ سَعَوْا فِى آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ»[3].

ذكر البقاعي أن كلمة (أليم) جاءت في هذه الآية نعتا، ثم ذكر أن المنعوت على قراءة الجماعة بجر (أليم) [4] هو (رجز)، وعلى قراءة ابن كثير وحفص عن عاصم برفعها[5] هو (عذاب) [6].

3-قوله تعالى: « قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِى خَلَقَ الأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَاداً ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَاتَهَا فِى أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ »[7] .

([1]) البقرة 69 .
([2]) نظم الدرر 1 / 169 .
([3]) سبأ 5 .
([4]) السبعة في القراءات لابن مجاهد : أبي بكر أحمد بن موسى (ت 324هـ) ص526 .
([5]) السابق ص526 .
([6]) انظر: نظم الدرر 1 / 169 .
([7]) فصلت 9 ، 10 .

قرئت كلمة (سواء) بالنصب في قراءة الجمهور، وبالرفع في قراءة أبي جعفر، وبالجر في قراءة يعقوب[1].

وقد ذكر البقاعي توجيهها الإعرابي على كل قراءة، فذكر أنها على قراءة الجمهور منصوبة على المصدرية، وعلى قراءة الرفع خبر لمبتدأ محذوف، وعلى قراءة الجر نعت لـ (أربعة).

وهي على كل هذه الوجوه الإعرابية لا تخلو من دلالة، فقد جيء بها لإزالة ما قد يتوهم من أن قوله: (أربعة) للأقوات والبركة ليكون مع يومين من الأرض ستة.

فجيء بها للدلالة على التوزيع إلى يومين ويومين على السواء، أي للدلالة أن (أربعة) مقسمة على يومين للأرض، وهما اليومان اللذان ذكرا في قوله: (خلق الأرض في يومين)، ويومين للأقوات والبركة.

يقول البقاعي: « قال تعالى مزيلاً لما أوهمه قوله: (أربعة أيام) من أنها للأقوات والبركة ليكون مع يومين من الأرض ستة ، ناصباً على المصدر : (سواء) أي التوزيع إلى يومين ويومين على السواء (للسائلين) أي لمن سأل أو كان بحيث يسأل ويشتد بحثه بسؤال أو نظر عن التوفيق بين ظاهر هذه الآية وبين غيرها ، لا بد في كل يوم منها من زيادة عن الذي قبله أو نقص ، ومجموع الأربعة كأربعة من أيام الدنيا لا تزيد عليها ولا تنقص ، وقراءة يعقوب بجر (سواء) معينة لأن تكون نعتاً لـ (أربعة) وقراءة أبي جعفر بالرفع خبر لمبتدأ محذوف »[2] .

فالبقاعي هنا يبين طرفي علاقة التبعية، وهما في هذه الآية: النعت (سواء) والمنعوت (أربعة)، ويبين دلالة هذا النعت التي تمثلت فيما نقلناه عنه آنفا.

4-قوله تعالى:«الحَمْدُ لله رَبِّ العالَمِينَ الرحمن الرحيم.مَالِكِ يَوْمِ الدِّين»[3].

([1]) تحبير التيسير في القراءات العشر لابن الجزري: شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن يوسف (ت 833هـ) ص542 .

([2]) نظم الدرر 6 / 556 .

([3]) الفاتحة 2 – 4 .

نشأت في هذه الآية علاقة تبعية بين لفظ الجلالة: (الله) وكل من (الرحمن – الرحيم – مالك يوم الدين)، التي جاء كل منها وصفا للفظ الجلالة، وقد بين البقاعي دلالة هذه العلاقة: علاقة التبعية، فبين أولا دلالة صفتي (الرحمن) و(الرحيم)، فقال: « ولما كانت مرتبة الربوبية لا تستجمع الصلاح إلا بالرحمة أتبع ذلك بصفتي (الرحمن الرحيم)؛ ترغيبًا في لزوم حمده »[1].

ثم بين دلالة الصفة (مالك يوم الدين)، فقال: « ولما كان الرب المنعوت بالرحمة قد لايكون مالكًا، وكانت الربوبية لاتتم إلا بالمِلك المفيد للعزة المقرون بالهيبة المثمرة للبطش والقهر المنتج لنفذ الأمر أتبع ذلك بقوله: (مالك يوم الدين)؛ ترهبيا من سطوات مجده »[2].

5–قوله تعالى: « وَلَهُم فِيها أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ »[3].

ارتبطت في هذه الآية كلمة (مطهرة) بكلمة (أزواج) بعلاقة التبعية، حيث جاءت الكلمة الأولى صفة للثانية، وقد بين البقاعي دلالة مجيء هذه الصفة بلفظ الإفراد مع أن الموصوف جمع، كما بين دلالة مجيئها على صيغة المبالغة، فقال: « ولما كنَّ على خلق واحد لا نقص فيه أشار إليه بتوحيد الصفة ، وأكد ذلك بالتعبير بالتفعيل إلماماً بأنه عمل فيه عمل ما يبالغ فيه بحيث لا مطمع في الزيادة فقال: (مطهرة) »[4].

فالبقاعي هنا لا يقتصر على بيان الصفة والموصوف فقط، بل يبين أيضا ما اعترى صيغة الصفة من أحوال: كالإفراد، والمبالغة، مبينا دلالة ذلك كله.

6–قوله تعالى: « قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى الْحَرْثَ»[5].

([1]) نظم الدرر 1 / 556 .
([2]) نظم الدرر 1 / 556 .
([3]) البقرة 25 .
([4]) نظم الدرر 1 / 74 .
([5]) البقرة 71 .

في هذه الآية الكريمة جاء قوله: (لا ذلول) نعتا لقوله: (بقرة)، كما جاء قوله: (تثير) نعتا لقوله: (ذلول)، يقول البقاعي: « (قال إنه يقول إنها)، أي: هذه البقرة التي أطلتم التعنت في أمرها (بقرة لا ذلول)، ثم وصف الذلول بقوله (تثير الأرض) »[1].

ولا يكتفي البقاعي بمجرد بيان هذه الصفات، بل يذكر دلالة مجيء الصفة (تثير) بصيغة الفعل، فذكر أن التعبير بالفعل للدلالة على أنه « يتجدد منها إثارتها بالحرث كل وقت من الإثارة »[2]، كما ذكر دلالة التعبير في وصفها بانتفاء الذل عنها بصيغة الاسم المبالغ فيه، يقول: « ولما كان الذل وصفاً لازماً عبر في وصفها بانتفائه بالاسم المبالغ فيه ، أي ليس الذل وصفاً لازماً لها لا أنها بحيث لا يوجد منها ذل أصلاً ، فإنها لو كانت كذلك كانت وحشية لا يقدر عليها أصلاً »[3]. ثم ذكر البقاعي دلالة عطف (ولا تسقي) على (لا ذلول)، ودلالة اختيار الفعل في الوصف بدلا من الاسم، فقال: « ولما كان لا يتم وصفها بانتفاء الذل إلا بنفي السقي عنها وكان أمراً يتجدد ليس هو صفة لازمة كالذل عبر فيه بالفعل وأصحبه لا عطفاً على الوصف لا على تثير لئلا يفسد المعنى فقال واصفاً للبقرة (ولا تسقي الحرث)، أي: لا يتجدد منها سقيه »[4].

وأجاز وجها آخر في عطف قوله (ولا تسقي)، وهو أن يكون معطوفا على (تثير) على أن تقدير حذف (لا) قبلها، يقول: « ويجوز أن يكون إثبات (لا) فيه تنبيهاً على حذفها قبل تثير، فيكون الفعلان المنفيان تفسيراً على سبيل الاستئناف لـ (لاذلول) ، وحذف (لا) قبل (تثير) لئلا يظن أنه معها وصف لـ (ذلول) فيفسد المعنى، والمراد أنها لم تذلل بحرث ولا سقي، ومعلوم من القدرة على ابتياعها وتسلمها للذبح أنها ليست في غاية الإباء كما آذن به الوصف بـ (ذلول) ، كل ذلك لما في التوسط من الجمع لأشتات الخير »[5].

([1]) نظم الدرر 1 / 169 ، 170 .
([2]) نظم الدرر 1 / 170 .
([3]) نظم الدرر 1 / 170 .
([4]) نظم الدرر 1 / 170 .
([5]) نظم الدرر 1 / 170 .

7- قوله تعالى: « سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ »(1) .

يرى جلال الدين المحلي في كتاب: (تفسير الجلالين) أن الجملة الاسمية (ثامنهم كلبهم) ترتبط بقوله: (سبعة) بعلاقة تبعية، حيث جاءت تلك الجملة السابقة صفة لكلمة (سبعة)، على أن تكون الواو زائدة، أو دالة على التأكيد، أو دالة على لصوق الصفة بالموصوف، يقول: « الْجُمْلَة مِنْ الْمُبْتَدَأ وَخَبَره صِفَة (سَبْعَة) بِزِيَادَةِ الْوَاو وَقِيلَ تَأْكِيد أَوْ دَلَالَة عَلَى لُصُوق الصِّفَة بِالْمَوْصُوفِ »(2).

وهناك آيات نشأت فيها علاقة وصفية بين عنصرين ولكن حذف أحد هذين العنصرين ومن ذلك قوله تعالى: «وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ الْمُسْلِمِينَ»(3).

فقد ذكر البقاعي أن في هذه الآية موصوفا محذوفا، وربط بين هذا الحذف والمعنى، فالتقدير عنده: (وعمل عملا صالحا)، وقد حذف هذا الموصوف – كما يقول البقاعي « لئلا يوهم تقيده بالأعمال الظاهرة وللإغناء عنها بقوله (دعا)» (4)، ومن ثم فإن هذا الصالح أعم من أن يكون نية أو قولا أو عملا للجوارح الظاهرة سرا كان أو علنا.

ولا يكتفي البقاعي بالوقوف عند حد ذكر دلالة حذف الموصوف هنا، بل يتعدى ذلك إلى ذكر دلالة ذكر هذا الموصوف في الآيات الأخرى المشابهة، مراعيا في مقارنته السياق الذي وردت فيه هذه الآيات ، كما في قوله تعالى: «فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا » (5) وقوله تعالى « إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا »(6) ، فقد ذكر البقاعي أن آية سورة الكهف وردت في سياق اعتقاد الحشر، وآية سورة الفرقان

(1) الكهف 22 .
(2) تفسير الجلالين ص384 .
(3) فصلت 33 .
(4) نظم الدرر 6 / 572 .
(5) الكهف 110 .
(6) الفرقان 70 .

وردت في سياق التوبة، وهذا السياق الذي لاعتقاد الحشر أو للتوبة « لا بد فيه من إظهار العمل ليكون شاهداً على صحة الإعتقاد وكمال التوبة »[1]، أما في آية فصلت فإن ذكر الفعل (دعا) مغنٍ عن ذكر العمل.

(1) نظم الدرر 6 / 572 .

المبحث الثاني
علاقة التوكيد

وهي علاقة نحوية تنشأ بين المؤكَّد والمؤكِّد، حيث يكون الثاني مؤكدا للأول وتابعا له في الإعراب والنوع والعدد، ولذلك تندرج هذه العلاقة الفرعية تحت العلاقة الكبرى: التبعية.

ومن أمثلة ذلك في القرآن الكريم:

1-قوله تعالى: « فَسَجَدَ الملائِكةُ كلُّهم أجمَعون »[1].

جاء كل من قوله: (كلهم)، و(أجمعون) تأكيدا لقوله: (الملائكة)، وقد ذكر النيسابوري قول المبرد الذي بين فيه دلالة هذين التأكيدين، يقول المبرد: « إن (كلهم) دال على الإحاطة، و(أجمعون): على أن السجود منهم في حالة واحدة »[2]، وذهب إلى هذا الرأي أيضا الزجاج، وقد عقب الرضي على رأيهما بقوله: « وليس بشئ لأنك إذا قلت: جاءني القوم أجمعون فمعناه الشمول والإحاطة اتفاقا منهم، لا اجتماعهم في وقت واحد، فكذا يكون مع تقدم لفظ (كلهم)، وكأنهما كرها ترادف لفظين لمعنى واحد، وأي محذور في ذلك مع قصد المبالغة »[3].

فالرضي يرى أنه لا يلزم من التوكيد الثاني وهو (أجمعون) أن يكون الملائكة قد سجدوا مجتمعين في وقت واحد، فـ « ذلك ليس بإخبار عن سجود كل الملائكة بطريق المقارنة دون التفرق، بل جائز أن يكونوا سجدوا جملة في حالة واحدة أو متفرقين، ولفظ (الكل) و(أجمعون) للتأكيد »[4].

وإلى ذلك ذهب البقاعي، حيث رأى أن (أجمعون) مبالغة في تأكيد ما أفهمه الجمع[5].

---

(1) الحجر 30 ، ص: 73 .

(2) شرح الرضي على كافية ابن الحاجب 2 / 377 ، وانظر: تفسير النيسابوري 4 / 220 ، ولم أجد هذه العبارة في مؤلفات المبرد.

(3) شرح الرضي على كافية ابن الحاجب 2 / 377 .

(4) حاشية محي الدين شيخ زاده على تفسير البيضاوي 1 / 558 .

(5) نظم الدرر 4 / 221 .

2- قولـه تعـالى: « إِنَّ الَّـذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»[1].

ذكر ابن عرفة وجهين فيما يتعلق بعلاقة قوله: (أجمعين) بما قبلها، وذكر المعنى على كل وجه، فقال: « (أَجْمَعِينَ) إما تأكيد أو حال فإن كان حالا فالمراد لعنة الجميع مجتمعين ... وإن كانت تأكيدا فالمراد لعنة جميعهم بالإطلاق »[2].

وما ذهب إليه ابن عرفة من أن (أجمعين) تعنى مجتمعين إذا أعربت حالا، ولا تفيد هذا المعنى حال كونها توكيدا بل تفيد لعنتهم جميعهم بالإطلاق يفهم منه أنه يؤيد الرضي فيما ذهب إليه من عدم لزوم إفادة (أجمعين) الاجتماع وعدم التفرق كما وضحتُ ذلك عند الحديث عن الآية الأولى.

---

[1] البقرة 161 .

[2] تفسير ابن عرفة 2 / 481 .

المبحث الثالث

علاقة العطف

وتكون بين المعطوف والمعطوف عليه، ومن ذلك الآيات التالية:

1-**قوله تعالى:** « وَقُلْنَا يَاآدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ »(1).

عطفت في هذه الآية جملة (كلا منها رغدا) على جملة (اسكن)، وقد جاء العطف هنا بالواو، وقد تكرر هذا العطف في آية أخرى في سورة الأعراف، وهي قوله تعالى: « وَيَاآدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ »(2)، ولكن العطف جاء بالفاء، وهنا يفرق البقاعي دلاليا بين الآيتين مبينا دلالة كل من الواو والفاء في الآيتين في ضوء المقام، فيقول تعليقا على الآية الأولى التي جاء فيها العطف بالواو: « ولما كان السياق هنا لمجرد بيان النعم استعطافاً إلى المؤالفة كان عطف الأكل بالواو في قوله: (وكلا منها) كافياً في ذلك »(3).

ويقول تعليقا على الآية الثانية التي جاء فيها العطف بالفاء: « (فكلا) العطف بالفاء الدال على أن المأكول كان مع الإسكان لم يتاخر عنه، ولا منافاة بينه وبين التعبير بالواو في البقرة؛ لأن مفهوم الفاء نوع داخل تحت مفهوم الواو ولا منافاة بين النوع والجنس »(4).

2- قوله تعالى: « ولَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلاَّ الْفَاسِقُونَ »(5).

عُني البقاعي في تفسيره لهذه الآية بتحديد ما عطفت عليه، يقول: « ولما فرغ من ترغيبهم في القرآن بأنه من عند الله وأنه مصدق لكتابهم، وفي جبريل بأنه الآتي به بإذن

---

(1) البقرة 35 .
(2) الأعراف 19 .
(3) نظم الدرر 1 / 104 .
(4) نظم الدرر 3 / 16 .
(5) البقرة 99 .

الله، ومن ترهيبهم من عداوته، أتبعه مدح هذا القرآن وأنه واضح الأمر لمريد الحق، وإن كفر به منهم أو من غيرهم فاسق أي خارج عما يعرف من الحق فإنه بحيث لا يخفى على أحد، فقال تعالى – عطفاً على قوله : (فإنه نزله على قلبك بإذن الله) [البقرة: 97]، أو قوله: (ولقد جاءكم موسى بالبينات)[البقرة: 92]، أو على ما تقديره: فلقد بان بهذا الذي نزله جبريل عليه السلام أن الآخرة ليست خالصة لهم وأنهم ممن أحاطت به خطيئته لكفره : (ولقد أنزلنا) »[1].

3– قوله تعالى: « وَقَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِيْ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونْ »[2].

قرأ الجماعة هذه الآية بالعطف: (وقالوا)، وقرأها ابن عامر بغير عطف: (قالوا)، وقد ذكر البقاعي دلالة كل من القراءتين، يقول: « ولما كان العطف على مقالات أهل الكتاب ربما أوهم اختصاص الذم بهم حذفت واو العطف في قراءة ابن عامر على طريق الاستئناف في جواب من كأنه قال : هل انقطع حبل افترائهم ؟ إشارة إلى ذم كل من قال بذلك ، وذلك إشارة إلى شدة التباسها بما قبلها كما قال الإمام أبو علي الفارسي في كتاب الحجة ، لأن جميع المتحزبين على أهل الإسلام مانعون لهم من إحياء المساجد بالذكر لشغلهم لهم بالعداوة عن لزومها، والحاصل أنه إن عطف كان انصباب الكلام إلى أهل الكتاب وأما غيرهم فتبع لهم للمساواة في المقالة ، وإذا حذفت الواو انصب إلى الكل انصباباً واحداً »[3].

4–قوله تعالى: « وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَ إِلَهَ إِلاَ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ »[4].

اهتم البقاعي هنا بتحديد ما عطفت عليه هذه الآية، رابطا ذلك بالمعنى، يقول: « ولا يبعد عندي وإن بعد المدى أن تكون الواو في قوله: (وإلهكم) عاطفة على قوله في أوائل السورة (وهو بكل شيء عليم) [5] قبل قوله (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في

([1]) نظم الدرر 1 / 204 .
([2]) البقرة 116 .
([3]) نظم الدرر 1 / 228 .
([4]) البقرة 163 .
([5]) البقرة 29 .

الأرض خليفة) [1] ، فإن التوحيد هو المقصود بالذات وعنه تنشأ جميع العبادات ، فلما قال أولاً (يا أيها الناس اعبدوا ربكم) [2] أتبعه في قوله (الذى خلقكم) إلى آخره بوصف هو دليل استحقاقه للعبادة، فلما قام الدليل قال: (فلا تجعلوا لله أنداداً) [3] إعلاماً بأنه لا شريك له في العبادة كما أنه قد تبين أنه لا شريك له في الخلق ، ثم أتبعه بما يليق لذلك المقام مما تقدم التنبيه عليه ، ثم رجع إليه قائلاً ثانياً (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم) [4] إلى آخرها فأعاد الدليل على وجه أبين من الأول وأبسط ، فلما تقرر على وجه لا مطعن فيه أمر الوحدانية والإعادة كان الأنسب ما أولاه من الآيات السابقة لما ذكر فيها من غير ذلك من المهمات إلى أن صار إلى ذكر الكاتمين والتائبين والمصرين وذكر ما أعد لكل من الجزاء فأتبع ذلك هذه الآية عاطفاً لها على ما ذكرته على وجه أصرح مما تقدم في إثبات التوحيد بياناً لما هو الحق وإشارة إلى أنه تعالى ليس كملوك الدنيا الذين قد يحول بينهم وبين إثابة بعض الطائعين وعقوبة بعض العاصين بعض أتباعهم ، فإنه واحد لا كفؤ له بل ولا مدانٍ فلا مانع لنفوذ أمره»[5].

فالبقاعي هنا لا يعنيه البعد بين المعطوف والمعطوف عليه؛ لأن الأساس الذي يعول عليه في تحديد المعطوف عليه هو المعنى فقط، وذلك من خلال النظر إلى القرآن الكريم على أنه نص واحد مترابط، ولذلك فإنه يحاول إقناع من يستنكر تجويز هذا العطف بذكر سبب تجويزه له، فيقول: « ولا يستنكر تجويز هذا العطف لأنه جرت عادة البلغاء أن أحدهم إذا أراد إقامة الحج على شيء لأمر يرتبه عليه أن يبدأ بدليل كاف ثم يتبعه تقريب الثمرات المجتناة منه ثم يعود إلى تأكيده على وجه آخر لتأنس به النفوس وتسرّ به القلوب ، وربما كان الدليل طويل الذيول كثير الشعب ، فيشرح كل ما يحتاج إليه من ذيوله وما يستتبعه من شعبه ، فإذا استوفى ذلك ورأى أن الخصم لم يصل إلى غاية الإذعان أعاد له الدليل على وجه آخر عاطفاً له على الوجوه الأول تذكيراً بما ليس

([1]) البقرة 30 .
([2]) البقرة 21 .
([3]) البقرة 22 .
([4]) البقرة 28 .
([5]) نظم الدرر 1 / 291 ، 292 .

بمستنكر ذلك في مجاري عاداتهم ومباني خطاباتهم ؛ ومن تأمل مناظرات الباقلاني وأضرابه من أولي الحفظ الواسع والتبحر في العلم علم ذلك »[1].

5- قوله تعالى: « وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُواْ هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ »[2] .

ذكر البقاعي هنا فائدة عطف قوله: (وسنزيد المحسنين) على ما قبله، فبين أن هذا العطف ناسب عَدَّ النعم قبل ذلك، يقول: « وناسب عدّ النعم العطف على ما تقدم منها بقوله : (وسنزيد المحسنين) أي بعد غفران ذنوبهم »[3].

6-قوله تعالى: « وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿63﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ »[4].

يرى النيسابوري أن قوله: (ثم توليتم) مرتبطا بعلاقة تبعية مع محذوف، حيث جاء هذا المذكور معطوفا على المحذوف، يقول: « ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ معطوف على محذوف أي فقبلتم والتزمتم ثم أعرضتم عن الميثاق والوفاء به »[5].

7-قوله تعالى: « وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ »[6].

اعتمد البقاعي في تحديد المعطوف عليه قوله : (وإذ نادى ربك موسى) على القصد من ذكر قصة موسى هنا، فهو يرى أن ذكر هذه القصة هنا لو كان «على تقدير التسلية يكون العطف على (تلك)؛ لأن المراد بها التنبيه ، فالتقدير : (خذ آيات الكتاب واذكر إذ نادى ربك)، أي: المحسن إليك بكل ما يمكن الإحسان به في هذه الدار، وعلى تقدير الترهيب يكون التقدير: (أو لم يروا إذ نادى ربك) »[7].

([1]) نظم الدرر 1 / 292 .
([2]) البقرة 58 .
([3]) نظم الدرر 1 / 142 .
([4]) البقرة 63 ، 64 .
([5]) تفسير النيسابوري 1 / 304 .
([6]) الشعراء 10 .
([7]) نظم الدرر 5 / 350 .

8- قوله تعالى: « ولَّما جَاءَ أَمْرُنا نَجَّينا شعيبًا والذينَ أمنوا معه »(1).

بين البقاعي في هذه الآية سبب استخدام الواو في عطف هذه الآية على ما قبلها، ذاكرا سبب استخدام الواو هنا واستخدام الفاء في قوله تعالى قبل ذلك عند قصة سيدنا صالح – عليه السلام: « فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا »(2) ، وقوله تعالى: عند قصة سيدنا لوط – عليه السلام: « فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ »(3)، فذكر أنه قد جاء العطف بالواو في قصة سيدنا شعيب « لأنه لم يتقدم وعيد بوقت معين – كما في قصتي صالح ولوط عليهما السلام – يتسبب عنه المجيء ويتعقبه ».

والبقاعي يشير بقوله: (وعيد بوقت معين) إلى قوله تعالى عند قصة صالح: « فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِى دَارِكُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ »(4)، وقوله تعالى عند قصة لوط: « إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ »(5).

9-قوله تعالى: « إِنَّآ أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الأَخْيَارِ وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الأَخْيَارِ هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الأَبْوَابُ »(6).

عني البقاعي في هذه الآية بتحديد المعطوف عليه قوله: (وإن للمتقين لحسن مآب)، فأجاز في ذلك وجهين:

أحدهما: أن يكون معطوفا على قوله: « إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ»(1) ، وهذه الآية هي السادسة والعشرون من سورة ص، أي أن هناك فاصلا كبيرا بين المعطوف والمعطوف عليه على هذا الوجه.

---

(1) هود 94 .
(2) هود 66 .
(3) هود 82 .
(4) هود 65 .
(5) هود 81 .
(6) ص 46 – 50 .

وثانيهما: أن يكون معطوفا على قوله: (هذا)، والتقدير: (هذا ذكر للصابرين، وإن للمتقين لحسن مآب) على أن يكون قد وضع الظاهر وهو (المتقين) موضع المضمر، والأصل: (هذا ذكر للصابرين وإن لهم لحسن مآب).

وقد استحسن البقاعي الوجه الثاني وبنى معنى الآية عليه، يقول: « ويجوز وهو أحسن أن يكون معطوفاً على (هذا) وتقديره: هذا ذكر للصابرين .

ولما أداهم إليه صبرهم في الدنيا وأن لهم على ما وهبناهم من الأعمال الصالحة التي مجمعها الصبر لمرجعاً حسناً ، ولكنه أظهر الوصف الذي أداهم إلى هذا المآب تعميماً لكل من اقتدى بهم حثاً على الاقتداء فقال: (للمتقين) »[2].

وقد تكون هناك علاقة عطف بين طرفين ولكن حذف أحدهما، وهنا لا بد من تقدير الطرف المحذوف استرشادا بسياق الآيات حتى يكتمل المعنى، وهناك كثير من الآيات التي تشتمل على هذه الظاهرة، حيث يذكر المعطوف ويكون المعطوف عليه محذوفا، وقد كان مفسرو القرن التاسع الهجري يهتمون ببيان ذلك: المعطوف المذكور في الكلام، والمعطوف عليه المحذوف، وكان اهتمامهم بتقدير هذا الطرف المحذوف من أجل اكتمال المعنى حتى يستقيم نظم الكلام، لأن الكلام بدون تقدير المحذوف يظل ناقص الدلالة، حيث يتوقف فهم النص على تقدير هذا المحذوف[3]،يتضح ذلك في قوله تعالى: « وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً »[4]، فالفاء في قوله تعالى: (فانفجرت) للعطف على جملة محذوفة، وتسمى الفاء الفصيحة لأنها أفصحت عن محذوف[5]، والتقدير: (فضرب فانفجرت)، ومثل ذلك قوله تعالى: « فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ » [6] ، أي: (فضرب فانفلق)، ويدل

([1]) ص 26 .
([2]) نظم الدرر 6 / 394 .
[3] انظر: المعايير النصية في القرآن الكريم د/ أحمد محمد عبد الراضي ص69.
[4] البقرة 60 .
[5] انظر: الكليات للكفوي ص676 .
[6] الشعراء 63 .

على هذا المحذوف وجود الانفجار مرتبا على ضربه؛ إذ لو كان يتفجر دون ضرب لما كان للأمر فائدة[1].

ومن ذلك الآيات التالية:

1-قوله تعالى: « وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ»[2].

فقد قدر البقاعي هنا جملة محذوفة عطف عليها قوله: (فتاب عليكم)، يقول البقاعي: « ولما كان التقدير ففعلتم التوبة المأمور بها بأن قتل بعضكم بعضاً بتوفيقه لكم سبحانه مع ما فيه من عظم المشقة عطف عليه قوله (فتاب عليكم) »[3].

2-قوله تعالى: « وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ»[4].

في هذه الآية الكريمة يرى البقاعي أن قوله تعالى: (وإنْ هم إلا يظنون) معطوف على جملة محذوفة، يقول: « ولما أفهم ذلك أن التقدير ما هم ألا يقدرون تقديرات لا علم لهم بها عطف عليه قوله: (وإن هم إلا يظنون) تأكيداً لنفي العلم عنهم »[5].

3-قوله تعالى: « قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ»[6].

يرى البقاعي أن قوله تعالى: (ولن يتمنوه) معطوف على جملة محذوفة مقدرة، والتقدير: فما تمنوه ، ولن يتمنوه أبدا، ثم يذكر البقاعي دلالة العطف بالجملة المنفية بـ (لن)، فيبين أن العطف بها جاء إخبارا بالغيب، وقطعا للعناد[1].

---

(1) البحر المحيط لأبي حيان 1/ 227 ، 228 .
(2) البقرة 54 .
(3) نظم الدرر 1 / 135 .
(4) البقرة 78 .
(5) نظم الدرر 1 / 177 .
(6) البقرة 94 ، 95 .

4-قوله تعالى: « وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَآ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ »(2).

قريء قوله تعالى: (واتخذوا) بفتح الخاء على أنه فعل ماض، وقريء بكسرها على أنه فعل أمر، وقراءة الفتح قراءة نافع وابن عامر، وقراءة الكسر قراءة الباقين[3]، وقد جعلها النيسابوري على قراءة فتح الخاء « معطوف على جَعَلْنَا أي اتخذ الناس من مكان إبراهيم الذي وسم به لاهتمامه به وإسكان ذريته عنده قبلة يصلون إليها، وعلى هذا المراد بالمصلى القبلة »، وجعلها على قراءة الكسر « على إرادة القول أي وقلنا اتخذوا منه موضع صلاة تصلون فيه استحبابا لا وجوبا »[4].

أما البقاعي فقد جعلها – على القراءتين – معطوفة على محذوف، إلا أن تقديره لهذا المحذوف اختلف تبعا لنوع القراءة، فعلى قراءة الفعل بفتح الخاء – أي على أنه جملة خبرية – يكون التقدير: فتاب الناس عليه ائتماماً ببانيه وآمنوا بدعوته فيه، وعلى القراءة بكسر الخاء في (واتخذوا) – أي: على كونه أمرا – يكون التقدير: فتوبوا إليه أيها الناس ائتماماً به واتخذوا[5].

---

(1) انظر: نظم الدرر 1 / 201 .
(2) البقرة 125 .
(3) انظر: النشر في القراءات العشر لابن الجزري 2 / 253 .
(4) تفسير النيسابوري 1/ 392 .
(5) نظم الدرر 1 / 239 .

المبحث الرابع

علاقة البدل

وتكون بين البدل والمبدل منه، كما في الآيات التالية:

1- قوله تعالى: « وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ »(1).

في هذه الآية الكريمة علاقة تبعية بين ضمير الغائب في (به) وقوله: (أن يوصل)، فقد جاء المصدر المؤول بدلا من هذا الضمير، يقول السيوطي موضحا هذه العلاقة النحوية: « وَأَنْ بَدَل مِنْ ضَمِير بِهِ »(2) ، وقد ربط البقاعي بين هذه العلاقة وبين المعنى، يقول: « ولما كان البيان بعد الإجمال أروع للنفس قال : (به)، ثم فسره بقوله : (أن يوصل) أي من الخيرات »(3).

2- قوله تعالى: « وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِى خَرَابِهَا »(4).

ذكر البقاعي في هذه الآية أيضا دلالة علاقة التبعية التي نشأت بين قوله: (مساجد) التي وقعت مبدلا منه، والمصدر المؤول (أن يذكر) الذي وقع بدلا، يقول: « أبدل من ذلك تفخيماً له تذكرة مرة بعد أخرى قولَه: (أن يذكر فيها اسمه) »(5).

3- قوله تعالى: « وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ »(6).

ذكر السيوطي أن اسم الموصول: (مَنْ) وصلته بدل من (أهله)، وجاء البدل هنا لدلالة، وهي التخصيص بعد العموم المشتمل عليه قوله: (أهله)، يقول السيوطي: « (مَنْ

---

(1) البقرة 27 .
(2) تفسير الجلالين ص8 .
(3) نظم الدرر 1 / 78 .
(4) البقرة 114 .
(5) نظم الدرر 1 / 224 .
(6) البقرة 126 .

آمَنَ مِنْهُمْ بِاَللَّهِ وَالْيَوْم الْآخِر) بَدَل مِنْ (أَهْله)، وَخَصَّهُمْ بِالدُّعَاءِ لَهُمْ مُوَافَقَة لِقَوْلِهِ: (لَا يَنَال عَهْدِي الظَّالِمِينَ) »[1].

وقد بين البقاعي أيضا دلالة هذا البدل، فذكر أنه قد جاء « تقييداً لدعوة الرزق بما قيدت به دعوة الإمامة؛ تأدباً معه حيث قال: (لا ينالُ عهدي الظالمين) »[2].

4- قوله تعالى: « وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ۖ 167 الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ »[3].

جوز النيسابوري أكثر من وجه فيما يخص علاقة قوله (الذين قالوا) بما قبله، فقال: « الَّذِينَ قالُوا منصوب على الذم أو على البدل من الَّذِينَ نافَقُوا أو مرفوع على الذم أي هم الذين، أو على البدل من ضمير يَكْتُمُونَ وقيل: يجوز أن يكون مجرورا بدلا من الضمير في بِأَفْواهِهِمْ أو قُلُوبِهِمْ »[4].

5- قوله تعالى: « إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ »[5] .

ذكر البقاعي أن (إذ تستغيثون) بدل من (إذ يعدكم)، ولم يقتصر على ذلك بل ببين أيضا الغرض من هذا البدل، يقول: « (إذ) ظرف لـ (يحق الحق)، (تستغثون ربكم) أي: تطلبون إغاثة المحسن إليكم، وهو بدل من (إذ يعدكم)، فهو من البيان لكراهتهم لقاء ذات الشوكة بشدة جزعهم الموجب لهم الاستغاثة مع إسفار العاقبة عن أن الخير فيما كرهوه »[6].

([1]) تفسير الجلالين ص26 .
([2]) نظم الدرر 1 / 241 .
([3]) آل عمران 167 ، 168 .
([4]) تفسير النيسابوري 2 / 305 .
([5]) الأنفال 9 .
([6]) نظم الدرر 3 / 190 .

6-قوله تعالى: « ثُمَّ عَمُوا وصموا كثير منهم »[1].

بين البقاعي دلالة سوق هذا التركيب على هذا النمط، أي: بإبدال (كثير) من الضمير، فقال: « ولما كان الإتيان بالضمير مفهماً لأن ذلك عمهم كلهم، أعلم سبحانه أن ذلك ليس كذلك بقوله: (كثير منهم) إلا أن سوقه للعبارة هذا المساق يدل على أن من لم يكفر منهم كان مزلزلاً غير راسخ القدم في الهدى »[2].

7-قوله تعالى: « **وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ** »[3].

يرى النيسابوري أن قوله: (إذ يعدون) مرتبطا بقوله: (القرية) بعلاقة تبعية، حيث جاء الأول بدل اشتمال من القرية، والمعنى: « واسألهم عن وقت عدوانهم »[4]، وإلى ذلك أيضا ذهب البقاعي فقال: «ولما كان السؤال عن خبر أهل القرية قال بدلاً بدل اشتمال من القرية (إذ) أي حين (يعدون) أي يجوزون الحد الذي أمرهم الله به »[5].

8-قوله تعالى: « أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لاَ يَرْجِعُونَ»[6].

اختلف مفسرو القرن التاسع الهجري في تحديد علاقة (أنهم إليهم لا يرجعون بما قبلها)، واختلف المعنى تبعا لاختلاف نوع العلاقة التي ذهبوا إليها.

فقد قدر البقاعي قبل (أنَّ) في هذه الآية لام تعليل محذوفة، والمعنى: لأنهم – أي أهل القرون السابقة – لا يرجعون عن ضلالهم إلى ما جاء به الرسل، يقول: « فـ(أنَّ) تعليلية على إرادة حذف لام العلة كما هو معروف في غير موضع، وضمير (أنهم) للمرسَل إليهم، وضمير (إليهم) للرسل، لا يشك في هذا مَنْ له ذوق سليم وطبع مستقيم »[7].

([1]) المائدة 71 .
([2]) نظم الدرر 2 / 511 .
([3]) الأعراف 163 .
([4]) تفسير النيسابوري 4 / 21 .
([5]) نظم الدرر 3 / 140 .
([6]) تفسير النيسابوري 3 / 337 .
([7]) نظم الدرر 6 / 257 .

أما جلال الدين المحلي والنيسابوري فقد جعلا هذه الجملة بدلا من قوله: (كم أهلكنا)، يقول جلال الدين المحلي: « و(أنه... إلخ) بدل مما قبله »[1]، ويقول النيسابوري: « وقوله: (أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لا يَرْجِعُونَ) بدل من (كَمْ أَهْلَكْنا)، والتقدير: ألم يعلموا القرون الكثيرة المهلكة من قبلهم كونهم غير راجعين إليهم، والبدل بدل اشتمال لهم لأنه حال من أحوال المهلكة أي أهلكوا بحيث لا رجوع لهم إليهم »[2].

وعلى جعل (أنهم إليهم لا يرجعون) بدلا من (كم أهلكنا قبلهم من القرون) يكون الضمير في قوله: (أنهم) للمهلَكين، وفي قوله: (إليهم) للمكذبين من أهل مكة، والمعنى: ألم يعلموا – أي أهل مكة – القرون الكثيرة المهلكة من قبلهم كونهم – أي أهل القرون السابقة – غير راجعين إليهم – أي: إلى أهل مكة.

وجعل (أنَّهم إليهم لا يرجعون) بدلا هو رأي سيبويه، يقول: « هذا بابٌ تكون فيه أنَّ بدلا من شيءٍ ليس بالآخر ... ومن ذلك قوله عز وجل: " ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنّهم إليهم لا يرجعون ". فالمعنى والله أعلم: ألم يروا أنَّ القرون الذين أهلكناهم إليهم لا يرجعون »[3].

وهكذا اختلف المعنى تبعا لنوع العلاقة النحوية التي تربط بين قوله: (أنهم) وما قبلها، فإذا كانت في موقع جر بلام تعليل محذوفة كما قال البقاعي يكون المعنى: ألم يعلم أهل مكة كم أهلكنا قبلهم من القرون لأن أهل هذه القرون المهلكين لم يرجعوا عن ضلالهم إلى ما جاء به الرسل، وإذا كانت الجملة بدلا يكون المعنى: ألم يعلم أهل مكة القرون الكثيرة المهلكة كونهم لا يرجعون إليهم، أي: ألم يعلم أهل مكة أن أهل القرون المهلكة لا يرجعون إليهم.

9- قوله تعالى: « فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ »[4].

---

[1] تفسير الجلالين ص582 .
[2] تفسير النيسابوري 5 / 531 .
[3] الكتاب 3 / 132 ، وانظر تفسير القرطبي 15 / 24 .
[4] النمل 51 .

بين البقاعي في هذه الآية علاقة (أنا دمرناهم) بما قبلها على كل وجه من وجهي قراءتها، فهي بدل من (عاقبة) على قراءة فتح الهمزة، واستئناف على القراءة بكسر الهمزة، وهي في كلتا الحالتين بينت المقصود من هذه العاقبة، يقول البقاعي: « ثم استأنف لزيادة التهويل قوله بياناً لما أبهم: (إنا) أي بما لنا من العظمة، ومن فتح فهو عنده بدل من (عاقبة) »[1].

10- قوله تعالى: « يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَراً »[2].

أجاز البقاعي في قوله تعالى: (يوم) وجهين: أحدهما أن يكون معمولا لعامل محذوف من معنى (يحذر) أي يكون مرتبطا بعلاقة تخصيص مع هذا العامل المحذوف، والثاني أن يكون بدلا من (يوم) في قوله تعالى: « لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فيه»، أي يرتبط بـ (يوم) بعلاقة تبعية، يقول: « (يوم) وهو معمول لعامل من معنى (يحذر)... والذي يرشد إلى تعيين تقدير هذا العامل – إذا جعل العامل مقدراً – قوله سبحانه وتعالى: « ويحذركم الله نفسه »[3]0 سابقاً لها ولاحقاً، ويجوز أن يكون بدلاً من يوم في قوله: « ليوم لا ريب فيه »[4] ، وتكون فتحته للبناء لإضافته إلى الجملة »[5].

11- قوله تعالى: « لِلْفُقَرَآءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ»[6].

بين البقاعي في هذه الآيات العلاقات النحوية التي ترتبط عن طريقها الكلمات : (للفقراء)، و(المهاجرين)، و(الذين أخرجوا من ديارهم)، ولم يقتصر على ذلك بل ذكر الغرض الدلالي الناتج عن كل علاقة.

([1]) نظم الدرر 5 / 434 .
([2]) آل عمران 30 .
([3]) آل عمران 28 .
([4]) آل عمران 9 .
([5]) نظم الدرر 2 / 60 .
([6]) الحشر 8 .

فذكر أن قوله: (للفقراء) بدل من قوله: (فلله) وما عطف عليه في قوله تعالى: « مَّآ أَفَآءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ »[1] ، أي : يرتبط به بعلاقة تبعية باتجاه البدلية، وعلل ذلك بأن « من أعطى المهاجرين لهجرتهم وتجردهم من أموالهم وديارهم فإنما أعطاهم لوجه الله ووجه رسوله – صلى الله عليه وسلم »(2)، وذكر أنه « لا يكون بدلاً من (ذي القربى) لئلا يختص بفقيرهم »[3].

ثم ذكر أن قوله: (المهاجرين)، و(الذين أخرجوا) جاءا وصفين لقوله: (للفقراء)، وبين دلالة ذلك، يقول: «ثم خصص بالوصف فقال : (المهاجرين)، ولما كانت الهجرة قد تطلق على من هجر أهل الكفر من غير مفارقة الوطن فقال: (الذين أخرجوا) »(4).

فهذان الوصفان – إذًا – فائدتهما التخصيص، أي تخصيص هؤلاء الفقراء بأنهم مهاجرين، وتخصيص هؤلاء المهاجرين بأنهم الذين أخرجوا من ديارهم، ولولا هذا الوصف (الذين أخرجوا) لدخل في قوله: (المهاجرين) مَنْ هجر أهل الكفر من غير مفارقة الوطن، وهو غير مراد هنا.

12– قوله تعالى: « إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ نَذِيراً لِّلْبَشَرِ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ »(5) .

أجاز البقاعي أن تكون جملة: (لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر) مرتبطة بقوله: (للبشر) بعلاقة تبعية، على أن تكون الأولى في محل جر بدلا من الثانية، وربط بين هذه العلاقة والمعنى، حيث قال: « و(أن يتقدم) مبتدأ ، وهو مثل: (لمن يتوضأ أن يصلي)، ويجوز أن تكون الجملة بدلاً من (للبشر) على طريق الالتفات من الغائب إلى الحاضر ليصير كل مخاطب به كأنه هو المقصود بذلك بالقصد الأول فيتأمل المعنى

([1]) الحشر 7 .
([2]) نظم الدرر 7 / 524 .
([3]) نظم الدرر 7 / 524 .
([4]) نظم الدرر 7 / 524 .
([5]) المدثر 35 – 37 .

في نفسه فيجده صادقاً ثم يتأمل فلا يجد مانعاً من تعديته إلى غيره من جميع البشر، ويكون (أنْ) والفعل على هذا مفعولاً لـ (شاء) »[1].

(1) نظم الدرر 8 / 235 .

تعقيب

لعل فيما ذكرت آنفا من أمثلة ما يكفي لإثبات عناية المفسرين في القرن التاسع الهجري ببيان العلاقات النحوية داخل الآيات، والربط بينها وبين المعنى، وإذا كانوا قد اختلفوا – كلهم أو بعضهم – أحيانا في نوع العلاقات النحوية في موضع واحد وبالتالي اختلافهم فيما يترتب عليها من معنى، إلا أنهم اتفقوا جميعا في أمرين مهمين، وهما: العناية بتحديد هذه العلاقات النحوية، وبيان ما ينتج عنها أو يترتب عليها من دلالة، فهذان الأمران كانا أساسين اعتمدوا عليهما في بيان دلالة الآيات، حتى وإن اختلفت الدلالات التي توصل إليها كل مفسر باختلاف نوع العلاقات النحوية التي يراها، إلا أن هذه الدلالات المختلفة اعتمدوا في الوصول إليها على هذه العلاقات النحوية.

الباب الثاني

روابط التركيب وأثرها على دراسة المعنى

مدخل

الربط لغة يعني : الشد[1] ، وفي الاصطلاح: ظاهرة تركيبية تنشأ بين مجموعة من الكلمات بوسائل معينة إما ملفوظة أو ملحوظة تتضافر مع قرائن لفظية أخرى لأداء المعنى الوظيفي للتركيب ولتحقيق الغاية من اللغة، وهي فهم المعنى وإفهامه [2].

أما الروابط فهي: ألفاظ دالة على معنى الاجتماع بين الموضوع والمحمول، وبتعبير آخر هي : وسائل لغوية تصل بين العناصر المكونة لجزء من السياق[3].

وتتعدد الروابط داخل التركيب، وهي تعد ذات أهمية كبيرة ، فهي تعمل على تماسك النص وترابطه، وإذا كان فهم وتحديد العلاقات النحوية داخل التركيب أمرًا في غاية الأهمية في التحليل النصي من أجل التوصل إلى دلالة النص؛ حيث تتوقف معرفة دلالته على معرفة وفهم العلاقات النحوية الناشئة بين الكلمات – فإن معرفة الروابط داخل التركيب وتحديدها أمر ذو أهمية كبيرة أيضا، فالكلمات التي ترتبط ببعضها بواسطة العلاقات النحوية لا بد من اشتمالها على روابط، فالمبتدأ والخبر يرتبطان بعلاقة الإسناد، وقد اشترط النحاة اشتمال الخبر على رابط يربطه بالمبتدأ، كما ترتبط الحال بالفعل بعلاقة التخصيص، ولا بد من اشتمالها على رابط يربطها بصاحب الحال.

فإذا كانت الكلمات داخل التركيب ترتبط ارتباطا معنويا بواسطة العلاقات المعنوية الأربع وهي : الإسناد والتخصيص والإضافة والتبعية، فإنها ترتبط أيضا ارتباطا آخر بواسطة روابط لفظية، فالمبتدأ والخبر يرتبطان بعلاقة معنوية هي الإسناد، ويرتبطان أيضا بالضمير الذي يكون في الخبر ويعود على المبتدأ، والنعت يرتبط بالمنعوت بعلاقة

([1]) انظر:المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده، مادة (ربط) 9 /162،ولسان العرب لابن منظور، مادة (ربط) 7/302 .

([2]) انظر: اللغة العربية معناها ومبناها د/ تمام حسان ص205.

([3]) انظر: الكليات للكفوي 2 / 396 ، ولسانيات النص لمحمد خطابي ص5 ، 14 .

معنوية هي التبعية، ويرتبطان أيضا بواسطة الضمير الذي يكون في النعت ويعود على المنعوت، وهكذا.

فالربط – إذًا – « علاقة سياقية تتحقق في النص، تؤدي وظيفة إنعاش الذاكرة لاستعادة مذكور سابق عبر وسيلة لفظية تعين على الوصول إلى الغاية العامة من السياق »[1].

أي أن الربط يمثل علاقة بين طرفين، حيث يعين الطرف الثاني – وهو الرابط – على تذكر الطرف الأول.

وتشترك هذه العلاقة – أي: علاقة الربط – مع العلاقات النحوية الأربع التي تناولتها آنفا في أنها جميعا تؤدي إلى ترابط أجزاء الكلام ليؤدي معاني مفهومة معينة وفقا لنوع هذه العلاقات، والفارق بينهما هو أن علاقة الربط علاقة لفظية، أي تتم بواسطة روابط لفظية، أما العلاقات الأربع: الإسناد والتخصيص والإضافة والتبعية فهي علاقات معنوية.

كما يمكن القول بأن علاقة الربط تعد بمنزلة تأكيد للعلاقات القوية بين الكلمات والجمل في السياق النحوي، كما أن لها أهمية بالغة في فهم العلاقات القائمة بين الجمل والتراكيب[2].

ومن الروابط المهمة داخل التركيب الضمير، ويؤتى به بدلا من تكرار اللفظ، ولا بد لهذا الضمير من مرجع يعود عليه، ومنها أيضا اسم الإشارة، واسم الموصول، ولا يحتاجان إلى مرجع؛ لأن اسم الإشارة تفسره المشاهدة، واسم الموصول تفسره الصلة.

ومنها أيضا الأدوات، وتشمل: حروف العطف، وحروف الجر، والأدوات الداخلة على الأجوبة مثل الفاء وإذا واللام في جواب الشرط، والفاء في الخبر والروابط في جواب القسم، والأدوات الداخلة على الجمل مثل: أدوات الشرط والنفي والاستفهام.

([1]) الربط النحوي ووسائله اللفظية د/ مها عبد العزيز إبراهيم ص131 ، مجلة كلية الآداب – جامعة سوهاج – العدد الخامس والثلاثون – أكتوبر 2103م.

([2]) العلاقات الفعلية في كتاب سيبويه: دراسة في التراث النحوي وعلم اللغة الحديث ، تأليف/ خليل عبد الله– دار النهضة العربية – الطبعة الأولى لهتربريم صبريي .

وقد اقتضت خطة البحث أن أتناول بعض هذه الروابط في الفصول السابقة من الرسالة، كحروف العطف، التي تناولتها تحت مبحث علاقة التبعية، وكحروف الجر، التي تناولتها تحت مبحث الإضافة غير المباشرة ، لذا سأقتصر هنا على دراسة الضمير، واسم الإشارة، واسم الموصول، وستكون دراستي منصبة على بيان أثر هذه الروابط على تحقيق تماسك النص وترابطه، وأثرها أيضا على توجيه المعنى عند علماء التفسير في القرن التاسع الهجري.

الفصل الأول
الربـط بالضمـير

مدخل

اهتم مفسرو القرن التاسع الهجري اهتماما بالغا بالضمير وهم بصدد تحليلهم للنص القرآني ، وذلك لأن الضمير – كما أوضحتُ سابقا – يعد أحد أهم الأدوات التي يقوم عليها ترابط النص وتماسكه نحويا ، يقول الرضي موضحا أهمية الضمير في الربط بين الجمل: « الجملة في الأصل كلام مستقل، فإذا قصدتَ جعلها جزء الكلام فلا بد من رابطة تربطها بالجزء الآخر، وتلك الرابطة هي الضمير؛ إذ هو الموضوع لمثل هذا الغرض »[1].

فمن خلال نص الرضي يمكن أن نستنتج أن الضمير يمثل وسيلة لفظية يتم بها ربط أجزاء الكلام، فبينه وبين الكلام السابق علاقة نحوية، حيث يكون هذا السابق مفسرا وموضحا ومرجعا للضمير، ويكون الضمير إحالة إلى هذا السابق جيء به اختصارا بدلا من تكرار هذا السابق.

وتحليل النص يقتضي مراعاة معرفة دلالة الضمير، ومعرفة مرجعه ؛ والوقوف على الدلالات التي تنتج عن العلاقة بين الضمير ومرجعه سواء كانت بالمطابقة – وهو الأصل – أو المخالفة ، وكذلك معرفة الدلالات الكامنة وراء وضع الظاهر موضع المضمر.

وكل هذه الأمور قد تناولها هؤلاء المفسرون ، واهتمامهم بها ودراستهم لها من خلال النص القرآني يعد مظهرا من مظاهر تأثير العلاقات النحوية على دراسة المعنى عندهم ، وفيما يلي أتناول ذلك بمزيد من التفصيل من خلال المباحث التالية:

المبحث الأول: دلالة الضمير .

([1]) شرح الكافية للرضي 1 / 238 .

المبحث الثاني: تحديد مرجع الضمير.

المبحث الثالث: –تذكير الضمير وتأنيثه .

المبحث الرابع: إفراد الضمير وجمعه .

المبحث الخامس: وضع الظاهر موضع المضمر.

المبحث السادس: تكرار الضمير .

المبحث السابع: الضمير والاستخدام.

المبحث الأول
دلالة الضمير

الضمير هو ما دل على متكلم أو مخاطب أو غائب، نحو: أنا وأنت وهو، « وإنما سُمي مضمرا من قولهم: (أضمرت الشيء) إذا سترته وأخفيته، ومنه قولهم: (أضمرتُ الشي في نفسي)، أو من الضمور، وهو الهزال؛ لأنه في الغالب قليل الحروف »[1].

فلكل ضمير – إذا – دلالة ، فضمير المتكلم يدل على المتكلم ، وضمير المخاطب يدل على المخاطب، وضمير الغائب يدل على الغائب، والأصل أن يستعمل كل ضمير لما وضع له، وقد يعدل عن هذا الأصل فيأتي ضمير الغائب مثلا بدلا من ضمير المتكلم، أو يأتي الضمير في سياق كان الأصل فيه استخدام غيره من أدوات الربط: كاسم الإشارة مثلا .

فمن الأول ما نجده عند البقاعي من ذكره لدلالة ضمير الغائب في قوله تعالى: « فَإِيَّاىَ فَارْهَبُونِ 51 وَلَهُ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ »[2].

فقد أُستخدم أولا ضمير المتكلم (إياي) ، ثم عُدل إلى استخدام ضمير الغائب في قوله تعالى: « وَلَهُ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا » ، وقد بين البقاعي دلالة هذا العدول إلى ضمير الغيبة فقال: « ولما كان أسلوب الغيبة من الحاضر دالاً على التردي بحجاب الكبر المؤذن بشدة البطش وسرعة الانتقام وبعد المقام ، رجع إليه فقال تعالى: (وله) فأعاد الضمير على الله الاسم العلم الجامع لجميع الأسماء الحسنى »[3] .

([1]) شرح شذور الذهب ، لابن هشام ، تحقيق: حنا الفاخوري ، دار الجيل ، بيروت ، ط1 ، 1988 ، ص 152 .

([2]) النحل 51 ، 52 .

([3]) نظم الدرر 4 / 277 .

كذلك التفت البقاعي إلى دلالة استعمال ضمير الغائب في قوله تعالى : « فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ »[1] بعد استعمال ضمير المتكلمين في قوله تعالى: (قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ)، فإذا كان هذا الكلام قاله الذين عبدوا العجل فقد كان الأصل أن يقال : (فأخرج لنا)، ولكن عُدل عن ضمير المتكلمين إلى ضمير الغائب ، ويعلل ذلك البقاعي بقوله: « قيل مع العدول عن أسلوب التكلم استهجاناً لنسبة أمر العجل إلى المتكلم: (فأخرج لهم) أي لمن شربه وعبده ، فكأنهم – أي: المتكلمين الذين عبدوا العجل – دلوا بذلك على البراءة منه والاستقذار له »[2] .

أما إذا كان استعمال ضمير الغائب على أصله فإنه يدل في هذه الحالة على أن هذا الكلام من كلام الذين لم يعبدوا العجل، ويعود الضمير في هذه الحالة على من عبدوا العجل.

فالبقاعي في هذه الآية يبين دلالة ضمير الغائب سواء كان استعماله طبقا للأصل ، أو عدولا عن ضمير المتكلم ، فإذا كان استعماله أصلا دل بذلك على أن الكلام كلام الذين لم يعبدوا العجل ، وإذا كان استعماله من قبيل العدول دل بذلك على أن الكلام كلام مَنْ عبد العجل ، ولكن عدل إليه لغاية دلالية ، وهي استهجان نسبة أمر العجل إلى أنفسهم ، والبراءة منه .

ومن دلالة ضمير الغائب أيضا ما ذكره النيسابوري عند تفسيره لقوله تعالى: « قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ»[3]، فهو يرى أن الضمير في قوله: (فإنه) يعود على جبريل – عليه السلام، وفي (نزله) على القرآن الكريم ، وقد بين دلالة ضمير الغائب في (نزله) على الرغم من أن القرآن لم يسبق له ذكر فقال: «

([1]) طه 88 .
([2]) نظم الدرر 5 / 40 .
[3] البقرة 97 .

والضمير في نزله للقرآن وإن لم يجر له ذكر لأنه كالمعلوم ... وهذا النوع من الإضمار فيه فخامة لشأن صاحبه حيث جعله لفرط شهرته كأنه يدل على نفسه »[1].

ومن الثاني – أي : استعمال الضمير مكان أداة ربط أخرى – ما نجده من استخدام ضمير الغائب بدلا من اسم الإشارة في قوله تعالى : « قَالَ يَامَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ »[2] .

فعندما سأل زكريا مريم – عليهما السلام – عن مصدر الرزق قال: « أنى لكِ هذا » باستخدام اسم الإشارة (هذا) الذي يفسره موجود حاضر ، فكأنه سألها عن مصدر الرزق المشاهد أمامه ، ولكن السيدة مريم – عليها السلام – أجابت فقالت: « هو من عند الله » باستخدام ضمير الغائب (هو)، ولم تقل: (هذا من عند الله)، وذلك لأنها لو قالت (هذا) لدل ذلك على أن الرزق المشاهد أمامه فقط من عند الله، ولكنها أرادت أن النعم كلها سواء المشاهد منها أو الغائب من عند الله ، وهذه الدلالة يفيدها ضمير الغائب (هو)، يقول البقاعي: « وفي ذكر الضمير في قوله: (قالت هو من عند الله) إيذان بنظرها إلى مجموع حقيقة ذلك الرزق لا إلى أعيانه، فهو إنباء عن رؤية قلب، لا عن نظر عين؛ لأن (هو) كلمة إضمار جامعة لكل ما تفصلت صورته مما اتحد مضمره »[3] .

ويعد من ذلك أيضا كل ما ورد في القرآن الكريم من العدول عن ضمير العظمة إلى ضمير المتكلم المفرد أو العكس .

فمن ذلك مثلا قوله تعالى : « قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّى هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ »[4]

فقد بين البقاعي هنا دلالة مجيء ضمير المتكلم في (مني) مفردا، دون أن يرد في مظهر العظمة، كما جاء في قوله تعالى قبل ذلك: (قلنا)، فيقول: « وخص في إبراز

---

(1) تفسير النيسابوري 1 / 342 ، 343 .
(2) آل عمران 37 .
(3) نظم الدرر 2 / 74 .
(4) البقرة 38 .

الضمير بمحض الإفراد من غير إيراد بمظهر العظمة إبعاداً عن الوهم فقال: (مني هدى) »[1] .

ولعله يقصد بالوهم هنا الوهم بأن لله شركاء يشتركون معه في تنزيل الهدى.

(1) نظم الدرر 1 / 109 .

المبحث الثاني

تحديد مرجع الضمير

نظرا لأن الضمير اسم مبهم كان من الضروري وجود مرجع يفسر هذا الضمير.

أما ضمير المتكلم فإنه يفسره المتكلم ، وضمير المخاطب يفسره المخاطب، فلا إشكال فيهما حينئذ.

أما ضمير الغائب فهو الذي تكمن المشكلة فيه ، حيث لا بد من مرجع متقدم يفسر معنى الضمير ، ويعود الضمير إليه ليتحقق الربط، هذا هو الأصل، ولكن قد يعدل عن هذا الأصل فلا يكون هناك مرجع للضمير، اعتمادا على فهم السامع نحو قوله تعالى: « إنَّا أنزلناه في ليلة القدر »، أي: القرآن، أو لدلالة لفظ في التركيب عليه نحو قوله تعالى: « فلولا إذا بلغتِ الحلقوم » أي: النفس، وقد دل عليها لفظ الحلقوم[1].

فلكي يتضح معنى النص لا بد من تحديد مرجع ضمير الغائب ، حتى يبدو النص متماسكا واضح المعنى، وهذا التماسك الذي يحققه الضمير ومرجعه يكون على المستويين: النحوي والدلالي، حيث يتحقق التماسك النحوي من خلال إحالة الضمير إلى المرجع، ويتحقق التماسك الدلالي من خلال المرجع الذي يعد تفسيرا ورفعا لإبهام الضمير، فبينهما إذًا علاقة قوية من الضروري تحديدها من أجل فهم معنى النص.

ولعل في الآيات التالية وما ذكره مفسرو القرن التاسع الهجري بصددها إثباتا لذلك:

1- قوله تعالى: « وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ »[2].

ذكر الثعالبي في مرجع الضمير ثلاثة أوجه، فقال: « واختلف في الضمير في «به» ، فقيل: يعود على محمّد صلّى الله عليه وسلم، وقيل: على القرآن، وقيل: على

([1]) انظر: الربط في سياق النص العربي ص40 ، 41 ، لمحمد حماد ، رسالة ماجستير بكلية اللغة العربية جامعة أم القرى 1408هـ.

[2] البقرة 41 .

التوراة »[1]، أما النيسابوري فمرجع الضمير عنده هو التوراة، يقول: « وَلا تَكُونُوا أَوَّلَ كافِرٍ بِهِ يعني بكتابكم. يقول ذلك لعلمائهم، لأن تكذيبكم بمحمد صلى الله عليه وسلم يوجب تكذيبكم بكتابكم »[2].

2–قوله تعالى: « أَلَمْ تَرَ إلى الذى حَاجَّ إبراهيمَ في ربِّهِ »[3] .

الأصل في الضمير أن يعود إلى أقرب مذكور ، وأقرب مذكور في الآية هنا هو (إبراهيم) – عليه السلام – ولكن البقاعي رأى أنه يصح عودة الضمير على (إبراهيم) – وهو أقرب مذكور – أو (الذي) ، يقول : « الضمير يصح أن يعود على كل منهما »[4]، وإذا كان الضمير عائدا على (الذي) فإن الإضافة حينئذ – كما يقول ابن عاشور – « لإظهار غلطه »[5] – أي : غلط نمرود – لأنه حاج إبراهيم « فيما يختص به خالقه المربي له المحسن إليه بعد وضوح هذه الأدلة وقيام هذه البراهين »[6] .

أما إذا كان الضمير في (ربه) يعود إلى (إبراهيم) – عليه السلام – فإن الإضافة في هذه الحالة لتشريف المضاف إليه [7].

3– قوله تعالى: « قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ»[8].

مرجع الضمير عند النيسابوري في قوله: (فإنه) هو جبريل – عليه السلام، وفي (نزله) هو القرآن الكريم[9]، وقد ذكر الثعالبي هذا الوجه أيضا، وجوز وجها آخر، وهو أن يكون الضمير في (فإنه) يعود على الله تعالى، وفي (نزله) على جبريل – عليه السلام[10].

---

[1] تفسير الثعالبي 1 / 227 .
[2] تفسير النيسابوري 1 / 272 .
[3] البقرة 258 .
[4] نظم الدرر 1 / 503 .
[5] التحرير والتنوير 3 / 32 .
[6] نظم الدرر 1 / 503 .
[7] انظر: التحرير والتنوير 3 / 32 .
[8] البقرة 97 .
[9] تفسير النيسابوري 1 / 342 .
[10] تفسير الثعالبي 1 / 286 .

4- قولـه تعـالـى: « إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ 161 خَالِدِينَ فِيهَا »[1].

يرى الثعالبي والبقاعي أن الضمير في (فيها) يعود على اللعنة[2]، وقد سبق ذكرها في قوله: (أولئك عليهم لعنة الله)، وأجاز الثعالبي وجها آخر وهو أن يكون عائدا على النار، ولم يسبق لها ذكر، قال: « وقوله: خالِدِينَ فِيها، أي: في اللعنة، وقيل: في النار، وعاد الضمير علَيْها، وإن لم يَجْرِ لها ذكر لثبوتها في المعنى»[3].

5-قوله تعالى: « وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ »[4] .

يرى النيسابوري أن الضمير في قوله: (وليأخذوا) يجوز أن يعود على المصلين، والمعنى: « فليأخذوا من السلاح ما لا يشغلهم عن الصلاة كالسيف والخنجر »[5]، ويحتمل أن يكون للجميع: الطائفة التي تصلي والتي لا تصلي، فيكون المعنى: « أمرا للفريقين بحمل السلاح لأن ذلك أقرب إلى الاحتياط »[6].

أما البقاعي فجعل مرجع الضمير في قوله: (فليأخذوا) هو الكل « لئلا يتوهم أن الأمر بذلك يختص بالمصلي ؛ لأن غيره لا عائق له عن الأخذ متى شاء أو ولتأخذ جميع الطوائف الحارسون والمصلون حذرهم وأسلحتهم »[7] .

كما أن البقاعي اعتمد على السياق اللغوي المتمثل في كلمة (سجدوا) في تحديد مرجع الضمير في كلمة (فليكونوا) ، فيقول : « يمكن أن يكون المراد بالسجود ظاهره ، فيكون الضمير في (فليكونوا) للجمع الذين منهم هذه الطائفة - المذكورين بطريق الإضمار في قوله: (وإذا كنت فيهم) وفي (فلتقم طائفة منهم) أي فإذا سجد الذين قاموا

---

(1) البقرة 161 ، 162 .
(2) انظر: تفسير الثعالبي 1 / 348 ، ونظم الدرر 1 / 290 .
(3) تفسير الثعالبي 1 / 348 .
(4) النساء 102 .
(5) تفسير النيسابوري 2 / 489 .
(6) تفسير النيسابوري 2 / 489 .
(7) السابق 2 / 308 .

معك في الصلاة فليكن المحدث عنهم وهم الباقون الذين أنت فيهم وهذه الطائفة منهم (من ورائكم) ... ويمكن أن يكون المراد بالسجود الصلاة – من إطلاق اسم الجزء على الكل، فكأنه قال: فإذا صلوا ، أي أتموا صلاتهم – على ما مضت الإشارة إليه ، والضمير حينئذ في (فليكونوا) للطائفة الساجدة »[1].

والملاحظ من كلام البقاعي أنه اعتمد في تحديده لمرجع الضمير على دلالة كلمة (سجدوا) أهي حقيقية أم مجازية، ولم يعتمد على ما أوجبه النحاة من عودة الضمير على أقرب مذكور، وقد اتضح ذلك أيضا في تحديده لمرجع الضمير في (وليأخذوا) ، حيث لم يجعل الضمير راجعا إلى (طائفة) التزاما بالقاعدة، بل نظر إلى المعنى، فجعله راجعا إلى الجميع، وهذا ما أكدته الدراسات النحوية الحديثة، يقول الدكتور تمام حسان: « ولقد اشتهر بين النحاة أن الضمير يعود على أقرب مذكور، وهذا الكلام لا يُقبل على إطلاقه، وإنما يتحتم ذلك عند خوف اللبس، أما إذا أمن اللبس فإن الضمير ينصرف إلى مرجعه مهما بعد عنه هذا المرجع »[2].

6–قوله تعالى: « لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا »[3] .

في هذه الآية لم يستحسن البقاعي عود الضمير في (فسيحشرهم) على اسم الموصول (مَنْ)، وقد عول في ذلك على أمرين :

الأول – السياق الداخلي للنص ، حيث اشتملت الآية التي بعدها على تفصيل ، وهي قوله تعالى : « فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا »[4]، فهذا التفصيل يدل على أن العباد كلهم سيحشرون إليه جميعا، بينما لو عاد

([1]) نظم الدرر 3 / 307 .
([2]) مقالات في اللغة والأدب ص197 .
([3]) النساء 172 .
([4]) النساء 173 .

الضمير على (مَنْ) كان معنى ذلك أن الذين استنكفوا عن عبادته هم فقط الذين سيحشرون إليه، ومن ثم لا يستحسن مع هذا التفصيل عود الضمير على (مَنْ) .

الثاني– أن الحشر عام للمستكبرين وغيرهم .

ومن ثم جعل البقاعي مرجع الضمير هو (العباد) ، وهو مرجع متصيد من الكلام، يقول البقاعي: « ولما كان الحشر عاماً للمستكبر وغيره كان الضمير في (فسيحشرهم) عائداً على العباد المشار إليهم بـ (عبداً)، و(عبادته) ، ولا يستحسن عوده على « مَنْ » لأن التفصيل يأباه، والتقدير حينئذ: فسيذلهم لأنه سيحشر العباد إليه جميعاً ، أي : المستكبرين وغيرهم بوعد لا خلف فيه »[1] .

7–قوله تعالى: « فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ»[2] .

ذكر البقاعي وجهين لمرجع الضمير المستتر الواقع في محل رفع فاعل في قوله تعالى (ليريه): الأول: أن يكون مرجعه (الغراب)، والثاني: أن يكون مرجعه لفظ الجلالة (الله) ، ولكنه جعل « الأول أولى »، ودلالة ذلك كما يقول : « توقيفه على عجزه وجهله بأن الغراب أعلم منه وأقرب إلى الخير »[3] .

8–قوله تعالى : « وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ 83 وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ»[4] .

يجوز النيسابوري وجهين في مرجع الضمير في قوله: (ومن ذريته)، فيقول: « وأما الضمير في قوله وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ فقد قيل: إنه يعود إلى «نوح» لأنه أقرب ولأنه تعالى ذكر في جملتهم لوطا وهو كان ابن أخي إبراهيم وما كان من ذريته، بل كان من ذرية نوح، ولأن ولد الإنسان لا يقال إنه ذريته فعلى هذا إسماعيل ما كان من ذرية إبراهيم

([1]) نظم الدرر 2 / 378 .
([2]) المائدة 31 .
([3]) نظم الدرر 2 / 447 .
([4]) الأنعام 83 ، 84 .

وكان من ذرية نوح، ولأن يونس عليه السلام لم يكن من ذرية إبراهيم على قول بعضهم. وقيل: الضمير عائد إلى إبراهيم لأنه هو المقصود بالذكر في هذا المقام »[1]، وإلى القول الأول ذهب السيوطي أيضا[2].

يسترشد البقاعي في هذه الآية بالسياق أيضا في تحديد مرجع الضمير في قوله: (ومن ذريته)، يقول: « ولما كان السياق كله لمدح الخليل، وكان المذكورون – إلا لوطاً – من نسله، وكان التغليب مستعملاً شائعاً في لسان العرب ، لا سيما ولوط ابن أخيه ومثل ولده؛ حُكم بأن الضمير لإبراهيم – عليه السلام – »[3] .

فعلى الرغم من أن أقرب مذكور هنا هو (نوح) ، إلا أن البقاعي يعدل عن جعله مرجعا للضمير إلى كون (إبراهيم) هو المرجع، وهو يعتمد في ذلك على السياق؛ إذ إن سياق المدح لإبراهيم – عليه السلام – وكون المذكورين من نسله يجعل الضمير عائدا على (إبراهيم) – عليه السلام.

9–قوله تعالى : « أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ »[4] .

يرى البقاعي أن الضمير في (فإنه) يعود على (خنزير)، يقول:« فإنه – أي: الخنزير– رجس »[5]، وعلل كون مرجع الضمير هو كلمة (خنزير) بقوله: «ليفيد نجاسة عينه وهو حي، فلحمه وكذا سائر أجزائه بطريق الأولى، وكل ما وافقه في هذه العلة كان نجساً »[6]، ويرى أنه « لا يعاد الضمير على اللحم لأنه قد علمت نجاسته من تحريمه لعينه، فلو عاد عليه كان تكراراً »[7] .

10–قوله تعالى: « وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ »[8] .

---

(1) تفسير النيسابوري 3 / 112 .
(2) انظر: تفسير الجلالين ص176 .
(3) نظم الدرر 2 / 666 .
(4) الأنعام 145 .
(5) نظم الدرر 2 / 732 .
(6) السابق 2 / 732 .
(7) السابق 2 / 732 .
(8) الأعراف 202 .

اختلف المفسرون في مرجع الضمير في (وإخوانهم) ، حيث رأى بعضهم عوده على غير مذكور[1]، أي: متصيد من الكلام ، حيث إن المعنى يمنع من عوده على أقرب مذكور وهو (الذين آمنوا) في الآية التي قبلها ، كما يمتنع أيضا عوده على (الشيطان) لأنه مفرد، والتقدير عندهم: (وإخوان المشركين)، وقد ذكر البقاعي هذا الوجه من التفسير، ولكن التقدير عنده: « وإخوان الجاهلين من شياطين الإنس والجن يمدون الجاهلين »[2] .

أما الجمهور فذهبوا إلى أن مرجع الضمير هو (الشيطان) والمراد الجنس وقد ذكر البقاعي هذا الوجه أيضا ، والتقدير عنده: « وإخوان الشياطين من الجاهلين يمدهم أولياهم من الشياطين »[3]، ثم رجحه، يقول: « والأوجه أن يكون الإخوان الجاهلين لأنهم في مقابلة (الذين اتقوا)، ويكون الضمير للشيطان المراد به الجنس، أي وإخوان الشياطين – وهم الجاهلون الذين لا يتقون – يمدهم أولياؤهم من الشياطين في الغي »[4] .

11- قوله تعالى: « وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ»(5).

اختلف المفسرون في مرجع الضمير في قوله: (وكانوا)، فذهب بعضهم إلى أن مرجعه هو إخوة يوسف – عليه السلام، وذهب بعضهم إلى أن مرجعه هو (السيارة) [6] .

كذلك اختلفوا في مرجع الضمير في قوله: (فيه)، فقيل: (يوسف)، وقيل:(الثمن) [7].

([1]) يسمى ذلك في الدراسات النصية الحديثة: الإحالة المقامية أو الخارجية. انظر: نظرية علم النص (رؤية منهجية في بناء النص النثري)، د/ حسام أحمد فرج ص84 ، مكتبة الآداب، الطبعة الأولى 2007م.

([2]) نظم الدرر 3 / 176 .

([3]) السابق 3 / 177 .

([4]) السابق 3 / 177 .

([5]) يوسف 20 .

([6]) انظر: التفسير الكبير المسمى مفاتيح الغيب للرازي 18 / 433 ، 434 .

([7]) انظر: التفسير الكبير للرازي 18 / 434 .

وقد اهتم البقاعي أيضا ببيان مرجع الضمير في كل من قوله: (وكانوا)، وقوله: (فيه)، فرأى أن المعنى يُعيِّن أن يكون المرجع في الأول هو(السيارة)، يقول: « والزهد: انصراف الرغبة عن الشيء إلى ماهو خير منه عند الزاهد، وهذا يعين أن الضمير للسيارة لأن حال إخوته في أمره فوق الزهد بمراحل ، فلو كان لهم لقيل: وكانوا له من المبعدين أو المبغضين، ونحو ذلك »[1] .

ورأى أن الضمير في الثاني يعود على يوسف – عليه السلام، يقول: «(وكانوا) أي: كوناً هو كالجبلة (فيه) أي: خاصة دون بقية متاعهم، انتهازاً للفرصة فيه قبل أن يعرف عليهم فينزع من أيديهم (من الزاهدين) أي: كمال الزهد حتى رغبوا عنه فباعوه »[2] ، فهذا الكلام يدل على أن مرجع الضمير في (فيه) عنده هو (يوسف) خلافا لمن ذهب إلى أنه (الثمن).

وأرى أن المعنى يتسع لجواز عودة الضمير على (إخوة يوسف) أو على (السيارة)، فإخوة يوسف زهدوا فيه بتركه في غيابات الجب كرها له، والسيارة قد زهدوا أيضا في يوسف – عليه السلام انصرافا منهم إلى ما هو خير منه – في نظرهم – وهو الثمن البخس.

12–قوله تعالى : « إِنَّه رَبِّى أَحْسَنَ مَثْوَاى »[3].

ذهب الثعالبي إلى أن الضمير في قوله تعالى: (إنه ربي) يجوز أن يعود على الله – عز وجل، وأن يعود على العزيز، يقول: « يحتمل أن يعود الضمير في «إِنه» على اللَّهِ عزَّ وجلَّ، ويحتمل أنْ يريد العزيزَ سيِّدَهُ، أي: فلا يصلح لي أنْ أخونه، وقد أَكْرَمَ مثواي، وائتمنني »[4]، وهذا الاحتمال الثاني هو الذي ذهب إليه الزمخشري[5].

أما أبو حيان في البحر المحيط فقط جعل عود الضمير على الله عز وجل هو الأصح، واستحسن البقاعي هذا الوجه مستدلا بالمعنى، فقال: « (إنه) أي الله (ربي) أي:

([1]) نظم الدرر 4 / 23 .
([2]) السابق 4 / 23 .
([3]) يوسف 23 .
([4]) تفسير الثعالبي 3 / 319 .
([5]) الكشاف 2 / 455 .

موجدي ومدبري والمحسن إليّ في كل أمر ، فأنا أرجو إحسانه في هذا (أحسن مثواي) بأن جعل لي في قلب سيدك مكانة عظيمة حتى خولني في جميع ما يملك وائتمنني على كل ما لديه ، فإن خالفت أمر ربي فخنت مَن جعلني موضعاً للأمانة كنت ظالماً واضعاً للشيء في غير موضعه ، وهذا التقدير – مع كونه أليق بالصالحين المراقبين – أحسن ، لأنه يستلزم نصح العزيز »[1] .

ثم يعلل عدم اختياره لما ذهب إليه أكثر المفسرين من عود الضمير على (العزيز) بقوله: « ولو أعدنا الضمير على العزيز لم يستلزم التقوى »[2] .

13–قوله تعالى: « لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ »[3] .

يفهم من تفسير النيسابوري لهذه الآية أن الخطاب في قوله: (لعمرك) للوط – عليه السلام – أو لسيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم، والضمير في (إنهم) يعود على قومه، يقول: « قالت الملائكة للوط عليه السلام لَعَمْرُكَ ... إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ غوايتهم التي أذهبت عقولهم حتى لم يميزوا بين خطئهم وصوابك يَعْمَهُونَ يتحيرون فكيف يقبلون قولك الذي تأمرهم به من ترك البنين إلى البنات؟ وقيل: إنه سبحانه خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقسم بحياته صلى الله عليه وسلم كرامة له صلى الله عليه وسلم وما أقسم بحياة أحد قط وذلك يدل على أنه أكرم الخلق على الله »[4].

ذكر البقاعي أن الضمير في قوله تعالى: (إنهم) يحتمل أن يعود على (قوم لوط)، أو (قوم سيدنا محمد)، وذكر المعنى على كل وجه ، وعلق على تقدير عوده على (قوم سيدنا محمد) بقوله: « وهو الظاهر »[5]، يقول : « فإن كان المخاطب لوطاً – عليه السلام – كان ضمير الغيبة لقومه ، وإن كان المخاطب نبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم – وهو الظاهر – كان الضمير لقومه، وكان التقدير أنهم في خبط بعيد عن السنن في طلبهم إتيان الملائكة كما كان قوم لوط عليه السلام يقصدون الالتذاذ بالفاحشة بمن

([1]) نظم الدرر 4 / 29 .
([2]) السابق 4 / 30 .
([3]) الحجر 72 .
([4]) تفسير النيسابوري 4 / 230 ، 231 .
([5]) نظم الدرر 4 / 231 .

مكن من هلاكهم، فشتان ما بين القصدين وهيهات لما بين الفعلين فصار المعنى أن ما قذفوك به أول السورة بهم لا بك »[1] .

14- قال تعالى: «قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا»(2) .

يحدد البقاعي في هذه الآية مرجعين للضمير في قوله (غلبوا) ، حيث جوز أن يكون المرجع هو « (الذين ظهروا عليه) – أي: على أمر أهل الكهف – وعلموا أنهم ناس صالحون فروا بدينهم من الكفار »[3] ، وجوز أن يكون المرجع (أهل البلد) أو الغالبين أنفسهم ، وقد حسن هذا الوجه الثاني رابطا بينه وبين المعنى ، إذ يقول : « ويجوز – وهو أحسن – أن يكون الضمير لأهل البلد أو للغالبين أنفسهم ، إشارة إلى أن الرؤساء منهم وأهل القوة كانوا أصلحهم إيماء إلى أن الله تعالى أصلح بهم أهل ذلك الزمان »[4] .

15- قوله تعالى : « وَجَاهِدُوا فِى اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ »(5) .

ذكر البقاعي مرجعين لضمير الغائب في قوله: (هو سماكم)، الأول: (إبراهيم) عليه السلام – وهو أقرب مذكور ، الثاني : لفظ الجلالة (الله) – سبحانه وتعالى ، وقد حسن الوجه الثاني مستدلا بقراءة أبي، يقول: « ويجوز – ولعله أحسن – أن يكون (هو سمّاكم) تعليلاً للأمر بحق الجهاد بعد تعليله بقوله (هو اجتباكم) ، فيكون الضمير لله – تعالى، ويشهد له بالحسن قراءة أُبَيّ – رضي الله عنه – بالجلالة عوضاً عن الضمير ، أي أن كل أمة تسمت باسم من تلقاء نفسها ، والله تعالى خصكم باسم الإسلام مشتقاً له من اسمه السلام »[6] .

---

(1) السابق 4 / 231 .
(2) الكهف 21 .
(3) نظم الدرر 4 / 459 .
(4) السابق 4 / 459 .
(5) الحج 78 .
(6) نظم الدرر 5 / 180 .

16- قوله تعالى: « وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ »[1] .

يبحث البقاعي أيضا في هذه الآية عن مرجع الضمير في قوله: (لعلهم)، حيث لم يسبق له ذكر، فيرى أن الضمير يعود على (قوم موسى وهارون) مستدلا على ذلك بالمقام، حيث يقول : « ولما كان كتابهم لم ينزل إلا بعد هلاك فرعون كما هو واضح لمن تأمل أشتات قصتهم في القرآن ، وكان حال هلاك القبط معرفاً أن الكتاب لبني إسرائيل ، اكتفى بضميرهم فقال: (لعلهم)، أي: قوم موسى وهارون – عليهما السلام – يهتدون »[2] .

فالبقاعي هنا لما لم يجد مرجعا للضمير مذكورا في الكلام، تصيد مرجعا مسترشدا بالمقام ، إذ من المعروف أن الكتاب – وهو التوراة – لقوم موسى – عليه السلام .

ويجيز أيضا أن يكون الضمير في (لعلهم) « للقرون الحادثة المدلول عليها بقوله (قروناً) ، وربما أرشد إلى ذلك قوله تعالى: (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) [3] »[4] .

فإيتاء موسى الكتاب بعد هلاك القرون الأولى يدل على أن الذين ترجى هدايتهم في قوله (لعلهم يهتدون) هم القرون الحادثة بعد هلاك القرون الأولى.

17- قوله تعالى :« فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ»[5] .

في هذه الآية لم يسبق للضمير في قوله: (فتقطعوا) ذكر، ولذلك كان الأصل هو الإظهار وليس الإضمار ، وهنا يعلل البقاعي للإضمار دون الإظهار، ثم يسترشد بالسياق لتصيد مرجعا مناسبا يعود عليه الضمير، يقول: « (فتقطعوا) أي الأمم، وإنما

([1]) المؤمنون 49 .
([2]) نظم الدرر 5 / 203 .
([3]) القصص 43 .
([4]) نظم الدرر 5 / 204 .
([5]) المؤمنون 53 .

أضمرهم لوضوح إرادتهم؛ لأن الآية التي قبلها قد صرحت بأن الأنبياء ومن نجا معهم أمة واحدة لا اختلاف بينهما ، فعلم قطعاً أن الضمير للأمم ومن نشأ بعدهم »[1] .

18 – قوله تعالى: « وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِن بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ»[2].

أجاز البقاعي في هذه الآية أن يكون ضمير الغائب في قوله (فرأوه) عائدا على (الأثر) – وهو « وهو الزرع والكلأ والشجر »[3] – المفهوم من قوله تعالى في الآية التي قبلها : « فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ »[4]، وأجاز أن يكون عائدا على أقرب مذكور ، وهو (الريح) ، ولكن على أن يكون ذلك من التعبير بالسبب عن المسبب ، إذ لا يجوز عوده على (الريح) مع إرادة المعنى الحقيقي ، يقول: « (ولئن أرسلنا) بعد وجود هذا الأثر الحسن (ريحاً) عقيماً (فرأوه) أي الأثر، ويجوز أن يكون الضمير لـ (الريح) من التعبير بالسبب عن المسبب »[5] .

19– قوله تعالى: « لِلَّهِ مُلْكُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ ما يَشاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ إِناثاً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ الذُّكُورَ ۝ 49 أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْراناً وَإِناثاً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشاءُ عَقِيماً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ »[6].

يتوقف تحديد مرجع الضمير في قوله: (يزوجهم) من هذه الآية على تحديد علاقة قوله: (ذكرانا) بالفعل السابق وهو (يزوجهم)، فإذا كانت كلمة (ذكرانا) حالا فإن الضمير يكون للأولاد، وإذا كانت مفعولا به ثانيا يكون الضمير عائدا على اسم الموصول في قوله: (من يشاء)، يقول النيسابوري: « ونصبهما على الحال، والضمير للأولاد أو على

([1]) نظم الدرر 5 / 207 .
([2]) الروم 51 .
([3]) التحرير والتنوير لابن عاشور 21 / 125 .
([4]) الروم 50 .
([5]) نظم الدرر 5 / 640 .
([6]) الشورى 49 ، 50 .

المفعولية، والضمير لمن يشاء أي يجمع لهم كلا الصنفين سواء كانا متساويين في العدد أم لا »[1].

20–قوله تعالى: « وإنَّ الذينَ أُورِثوا الكتاب من بعدهم لفى شك منه مريب»[2].

تتوقف معرفة مرجع الضمير في قوله: (لفي شك منه) على معرفة ما أحال إليه اسم الموصول في قوله: (الذين أورثوا الكتاب)، فقد ذكر الثعالبي أن اسم الموصول إشارة إلى معاصري نبينا محمد – عليه السلام – من اليهود والنصارى، أو هو إشارة إلى العرب[3].

ثم بين أنه على القول الثاني وهو كون الموصول إشارة إلى العرب يكون الضمير في (منه) عائدا على القرآن، أو على (محمد) – صلى الله عليه وسلم، أو على الأجل المسمى، أما إذا كان الموصول إشارة إلى معاصري سيدنا محمد من اليهود والنصارى فيكون الضمير راجعا إلى كتابهم[4].

وهكذا يتضح مما سبق مدى أهمية تحديد مرجع الضمير في الوصول إلى معنى الآيات؛ لأن الضمير ومرجعه يرتبطان بعلاقة قوية، حيث يمثل المرجع تفسيرا وتوضيحا ورفعا لإبهام الضمير، كما أن الضمير في الوقت ذاته يحيل متلقي النص إلى كلام سابق فيتحقق للنص الترابط على المستويين: النحوي والدلالي.

([1]) تفير النيسابوري 6 / 81 .
[2] الشورى 14 .
[3] تفسير الثعالبي 5 / 153 .
[4] تفسير الثعالبي 5 / 153 .

المبحث الثالث

تذكير الضمير وتأنيثه

من قضايا الضمير التي اهتم بها البقاعي أيضا وهو يحلل النص القرآني بيان العلاقة بين الضمير ومرجعه من حيث التذكير والتأنيث، وربط ذلك بالمعنى، سواء كانت العلاقة علاقة موافقة أم مخالفة .

وفي الآيات القرآنية التالية وما ذكره البقاعي بصددها ما يثبت ذلك :

1-قوله تعالى : « إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ وَوَصَّى بِهَا إبراهيمُ بَنِيه ويعقوبُ »[1] .

بعد أن يسترشد البقاعي بالسياق ليتصيد مرجعا منه يعود عليه الضمير في (بها) حيث يرى أنه يعود على (المقالة) ، أي : قوله : أسلمت لرب العالمين ، أو (الوصية) المفهومة من قوله: (ووصى)، أو (الخصلة) التي اصطفاه الله بها، بعد ذلك يذكر علة تأنيث الضمير، فيقول: « ولعله لم يُذَكَّر الضمير لئلا يوهم الرجوع إلى ربه »[2] .

2-قوله تعالى: « يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ »[3] .

يرى البقاعي أن معنى (تحريف الكلم) هنا هو: تغيير الكلمات عن مواضعها ، ويرى أنه على هذا المعنى يكون في عود الضمير في كلمة (مواضعه) على كلمة (الكلم) مذكرا فائدة ؛ إذ فيه تنبيه على أن الكلام هو المقصود بالتغيير، بعد أن فهم من (تحريف الكلم) تغيير مواضع الكلمات؛ إذ إن تغيير الكلام تابع لتغيير الكلمة فيه، يقول: « ولما كانت الكلمة إذا غيرت تبعها الكلام وهو المقصود بالذات، نبه على ذلك بتذكير الضمير فقال: (مواضعه) أي التي هي به أليق »[4] .

([1]) البقرة 131 .
([2]) نظم الدرر 1 / 245 .
([3]) النساء 46 .
([4]) نظم الدرر 2 / 263 .

وعلى هذا المعنى يكون استعمال حرف الجر (عن) في قوله: (عن مواضعه) « حقيقةً، إذ التحريف حينئذٍ نقل وإزالة »[1] .

وذلك بخلاف ما إذا كان المراد بتحريف الكلم : « الميل عن سواء المعنى وصريحه إلى التأويل الباطل، كما يقال: تنكَّب عن الصراط، وعن الطريق، إذا أخطأ الصواب وصار إلى سوء الفهم أو التضليل، فهو على هذا تحريفُ مراد الله في التوراة إلى تأويلات باطلة، كما يفعل أهل الأهواء في تحريف معاني القرآن بالتأويلات الفاسدة »[2]، حيث « يكون استعمال حرف الجر (عن) في قوله: (عن مواضعه) مجازاً، ولا مجاوزة ولا مواضِعَ »[3] .

وهذا المعنى الأخير للتحريف ذكره البقاعي عند آية المائدة : « يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَنْ مَواضِعِه »[4]، يقول: « (يحرّفون الكلم) أي: يجددون كل وقت تحريفه (عن مواضعه) ، فإنهم كلما وجدوا شيئاً من كلام الله يشهد بضلالهم حرفوه إلى شهواتهم ، وأولوه التأويل الباطل بأهوائهم، فهم يحرفون الكلم ومعانيها »[5] .

3-قوله تعالى: « تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ »[6] .

يذكر البقاعي هنا دلالة عودة الضمير في قوله: (أنبائها) مؤنثا على (القرى) ، حيث لم يرجع جمعا مذكرا مرادا به أهل القرية كما في قوله: (جاءتهم – رسلهم – ليؤمنوا – كذبوا) ، فيقول: « وأنث الضمير؛ لأن لرؤية القرى أنفسها مدخلاً في معرفة أخبار أهلها »[7] .

([1]) التحرير والتنوير لابن عاشور 5 / 75 .
([2]) التحرير والتنوير لابن عاشور 5 / 75 .
([3]) انظر السابق 5 / 75 .
([4]) المائدة 13 .
([5]) نظم الدرر 2 / 416 .
([6]) الأعراف 101 .
([7]) نظم الدرر 3 / 76 .

ثم يبين البقاعي دلالة عودة الضمير بعد ذلك مجموعا مذكرا على أن يكون المراد بالقرية (أهلها)، فيقول: « (جاءتهم) أي: أهل القرى؛ لأنهم المقصودون بالذات »[1] .

فالبقاعي يذكر دلالة عودة الضمير مؤنثا على (القرية) ، ثم دلالة عوده مجموعا مذكرا في (جاءتهم) وما بعدها من كلمات على (أهل القرية).

4-قوله تعالى : « هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا »[2] .

في كلمة (ليسكن) ضمير مستتر مذكر تقديره (هو) يعود على (نفس) وهي مؤنثة، بدليل عود الضمير في (زوجها) عليها مؤنثا .

وفي كلمة (إليها) ضمير مؤنث عائد على (زوج) وهو مذكر .

وقد ذكر البقاعي علة هذين الأمرين في قوله : « ولما كان المراد بالنفس آدم – عليه السلام – وكان الزوج يقال على الذكر والأنثى ، استخدم ضميره في المذكر ذاكراً علة الجعل بقوله: (ليسكن) أي آدم هو المراد بالنفس هنا ، ولما كان الزوج هنا هو المرأة أنث الضمير فقال: (إليها) »[3].

فخلاصة كلام البقاعي أن الضمير في (ليسكن) عاد مذكرا على (النفس) حملا على معناها؛ إذ المقصود بالنفس هنا: آدم – عليه السلام.

كما عاد الضمير في (إليها) مؤنثا على (زوجها)؛ لأن المراد بالزوج هنا: حواء – عليها السلام .

5-قوله تعالى: « وَإِنَّ لَكُم فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُم مما فِي بُطُونِه »[4].

([1]) السابق 3 / 76 .
([2]) الأعراف 189 .
([3]) نظم الدرر 3 / 168 .
([4]) النحل 66 .

فــي هــذه الآيــة مــن ســورة النحــل عــاد الضــمير فــي (بطونــه) مــذكرا علــى (الأنعام)، بينما عاد مؤنثا عليها في سورة المؤمنون ، حيث يقول الله تعالى : « وَإِنَّ لَكُم فِى الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُم مما فِى بُطُونِهَا »[1] .

ويفسر البقاعي ذلك بأنه « لما كان الأنعام اسم جمع ، فكان مفرداً كما نُقل ذلك سيبويه[2]، وذكر المسقي وهو اللبن، لما اقتضاه سياق السورة من تعداد النعم فتعينت إرادة الإناث لذلك ، فانتفى الالتباس مع تذكير الضمير »[3] .

فالبقاعي يذكر أولا أن (الأنعام) اسم جمع، ومن ثم يجوز فيها أمران : عودة الضمير عليها مذكرا وعودته مؤنثا ؛ لأنه يعامل معاملة المفرد ، ثم يعلل البقاعي لاختيار أحد هذين الأمرين الجائزين في الآية ، وهو عودة الضمير مذكرا، فيبين أن سبب ذلك هو أن السياق يدل على أن المقصود هو الإناث ؛ ويتمثل هذا السياق في ذكر المسقي – وهو اللبن ، ومن ثم ينتفى الالتباس مع تذكير الضمير.

6–قوله تعالى: « وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ للهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِها أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ»[4].

(مَنْ) اسم موصول مشترك يستخدم للمذكر والمؤنث ، وللمفرد والجمع ، وهو في الآية السابقة لجمع المؤنث ، ومن ثم يجوز عودة الضمير عليه مذكرا حملا على اللفظ ، ويجوز عودته مؤنثا حملا على المعنى .

وقد عاد الضمير المستتر في (يقنت) على (مَنْ) مذكرا حملا على اللفظ .

أما (وتعمل) فإنها – على قراءة الجمهور بالتاء[5] – قد عاد الضمير مؤنثا على (مَنْ) حملا على المعنى ، وعلى قراءة حمزة والكسائي[6] فقد عاد الضمير مذكرا حملا على اللفظ .

---

(1) المؤمنون 21 .
(2) انظر: الكتاب 3 / 230 .
(3) نظم الدرر 4 / 284 .
(4) الأحزاب 31 .
(5) انظر: النشر في القراءات العشر لابن الجزري 2 / 348 .
(6) انظر: السابق 2 / 348 .

إذًا هناك أمران جائزان في عودة الضمير على (مَنْ) في الآية السابقة : عودته مذكرا حملا على اللفظ ، أو عودته مؤنثا حملا على المعنى ، وقد جاء قوله تعالى : (يقنت) ، وقوله : (ويعمل) – على قراءة حمزة والكسائي – على الوجه الأول ، وجاء قوله تعالى : (وتعمل) – على قراءة الجمهور – على الوجه الثاني .

وهنا يربط البقاعي بين كل وجه مما سبق والمعنى ، فيقول : « (وتعمل) قرأها حمزة والكسائي بالتحتانية رداً على لفظ (من)؛ حثاً لهن على منازل الرجال ، وقراءة الجماعة بالفوقانية على معناها على الأصل مشيرة إلى الرفق بهن في عمل الجوارح والرضى بالمستطاع كما قال عليه أفضل الصلاة والسلام : (إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم) [1] ، وأما عمل القلب فلا رضى فيه بدون الغاية ، فلذا كان (يقنت) مذكراً »[2] .

([1]) أخرجه البخاري في صحيحه 4 / 422 ، ومسلم في صحيحه 7 ، 91 .

([2]) نظم الدرر 7 / 100 .

المبحث الرابع

إفراد الضمير وجمعه

اهتم مفسرو القرن التاسع الهجري أيضا بالعلاقة بين الضمير ومرجعه من حيث الإفراد والجمع، وبيان مدى علاقة ذلك بالمعنى، فالأصل أن يكون هناك توافق بين الضمير ومرجعه في الإفراد والتثنية والجمع، ولكن قد يأتي التركيب على خلاف الأصل، ومن أمثلة ذلك:

1-قوله تعالى : « مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِى اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ »(1) .

في هذه الآية جاء الضمير في قوله : (حوله) مفردا عائدا على لفظ (الذي)، وإن كان المراد جميع الكفار، ثم جاء في قوله :(بنورهم) جمعا عائدا على ما عاد إليه الضمير في (مثلهم) – وهم الكافرون ، وهنا يبين سبب إفراد الضمير ثم جمعه ، فيقول : « وأفرد الضمير باعتبار لفظ (الذي) فقال : (وما حوله) ، وأراد أن ينتفع بها في إبصار ما يريد ، وهو كناية عما حصل لهم من الأمنة بما قالوه من كلمة الإسلام من غير اعتقاد ، (ذهب الله) الذي له كمال العلم والقدرة، وجَمَعَ الضمير نظراً إلى المعنى لئلا يُتوهم أن بعضهم انتفع دون بعض بعد أن أفراد تقليلاً للنور وإن كان قوياً في أوله لانطفائه في آخر »[2] .

فإفراد الضمير باعتبار لفظ (الذي) للدلالة على تقليل النور ، وجمعه بعد ذلك مراعاة للمعنى ؛ للعموم ، حتى لا يتوهم أن الله قد ذهب بنور بعضهم دون بعضهم الآخر .

2-قوله تعالى: « ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ»(3) .

---

(1) البقرة 17 .
(2) نظم الدرر 1 / 48 .
(3) البقرة 29 .

يرى البقاعي هنا أن إفراد (السماء) يصلح أن يكون مرادا به « جهة العلو » ، ومن ثم يكون « تنبيها على الشرف » ، ويصلح أيضا أن يكون مرادا به الجنس الصالح للكثرة ، « ولذلك أعاد الضمير جمعاً »[1] .

3-قوله تعالى : « بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ »[2] .

في هذه الآية عاد الضمير في قوله : (كسب) و (به) ، و (خطيئته) مفردا ؛ حملا على لفظ (مَنْ) ، أما في قوله تعالى : (فأولئك) فإن اسم الإشارة جاء جمعا حملا على معنى (مَنْ) .

وهنا يبين البقاعي دلالة الإفراد أولا ثم الجمع ، فيقول : « ولما كان إفراد الضمير أنصّ على جزاء كل فرد والحكم بالنكال على الكل أنكأ وأروع وأقبح وأفظع وأدل على القدرة أفرد ثم جمع فقال آتياً بالفاء دليلاً أن أعمالهم سبب دخولهم النار : (فأولئك) أي البعداء البغضاء) أصحاب النار هم (خاصة) فيها خالدون »[3] .

4- قوله تعالى: « أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَما لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ »[4].

جاء الخطاب في أول الآية للمفرد المذكر المراد به سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم، ثم جاء الضمير في (لكم) لخطاب الجمع، وقد وضح الثعالبي دلالة ذلك فقال: « وجَمْع الضمير في لَكُمْ دالٌ على أن المراد بخطاب النبيّ صلّى الله عليه وسلم خطابُ أمته »[5].

---

(1) نظم الدرر 1 / 82 .
(2) البقرة 81 .
(3) نظم الدرر 1 / 178 .
(4) البقرة 107 .
(5) تفسير الثعالبي 1 / 300 .

5–قوله تعالى: « فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ »(1).

في هذه الآية عاد الضمير المستتر في قوله تعالى: (يفتنهم) مفردا على (فرعون)، ولم يعد جمعا على فرعون وملأ ذرية موسى – عليه السلام؛ وسبب ذلك كما قال البقاعي أنه: « لما كان إنكار الملأ إنما هو بسبب فرعون ان يسلبهم رئاستهم، انحصر الخوف فيه فأشار إلى ذلك بوحدة الضمير فقال: (أن يفتنهم)»(2).

6–قوله تعالى: « بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ »(3).

(مَنْ) اسم موصول مشترك يجوز عود الضمير عليه مفردا أو جمعا، وقد عاد عليه الضمير (هو) و الهاء في (له) في الآية السابقة مفردا ، ثم عاد جمعا بعد ذلك في قوله : « ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون »، وهنا يعلل البقاعي اختيار إفراد الضمير أولا بأن « ذكر الأجر لكل واحد بعينه أنص على المقصود وأنفى للتعنت »(4) ، ثم يعلل اختيار جمع الضمير ثانيا بقوله: « ولما كان ربما ادعى أنه ما أفرد الضمير إلا لأن المراد واحد بعينه فلا يقدح ذلك في دعوى أنه لن يدخل الجنة إلا اليهود أو النصارى جمع فقال : (ولا خوف عليهم (من آت) ولا هم يحزنون) على شيء فات دفعاً لضرهم »(5).

7–قوله تعالى : « وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا »(6).

---

(1) يونس 83 .
(2) نظم الدرر 3 / 473 .
(3) البقرة 112 .
(4) نظم الدرر 1 / 222 .
(5) نظم الدرر 1 / 223 .
(6) النساء 4 .

في هذه الآية الكريمة عاد الضمير في (منه) مفردا على (الصداق) المفهوم من (صدقاتهن)، ولم يعد عليها جمعا، حيث لم يقل: (منها)، وذلك – كما يقول البقاعي: « لئلا يُظن أن الموهوب لا يجوز إلا إن كان صداقاً كاملاً »[1] .

8–قوله تعالى: « وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ »[2].

هنا عاد الضمير في (يعلمه) مفردا مذكرا على (نذر) ، ولم يعد مثنى باعتبار أن ما سبقه شيئان: (نفقة – نذر)، وقد علل البقاعي ذلك بأنه « أشد تعظيماً للنذر لما قد يتوهم فيه من النقص عن مندوب الشرع فتحروا في طيب ذلك والوفاء به »[3] .

9–قوله تعالى: « إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ »[4] .

في هذه الآية أُفرد الضمير في قوله: (به) ، ولم يعد مثنى على الشيئين المذكورين قبل ذلك ، وهما: ما في الأرض جميعا ، ومثله معه ، وقد بين البقاعي دلالة ذلك فقال: « ولما كان المقصود تحقير ذلك بالنسبة إلى عظمة يوم التغابن وإن كان عند الكفار الذين جعلوا غاية أمرهم الحياة الدنيا أعظم ما يكون ، والإفهام بأن المراد بالمثل الجنس ليشمل ما عساه أن يفرض من الأمثال ، أعاد الضمير على هذين الشيئين على كثرتهما وعظمتهما مفرداً »[5].

10–قوله تعالى: « قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ »[6].

([1]) نظم الدرر 2 / 215 .
([2]) البقرة 270 .
([3]) نظم الدرر 1 / 525 .
([4]) المائدة 36 .
([5]) نظم الدرر 2 / 453 .
([6]) المائدة 60 .

يعلل البقاعي هنا لاختيارعود الضمير في (منهم) جمعا على (منْ) حملا على معناها، فيقول: « ودل على كثرة الملعونين بجمع الضمير فقال: (منهم)»[1].

11–قوله تعالى: « يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ »[2].

عاد الضمير في قوله : (عنه) مفردا على (رسوله)، ولم يعد مثنى على لفظ الجلالة و(رسوله)، وسبب ذلك أن طاعة الرسول – صلى الله عليه وسلم – هي طاعة الله – تعالى ، يقول البقاعي: « ولما كانت طاعة الرسول هي طاعة الله لأنه إنما يدعوه إليه وإنما خلقه القرآن ، وحد الضمير فقال : (ولا تولوا عنه) أي عن الرسول في حال من الأحوال ، في أمر من الأوامر من الجهاد وغيره ، من الغنائم وغيرها ، خف أو ثقل »[3] .

12–قوله تعالى: « وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ »[4] .

في هذه الآية الكريمة عاد الضمير في قوله: (ينفقونها) جمعا ، مع أن الضمير مسبوق بشيئين: الذهب والفضة ، وهنا يرى البقاعي أن في ذلك دلالة ، وهي أن عود الضمير مثنى قد يوهم أن اجتماع الذهب والفضة شرط في الترهيب من الكنز، وهو غير مراد ، يقول البقاعي: « أعاد الضمير عليهما بما يدل على الأنواع الكثيرة فقال : (ولا ينفقونها) أي ينفقون ما وجب عليهم من هذه الأموال التي جمعوها من هذين النوعين مجتمعين أو منفردين ، ولو ثنى لأوهم أن اجتماعها شرط للترهيب »[5] .

([1]) نظم الدرر 2 / 488 .
([2]) الأنفال 20 .
([3]) نظم الدرر 3 / 199 .
([4]) التوبة 34 .
([5]) نظم الدرر 3 / 306 .

وأجاز البقاعي أيضا أن يكون الضمير عائدا على (الفضة) ؛ لأنه إذا كان الذم على كنزها ، والحاجة إليها لكثرتها أقل ، فإن الذم على كنز الذهب من باب الأولى لأنه أعلى منها وأعز بخلاف الذم على كنز الذهب[1] .

13–قوله تعالى: « وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ »[2].

عاد الضمير في هذه الآية أيضا مفردا على لفظ الجلالة و(رسول) ، وفي ذلك تعظيم لسيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – « بتوحيد الضمير الدال على وحدة الراضي لأن كل ما يرضي أحدهما يرضي الآخر »[3] .

14–قوله تعالى: « قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا »[4] .

هنا أيضا عاد الضمير مفردا على موسى مع أن السابق عليه مثنى : موسى وهارون، وذلك لأن موسى هو الأصل، وأخوه تبع له في الرسالة[5].

15–قوله تعالى: « وَمَنْ كَفَرَ فَلا يَحْزُنْكَ كُفْرُه »[6] .

يعلل البقاعي هنا لاختيار أحد وجهين جائزين في عودة الضمير في قوله (كفره) على (مَن) ، حيث يجوز عوده مفردا حملا على لفظ (مَن)، وجمعا حملا على معناها، ولكن اختير هنا عوده مفردا، ودلالة ذلك كما يقول البقاعي: « التنصيص على كل فرد »[7].

16–قوله تعالى: « مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ »[8].

([1]) السابق 3 / 306 .
([2]) التوبة 62 .
([3]) نظم الدرر 3 / 341 .
([4]) يونس 78 .
([5]) انظر: نظم الدرر 3/ 471 .
([6]) لقمان 23 .
([7]) نظم الدرر 6 / 27 .
([8]) الروم 44 .

يجوز أن يعود الضمير على (مَن) مفردا أو جمعا، وقد عاد مفردا في قوله: (عليه)، و(كفره) على (مَنْ) الأولى، ثم عاد جمعا في قوله (فلأنفسهم) على (مَنْ) الثانية، وقد علل البقاعي اختيار توحيد الضمير أولا بقوله: « ووحد الضمير رداً له على لفظ (مَنْ)نصاً على أن كل واحد مجزيّ بعمله لا المجموع من حيث هو مجموع ، وإفهاماً لأن الكفرة قليل وإن كانوا أكثر من المؤمنين ، لأنهم لا مولى لهم ، ولتفرق كلمتهم »[1] ، ثم علل اختيار الجمع ثانيا بأن فيه « بشارة بأن أهل الجنة كثير وإن كانوا قليلاً ، لأن الله مولاهم فهو يزكيهم ويؤيدهم »[2] .

17-قوله تعالى: « وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ »[3] .

في هذه الآية أيضا عاد الضمير مفردا على لفظ (مَنْ) في قوله: (ذكر – ربه – أعرض)، بينما جاء الاسم الظاهرالذي وضع بدلا من الضمير جمعا، وقد علل البقاعي ذلك فقال: « ولما كان الحال مقتضياً للسؤال عن جزائهم ، وكان قد أفرد الضمير باعتبار لفظ (من) تنبيهاً على قباحة الظلم من كل فرد ، قال جامعاً لأن إهانة الجمع دالة على إهانة الواحد من باب الأولى »[4] .

([1]) نظم الدرر 5 / 633 .
([2]) السابق 5 / 634 .
([3]) السجدة 22 .
([4]) نظم الدرر 6 / 61 .

المبحث الخامس

وضع الظاهر موضع المضمر

يستخدم الضمير في الربط ، حيث يكنى به عن الظاهر بدلا من إعادة الذكر، فيعمل ذلك على « رفع الالتباس، فإن (أنا)، و (أنت)، لا يصلحان إلا لمعينين، وكذا ضمير الغائب، نص في أن المراد هو المذكور بعينه في نحو: جاءني زيد وإياه ضربت، وفي المتصل يحصل مع رفع الالتباس: الاختصار، وليس كذلك: الأسماء الظاهرة، فإنه لو سمي المتكلم والمخاطب بعلميهما فربما التبس، ولو كرر لفظ المذكور مكان ضمير الغائب فربما توهم أنه غير الأول » [1] .

فيتضح من النص السابق للرضي أن اختيار الضمير بديلا عن إعادة الذكر يرفع الالتباس، كما أنه يحقق الاختصار والإيجاز، « وهذه العناصر الثلاثة هي من مطالب الاستعمال اللغوي » [2].

وقد يأتي التركيب على الأصل، وذلك بوضع الظاهر موضع المضمر، عند إرادة غاية بلاغية لا تتحقق إلا بإعادة الذكر، « وتَحَمُّلِ طُولِ الكلام بهذِه الأسماء الظاهرة » [3].

وقد ذكر السيوطي أن من فوائد وضع الظاهر موضع المضمر : زيادة التقرير والتمكين، وقصد التعظيم، وقصد الإهانة والتحقير، وإزالة اللبس، وقصد تربية المهابة وإدخال الردع على ضمير السامع بذكر الاسم المقتضي لذلك، وقصد تقوية داعية المأمور، وتعظيم الأمر والاستلذاذ بذكره، وقصد التوصل من الظاهر إلى الوصف، والتنبيه على علية الحكم، وقصد العموم، وقصد الخصوص، والإشارة إلى عدم دخول الجملة الثانية في حكم الأولى، ومراعاة الجناس، وتحمل الاسم الظاهر ضميرا لا بد منه[4].

([1]) شرح الرضي على الكافية 2/ 401 .
([2]) البيان في روائع القرآن 1/ 137 .
([3]) البلاغة العربية: أسسها وعلومها وفنونها 2/ 98 .
([4]) انظر : الإتقان في علوم القرآن 3/ 168 ، ودلالة الإحالة الضميرية في القرآن الكريم د/ أحمد

وفيما يلي أذكر الأغراض التي ذكرها البقاعي وهو بصدد تحليله للآيات التي وضع فيها الظاهر موضع المضمر.

1-قوله تعالى: « وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ »(1).

أعاد هنا ذكر كلمة (المحيض) على الرغم من ذكرها قبل ذلك، ولم يقل: (فاعتزلوا النساء فيه) ، وقد بين البقاعي دلالة ذلك فقال: « وأظهره لئلا يلبس لو أضمر بأن الضمير لمطلق المراد بالأذى من الدم فيشمل الاستحاضة وهي دم صالح يسيل من عرق ينفجر من عنق الرحم فلا يكون أذى كالحيض الذي هو دم فاسد يتولد من طبيعة المرأة من طريق الرحم ولو احتبس لمرضت المرأة ، فهو كالبول والغائط فيحل الوطء معه دون الحيض »(2).

2-قوله تعالى: « وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا»(3).

بين البقاعي هنا أيضا دلالة وضع الظاهر (كل) بدلا من المضمر ، حيث لم يقل: (هو من عند الله) ؛ لأنه (هو) حينئذ سيعود على ما عاد إليه الضمير في (به)، وهذا الأخير يحتمل العودة على المحكم فقط ، فجاء الاسم الظاهر بدلا من المضمر ليرفع هذا الاحتمال، ويشمل كلا من المحكم والمتشابه، يقول البقاعي: « ولما كان هذا الضمير محتملاً للمحكم فقط قال : (كل) أي من المحكم والمتشتبه »(4).

3-قوله تعالى: « لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ »(5) .

عبد الراضي ص22- 29 .

(1) البقرة 222 .

(2) نظم الدرر 1 / 421 .

(3) آل عمران 7 .

(4) نظم الدرر 2 / 25 .

(5) آل عمران 113 .

وضع في هذه الآية الظاهر وهو (أهل الكتاب) مكان الضمير، ، حيث لم يقل: (منهم) ، « لئلا يتوهم عود الضمير على خصوص من حكم بتكفيرهم »[1] .

4-قوله تعالى: « فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ»(2).

وضع هنا أيضا الاسم الظاهر (الظالمين) بدلا من الضمير؛ « تعميماً وتعليقاً للحكم بالوصف »[3] .

5-قوله تعالى: « وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ »(4).

وضع هنا أيضا الاسم الظاهر: (الذين) وصلته موضع الضمير، حيث لم يقل: (فنذرهم) ؛ تخصيصاً وتنبيهاً على ما أوجبه لهم الإعراض والجرأة من استدراجهم وتركهم في طغيانهم[5].

6-قوله تعالى: « وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ »(6) .

وضع هنا الظاهر: (فضله) موضع الضمير، حيث لم يقل: (فلا راد له)، وذلك للتنبيه « على أنه لا يجب عليه سبحانه شيء »[7] .

7- قوله تعالى: « وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ »(8).

ذكر البقاعي دلالة وضع الاسم الظاهر (الملك) بدلا من الضمير، فقال: « (وقال الملك) صرح به ولم يستغن بضميره؛ كراهيةَ الإلباس لما تخلل بينه وبين جواب امرأة العزيز من كلام يوسف – عليه الصلاة والسلام – ولو كان الكل من كلامها لاستغنى بالضمير ولم يحتج إلى إبرازه »[9].

([1]) نظم الدرر 2 / 138 .
([2]) الأنعام 33 .
([3]) نظم الدرر 2 / 628 .
([4]) يونس 11 .
([5]) انظر: نظم الدرر 3 / 422 .
([6]) يونس 107 .
([7]) نظم الدرر 3 / 495 .
([8]) يوسف 50 .
([9]) نظم الدرر 4 / 59 .

8–قوله تعالى: « بِئْسَ لِلظالمينَ بَدَلا »[1] .

وضع هنا الظاهر: (الظالمين) موضع الضمير، حيث لم يقل: (بئس لكم)، وذلك « لتعليق الفعل بالوصف والتعميم »[2] .

9– قوله تعالى: « حَتَّى إذا أتيا قرية استطعما أهلها »[3].

لما كان معنى (أتيا قرية)هنا هو: (أتيا أهل قرية) كان الأصل أن يقول: (استطعماهم)، ولكن عدل عن الضمير إلى الاسم الظاهر؛ وقد بين البقاعي دلالة ذلك فقال: « (حتى إذا أتيا قرية استطعما أهلها): وفي هذه الآية أدل دلالة على أنه لم يستطعما كل أهل القرية ... وبيان ذلك أن النكرة إذا أعيدت كانت الثانية غير الأولى، وإذا أعيدت معرفة كانت عيناً في الأغلب .

ولما أسند الإتيان إلى أهل القرية كان ظاهره تناول الجميع، فلو قيل: استطعماهم لكان المراد بالضمير عين المأتيين، فلما عدل عنه – مع أنه أخصر – إلى الظاهر – ولا سيما إن جعلناه نكرة – كان غير الأولى، وإلا لم يكن للعدول فائدة، وقد كان الظاهر أن الأول للجميع فكان الثاني للبعض، وإلا لم يكن غيره ولا كان للعدول فائدة »[4].

10–قوله تعالى: « فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضاً وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْداً لِّقَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ»[5].

وضع هنا أيضا الظاهر: (لقوم لا يؤمنون) بدلا من الضمير، حيث لم يقل: (فبعدا لهم)؛ « تعميماً وتعليقاً للحكم بالوصف تحذيراً لكل من تلبس به »[6] .

11–قوله تعالى: « وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ »[7] .

([1]) الكهف 50 .
([2]) نظم الدرر 4 / 476 .
([3]) الكهف 77 .
([4]) نظم الدرر 4 / 495 .
([5]) المؤمنون 84 .
([6]) نظم الدرر 5 / 201 .
([7]) القصص 84 .

يقول البقاعي : « أظهر ما في هذا الفعل من الضمير العائد على (من) فقال : (الذين عملوا السيئات) تصويراً لحالهم تقبيحاً لها وتنفيراً من عملها »[1] .

12- قوله تعالى: « فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ »[2] .

وضع هنا الاسم الظاهر : لفظ الجلالة (الله) بدلا من الضمير، وذلك - كما يقول البقاعي - : « لئلا يتوهم عود الضمير إلى الدين »[3] .

13-قوله تعالى: « وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ »[4] .

لم يقل هنا: (إنا منهم منتقمون) ، على أن يعود الضمير على معنى (مَنْ) ، بل أظهر فقال (من المجرمين) ، « نصاً في التعميم وتعليقاً للحكم به معيّناً لنوع ظلمهم تبشيعاً له »[5] .

14- قوله تعالى: « أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ »[6].

في هذه الآية الكريمة وضع الظاهر موضع المضمر، حيث حل قوله: (من في النار) محل الضمير، والأصل: أفمن حق عليه العذاب أفأنت تنقذه، وقد ذكر البقاعي دلالة وضع الظاهر موضع المضمر هنا فقال: « ووضع موضع ضميره قوله - شهادةً عليه بما هو مستحقه ولا يمكن غير الله فكه منه - (من في النار) متمكناً فيها شديد الانغماس في طبقاتها ، والرسوخ بحيث إنها قد أحاطت به من كل جانب »[7].

([1]) نظم الدرر 5 / 528 .
([2]) الروم 43 .
([3]) نظم الدرر 5 / 633 .
([4]) السجدة 22 .
([5]) نظم الدرر 6 / 61 .
([6]) الزمر 19 .
([7]) نظم الدرر 6 / 434 .

المبحث السادس
تكرار الضمير

1-قوله تعالى: « وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرون »[1] .

نلاحظ في هذه الآية الكريمة أن الضمير (هم) قد تكرر مرتين،وهذا التكرار لا يخلو من فائدة دلالية،وقد التفت إلى هذه الدلالة البقاعي حيث قال:«وأعاد الضمير تأكيداً لتعيينهم وإثبات غاية الفساد لبواطنهم واختصاصهم بمزيد الكفر»[2].

2-قوله تعالى: « لا جَرَمَ أَنَّهُم فِي الآخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرون »[3] .

أعاد هنا أيضا الضمير (هم) ، وذلك للتخصيص، يقول البقاعي: « أعاد الضمير فقال : (هم) أي خاصة »[4] .

3-قوله تعالى: « أُولئِكَ أَصْحابُ الجَنَّةِ هُمْ فيها خَالِدُون »[5] .

أعيد الضمير هنا أيضا للتخصيص ، يقول البقاعي: « ولما كانوا مختصين بها – أي: بالجنة – أول ، أو بالخلود من أول الأمر ، أعاد الضمير فقال : (هم فيها (اي خاصة لا في غيرها) خالدون »[6] .

4-قوله تعالى: « وَهُم بالآخرةِ هُمْ كَافِرون »[7] .

أعاد الضمير هنا أيضا للتنبيه على أن هؤلاء اختصوا بهذا الجهل ، وأن غيرهم وقفوا على الهدى[8].

([1]) هود 19 .
([2]) نظم الدرر 3 / 515 .
([3]) هود 22 .
([4]) نظم الدرر 3 / 516 .
([5]) هود 23 .
([6]) نظم الدرر 3 / 519 .
([7]) يوسف 37 .
([8]) انظر: نظم الدرر 4 / 39 .

المبحث السابع

الضمير والاستخدام

الاستخدام هو: ذكر اللفظ بمعنى وإعادة الضمير عليه بمعنى آخر ، نحو: (شربت من العين وتصدقت منها بدينار)، أريد بالعين الجارية، وبضميرها الذهب[1].

أن يعود الضمير على لفظ والمراد معناه، من ذلك ما ورد في الآيات التالية:

1-قوله تعالى: « تِلْكَ حُدودُ اللهِ فَلا تَقْرَبوها »[2] .

يقول البقاعي: « وأعاد الضمير على مفهومه – أي:مفهوم (حدود) المطابق استخداماً فقال : (فلا تقربوها) »[3] .

2-قوله تعالى: « يَاأَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا »[4] .

في هذه الآية الكريمة عاد الضمير في قوله: (فنردها – أدبارها) على كلمة (وجوه) مرادا بها معناها الحقيقي، أما في قوله: (نلعنهم) فقد ذكر البقاعي وجهين لعودة الضمير، حيث أجاز أن يكون المراد بـ (الوجه) الجملة، ويكون استعال (وجوه) هنا مجازا، وأجاز أن يكون المراد بالوجوه: الوجهاء، ومن ثم يكون عود الضمير على (وجوه) استخداما، حيث عاد الضمير على لفظها، ولكن المراد معناها، « ويكون المراد بالر على الأدبار جعلهم أدنياء صغرة من الأسافل »[5] .

---

[1] شرك الآمل لصيد شوارد المسائل، تأليف/ علي صقر ص66 .

[2] البقرة 187 .

[3] نظم الدرر 1 / 357 .

[4] النساء 47 .

[5] نظم الدرر 2 / 265 .

3-قوله تعالى: « يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا»(1) .

في هذه الآية الكريمة منعت تثنية الضمير في قوله تعالى: (بهما) من أن يكون قوله: (فالله أولى بهما) جوابا للشرط، لأنه لو كان كذلك لقيل: (أولى به) بإفراد الضميرعلى أن يكون عائدا على ما عاد إليه الضمير المستتر الواقع اسم (إنَّ)، ولكن الضمير هنا جاء مثنى ، والعطف بـ(أو) لا يثنى معه الضمير، إذ لا يجوز أن يقال: (زيد أو علي قاما)، بل يقال: قام.

ومن ثم ذهب البقاعي إلى أن الضمير المثنى هنا يعود على جنسي الغني والفقير، وهو المعنى المفهوم من لفظي (غنيا – فقيرا)، وهو ما يعرف بالاستخدام، يقول البقاعي: « (فالله) أي: ذو الجلال والإكرام (أولى بهما) أي: بنوعي الغني والفقير المندرج فيهما هذان المشهود بسببهما منكم ، فهو المرجو لجلب النفع ودفع الضر بغير ما ظننتموه ، فالضمير من الاستخدام ، ولو عاد للمذكور لوحد الضمير لأن المحدث عنه واحد مبهم »(2) .

وقد ذهب بعض المفسرين، ومنهم أبو حيان في البحر المحيط إلى تقدير جواب الشرط ، فذهب إلى أن تقديره: « فليشهد عليه ولا يراعي الغني لغناه ، ولا لخوف منه ، ولا الفقير لمسكنته وفقره »(3) .

4-قوله تعالى: « مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّه يَحْمِلُ يَوْمَ القِيامةِ وِزْرًا خَالِدينَ فيها»(4) .

أجاز البقاعي أن يكون الضمير عائدا على لفظ (وزرا) ولكن المراد معناها، وهو: الحمل الثقيل، يقول: « ويمكن أن يراد بالوزر الحمل الثقيل من الأثم، ويكون الضمير في (فيه) للعذاب المسبب عنه فيكون استخداماً كقوله :

---

(1) النساء 135 .
(2) نظم الدرر 2 / 344 .
(3) البحر المحيط 4 / 96 .
(4) طه 100 ، 101 .

إذا نَزَلَ السَّماءُ بأرْضِ قَوْمٍ رَعَيْناه وإنْ كانوا غِضابا[1] »[2] .

5-قوله تعالى:« وإنَّ لَكُمْ فِي الأنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِكُم مِّمَّا فِي بُطُونِها»(3) .

يرى البقاعي أن الضمير في (بطونها) استخدام، يقول: « ولما كان الأنعام مفرداً لكونه اسم جمع ، ولم يذكر ما يسقى منه ، أنث الضمير بحسب المعنى وعلم أن المراد ما يكون منه اللبن خاصة وهو الإناث ، فهو استخدام لأنه لو أريد جميع ما يقع عليه الاسم لذكر الضمير ، فلذلك قال: مما في بطونها »[4] .

6-قوله تعالى: « وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا »(5) .

يرى البقاعي أن الضمير في (سألتموهن) يعود على لفظة (بيوت) المذكورة في قوله تعالى: « **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ** »(6) والمراد معناها، لأن البيت يطلق على المرأة لملازمتها له ، يقول البقاعي: « ولما كان البيت يطلق على المرأة لملازمتها له عادة ، أعاد الضمير عليه مراداً به النساء استخداماً فقال : (وإذا سألتموهن) أي (الأزواج) متاعاً »[7] .

([1])البيت من الوافر، وهو لمعوّد الحكماء (معاوية بن مالك) في لسان العرب مادة (سما) ، وللفرزدق في تاج العروس مادة (سما) ، وبلا نسبة في مقاييس اللغة 3/ 98، والمخصص195 /7 ، 30 /16، وديوان الأدب 4/ 47.

([2]) نظم الدرر 5 / 44 .

([3]) المؤمنون 21 .

([4]) نظم الدرر 5 / 193 .

([5]) الأحزاب 53 .

([6]) الأحزاب 53 .

([7]) نظم الدرر 6 / 126 .

الفصل الثاني

الربط بالإشـــارة

اسم الإشارة هو: ما دل على مسمى وإشارة إليه[1]، « والمشار إليه إما واحد، أو اثنان، أو جماعة، وكل واحد منها إما مذكر وإما مؤنث، فللمفرد المذكر (ذا)، وللمفرد المؤنث عشرة، وهي: ذي، وتي، وذه، وته، وذه، وته، وذه، وته وذات، وتا، وللمثنى ذان، وتان رفعا، وذين وتين جرا ونصبا ... ولجمعهما: (أولاء) ممدودا، وإذا كان المشار إليه بعيدا لحقته كاف حرفية تتصرف تصرف الكاف الاسمية غالبا، ومن غير الغالب: « ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُم »[2] ، ولك أن تزيد قبلها لاما، ويشار إلى المكان القريب بهنا أو هاهنا، نحو: « إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ »[3]، وللبعيد بهناك أو ههناك أو هنالك أو هنا أو هنا أو هنت أو ثم، نحو: (وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِين) [4] »[5].

ويقوم اسم الإشارم مقام الضمير في القيام بعملية الربط بين أجزاء الكلام، ولذلك نجد النحاة القدماء قد اعترفوا بما يؤديه اسم الإشارة من ربط جملة الخبر بالمبتدأ في قوله تعالى: « وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ ذَلِكَ خَيْرٌ »[6]، فـ (ذلك) في قوة (هو خير) [7]، ولذلك عد الدكتور تمام حسان الضمير قسما من أقسام الكلام العربي وأدرج تحته أسماء الإشارة والموصول، وأطلق عليها: ضمائر الإشارة وضمائر الموصول[8].

وهو – مثل الضمير – يحتاج إلى مرجع يفسره ، والأصل في هذا المرجع أن يكون متقدما، فتتحقق عملية الربط من خلال إحالة اسم الإشارة إلى هذا المتقدم، وحينئذ

---

(1) شرح الكافية الشافية لابن مالك ـتر / لهترسم.

(2) المجادلة يرـتر .

(3) المائدة شمير .

(4) الشعراء شملي .

(5) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، لابن هشام (المتوفى: 761هـ) ، تحقيق/ يوسف الشيخ محمد البقاعي، نشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع 1 / 139 – 142 .

(6) الأعراف 26 .

(7) مقالات في اللغة والأدب 1/ 198 ، 199 .

(8) اللغة العربية معناها ومبناها ص87 ، 88 .

يغني عن إعادة هذا المتقدم مما يؤدي إلى الإيجاز والاختصار بجانب عملية الربط[1] ، كما في قوله تعالى: « هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِى ضَلَالٍ مُبِينٍ »[2]، فاسم الإشارة أحال إلى كل ما خلق الله في هذا الكون والذي جاء في قوله تعالى في الآية السابقة: « خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِى الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ »[3]، مما أغنى عن تكرار ذكر هذه المخلوقات، أي أن اسم الإشارة حقق الربط والاختصار.

وقد يكون مفسر اسم الإشارة متأخرا كما في قوله تعالى: « ذلكَ الكتابُ لا ريب فيه »[4].

وقد يكون مفسره متصيدا من الكلام كما في قوله تعالى: « وَلَمن صَبر وَغفر إِن ذَلِك لمن عزم الْأُمور »[5] ، ف (ذلك) إشارة إلى الصبر والغفران المفهومين من قوله: (ولمن صبر وغفر) [6].

وقد اهتم مفسرو القرن التاسع الهجري ببيان دور اسم الإشارة في تحقيق الربط بين عناصر التركيب، يتجلى ذلك في عنايتهم ببيان مرجع اسم الإشارة سواء كان هذا المرجع سابقا أو لاحقا، وسواء أكان مصرحا به أو متصيدا يفهم من الكلام، إيمانا منهم بأن فهم المعنى يتوقف على معرفة هذا المرجع لأنه يعد بيانا وتوضيحا لدلالة اسم الإشارة المبهم، كما أنهم عُنوا – بجانب ما سبق – ببيان القيمة الدلالة لاستخدام اسم الإشارة في الربط

---

(1) انظر: الربط في اللفظ والمعنى: تأصيل وتطبيق في ضوء علم اللغة النصي د/ محمود عكاشة، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي – الطبعة الأولى بربربريم، صترشمير.

(2) لقمان 11 .

(3) لقمان 10 .

(4) البقرة 2 .

(5) الشورى 43 .

(6) انظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام صشبيي .

سواء كان ذلك في المواضع التي استخدام فيها اسم الإشارة بدلا من الضمير، أو في المواضع التي لا يصلح فيها الضمير أصلا.

وفيما يلي أذكر بعض الآيات التي ورد فيها الربط باسم الإشارة مبينا مدى اهتمام مفسري القرن التاسع الهجري ببيان وتوضيح الدور الكبير الذي يؤديه اسم الإشارة في الربط ومدى تأثير ذلك على توجيه المعنى عندهم.

1- قوله تعالى: « ذَلِكَ الكتابُ لا رَيْبَ فيه »[1] .

في هذه الآية إشارة إلى الكتاب بـ (ذلك)، وهو اسم إشارة للبعيد، واستعمال اسم الإشارة هنا له دلالتان، الأولى ناتجة عن اختياره للربط به دون الضمير، والثانية ناتجة عن اختيار اسم الإشارة للبعيد، أما الدلالة الأولى الناتجة عن اختياره دون الضمير فقد ذكرها ابن عرفة عند تفسيره لهذه الآية ، إذ قال: « وعبر عنه باسم الإشارة دون ضمير الغيبة تنبيها على أنه كالمحسوس المشار إليه فهو دليل على عظمته في النفوس »[2]، وأما الدلالة الثانية الناتجة عن اختياره للبعيد فقد ذكرها البقاعي في قوله: « أشير إليه بأداة البعد ولام الكمال في قوله: (ذلك الكتب) لعلو مقداره بجلالة آثاره وبُعد رتبته عن نيل المطرودين »[3].

2-قوله تعالى: «وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ»[4].

في هذه الآية الكريمة اهتم البقاعي ببيان ما يدل عليه اسم الإشارة، فقال: « ولما كان اسم الإشارة لا دلالة له على حقيقة الذات افتقر إلى بيان ذات المشار إليه فقال: (الشجرة) »[5]، فاسم الإشارة فُسِّر هنا بـ(الشجرة)، ولذلك تعرب لفظة (الشجرة): بدلا أو عطف بيان من اسم الإشارة، فهنا علاقة تبعية بين لفظي: (هذه) و(الشجرة) حيث بينت

---

(1) البقرة 2 .
(2) تفسير ابن عرفة 1 / 112 .
(3) نظم الدرر 1 / 33 .
(4) البقرة 35 .
(5) نظم الدرر 1 / 104 .

الثانية الإشارة في اللفظة الأولى، وأيضا حقق اسم الإشارة الربط بالإشارة إلى المذكور (الشجرة)، ومرجع الإشارة هنا متأخر.

3-قوله تعالى: « وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذلة والمسكنة وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ الله وَيَقْتُلُونَ النبيين بِغَيْرِ الحق ذلك بِمَا عَصَواْ »[1].

يذكر ابن عرفة وجهين فيما يخص ما تعود إليه الإشارة الثانية في قوله: (ذلك بما عصوا) ويذكر المعنى على كل وجه، فيقول: « إن كانت الإشارة إلى المشار إليه أولا – يعني: قوله (وضربت عليهم الذلة والمسكنة) – فهو من التعليل بعلتين فأكثر (فيجيء) فيه تعداد العلل، والعلل الشرعية يصحّ تعدّدها مطلقا، وكذلك العقلية (تتعدد) لكن بالنوع لا بالشخص، وإن كانت الإشارة إلى العلة الأولى – يعني: قوله (ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين) فيكون من تعليل المعصية بمعصية أخرى»[2].

ثم يبين القيمة الدلالية لهذه الإشارة إذا كانت راجعة إلى قوله: (وضربت عليهم الذلة والمسكنة)، ذاكرا سبب العدول عن عطف العلتين بالواو، فيقول: « فإن قلت: إذا كانتا علتين فهلا عطف بالواو ولم (يكرر) سم الإشارة بكأن يقال: وبما عصوا؟ فالجواب: أنه إشارة إلى أن كل واحدة منهما علة مستقلة يحسن التعليل بها»[3].

4-قوله تعالى: « ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ »[4].

عُني البقاعي في هذه الآية أيضا ببيان ما يدل عليه اسم الإشارة (ذلك)، ودلالة اختياره دون غيره من أدوات الإشارة الأخرى، فقال: « {ذلك} أي النبأ العظيم والأمر الجسيم الذي لم تكن تعلم شيئاً منه ... وأشار بأداة البعد تنبيهاً على علو منزلته ورفيع قدره »[5].

---

(1) البقرة 61 .
(2) تفسير ابن عرفة 1 / 122 .
(3) تفسير ابن عرفة 1 / 122 .
(4) آل عمران 58 .
(5) نظم الدرر 2 / 99 .

فاسم الإشارة هنا ربط بين هذه الآية والآيات السابقة بإحالة السامع إلى يوم القيامة المفهوم من هذه الآيات السابقة التي قال فيها الله – عز وجل: « وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ۖ 54 إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۖ 55 فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ۖ 56 وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ۖ 57 »[1] ، ومرجع اسم الإشارة هنا سابق.

5–قوله تعالى: « وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ »[2].

عني البقاعي في هذه الآية ببيان ما أحال إلأيه اسم الإشارة (تلك)، وهي إحالة إلى شيء سابق، فقال: « (وتلك) أي وهذه الحجة العظيمة الشأن التي تلوناها عليكم ، وهي ما حاج إبراهيم عليه السلام به قومه »[3]، فهي إشارة إلى جميع ما احتج به إبراهيم عليه السلام على قومه من قوله: " فلما جن عليه الليل " إلى " وهم مهتدون "[4] » [5].

6–قوله تعالى: « إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ »[6].

ورد اسم الإشارة: (ذلك) في هذه الآية ثلاث مرات، وهو في كل موضع له دلالته الخاصة التي تفسره، فالمقصود به في الموضع الأول – كما قال البقاعي: « النبأ العظيم والقصص والوعظ بما يذكر»، والمقصود به في الموضع الثاني والثالث: « اليوم

---

(1) آل عمران 54 – 57 .
(2) الأنعام 83 .
(3) نظم الدرر 2 / 664 .
(4) الآيات من 76 إلى 82 .
(5) تفسير النسفي 21/2 .
(6) هود 103 .

العظيم الذي يكون فيه عذاب الآخرة »[1]، وتكراره مرادا به يوم القيامة للإشارة إلى تهويله.

7-قوله تعالى: « هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِى ضَلَالٍ مُبِينٍ »[2].

بين البقاعي ما يدل عليه اسم الإشارة (هذا)، فقال: « (هذا) أي الذي تشاهدونه كله »[3]، فاسم الإشارة هنا حقق الربط بالإشارة إلى كل ما خلق الله في هذا الكون والذي جاء في قوله تعالى في الآية السابقة: « خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِى الْأَرْضِ رَوَاسِىَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ »[4]، أي أن مرجع الإشارة هنا متصيد مفهوم من الكلام السابق.

8-قوله تعالى: « قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَاإِبْرَاهِيمُ »[5].

في هذه الآية الكريمة ربط اسم اسم الإشارة بين أجزاء الكلام من خلال إحالة السامع أو القاريء إلى كلام سابق، وهنا المرجع متصيد من الكلام السابق، والمعنى: أأنت فعلت الفعل الفاحش بآلهتنا[6]، وهذا الفعل الفاحش هو تكسير الأصنام، وقد فهم هذا من قوله تعالى: « فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ»[7].

9-قوله تعالى: « ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ »[8].

علل البقاعي هنا لاختيار اسم الإشارة (ذلكم)، فذكر أن هذا الاختيار للإشارة إلى عظمته – سبحانه وتعالى – الذي له جميع ما ذكر من أول السورة إلى هنا[9]، أي أن

---

(1) نظم الدرر 3 / 576 .
(2) لقمان 11 .
(3) نظم الدرر 6 / 10 .
(4) لقمان 10 .
(5) الأنبياء 62 .
(6) نظم الدرر 5 / 92 .
(7) الأنبياء 58 .
(8) الزمر 6 .
(9) نظم الدرر 6 / 423 .

اسم الإشارة ربط الكلام بالإحالة إلى كل ما سبق من صفات الله تعالى قبل اسم الإشارة (ذلكم)، في قوله تعالى: « لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ 4 خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ »[1].

قوله تعالى: « وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ »[2].

بين ابن عرفة القيمة الدلالية للتعبير باسم الإشارة هنا أيضا للإشارة إلى القرآن الكريم، فقال: « ذكر اسم الإشارة، وإن كان مستغنى عنه؛ إشارة إلى تحقيق القرآن المعجز المشتمل على أخبار الصدق والمواعظ الحسنة، فلذلك فرقوا في باب الأيمان بين من حلف لَا آكل طعام فلان فأكله بعد انتقاله عن ملك فلان، قالوا: لا يحنث، وبين قوله: لَا أكلت هذا الطعام؛ فأكل منه أنه يحنث على كل حال»[3].

قوله تعالى: « يَابَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ »[4].

ذكر البقاعي أن معنى (ولباس التقوى ذلك خير): ولباس التقوى هو خير من لبس الثياب، ولكنه فصل باسم الإشارة المقترن بإداة البعد إيماء إلى علو رتبته وحسن عاقبته لكونه أهم اللباسين لأن نزعه يكون بكشف العورة الحسية والمعنوية، فلو تجمل الإنسان بأحسن الملابس وهو غير متق كان كله سوءات، ولوكان متقياً وليس عليه إلا خريقة تواري عورته كان في غاية الجمال والستر والكمال[5].

---

(1) الزمر 4 – 6 .
(2) الزمر 27 .
(3) تفسير ابن عرفة 3 / 388 .
(4) الأعراف 26 .
(5) نظم الدرر 3 / 20 .

كذلك النيسابوري فإنه يرى أن المعنى: ولباس التقوى هو خير، والعدول إلى الإشارة إما لتعظيم لباس التقوى وإما أن يكون المراد بلباس التقوى هو اللباس المواري للسوأة لأن مواراة السوأة من التقوى تفضيلا له على لباس الزينة[1].

فالبقاعي والنيسابوري يتفقان في أن (ذلك) حل محل الضمير في القيام بالربط هنا، ولذلك قال النيسابوري: « أسماء الإشارة كالضمائر في صلاح العود بسببها » [2]، ولعل هذا هو ما دعا الدكتور تمام حسان إلى إدراج أسماء الإشارة تحت قسم الضمائر، وسماها : ضمائر الإشارة.

ولكنهما اختلفا في إعراب (ذلك) ، فالبقاعي يرى أن (ذلك) اسم إشارة وقع فصلا[3]، أما النيسابوري فإنه يرى أنه مبتدأ ثان، أو بدل أو عطف بيان أو صفة[4]، أما السيوطي فإنه يرى أنه مبتدأ ثان، يتضح ذلك في قوله: « (ولباس التقوى) العمل الصالح والسمت الحسن بالنصب عطف على لباسا والرفع مبتدأ خبره جملة (ذلك خير ذلك من آيات الله) »[5].

12–قوله تعالى: « إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ »(6).

جاء اسم الإشارة (ذلك) هنا ليربط ما بعده بما قبله، فهو يشير – كما ذكر البقاعي والسيوطي– إلى الفعل الواقع منه – أي: الصبر والغفران – البالغ في العلو حداً لا يوصف[7].

وهذا ما أشار إليه ابن هشام وهو بصدد تعليقه على هذه الآية، حيث يقول: « قَول بَعضهم فِي (وَلمن صَبر وَغفر إِن ذَلِك لمن عزم الْأُمُور) إِن الرابط الْإِشَارَة وَإِن

---

(1) تفسير النيسابوري 3 / 221 .
(2) المرجع السابق 3 / 221 .
(3) نظم الدرر 3 / 20 .
(4) تفسير النيسابروي 3 / 221 .
(5) تفسير الجلالين ص196 .
(6) الشورى 42 ، 43 .
(7) نظم الدرر 6 / 642 ، وتفسير الجلالين ص645 .

الصابر والغافر جعلا من عزم الْأُمُور مُبَالغَة وَالصَّوَاب أَن الْإِشَارَة للصبر والغفران بِدَلِيل (وَإِن تصبروا وتتقوا فَإِن ذَلِك من عزم الْأُمُور) وَلم يقل إِنَّكُم »[1].

13–قوله تعالى: « يٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى السَّمَاوَاتِ أَوْ فِى الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ يٰبُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاَةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ »[2].

جاء اسم الإشارة (ذلك) هنا ليحقق الربط من خلال الإحالة إلى ما سبق ذكره من نصائح سيدنا لقمان لابنه[3]، يقول البقاعي: « (إنَّ ذلك) أي الأمر العظيم الذي أوصيتك به لا سيما الصبر على المصائب: (من عزم الأمور) »[4].

شمتر–قوله تعالى: « وَهُوَ الَّذِى مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا»[5].

يبين ابن عرفة القيمة الدلالية لاسم الإشارة في هذه الآية، وسبب العدول عن الاسم الظاهر إلى الإشارة، فيقول: « وعادتهم يقولون: الأصل يقال: لقيت رجلين أحدهما صالح والإتيان باسم الإشارة فرع عن اسم الظاهر، فلِمَ قال: (هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ)، وكذلك في سورة القصص: (فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ) [6] ؟، قال: والجواب: أنه إن أريد التقسيم بالأمور العرضية فيؤتى باسم الإشارة، وإن أريد التعرض بالأمور الذاتية، فيقال: أحدهم كذا والآخر كذا، كما في حديث عبد الله بن عمر: (فَاكْتَنَفْتُهُ أَنَا وَصَاحِبِي أَحَدُنَا عَنْ يَمِينِهِ، وَالْآخَرُ عَنْ شِمَالِهِ) [7]»[8].

---

[1] مغني اللبيبي عن كتب الأعاريب لا بن هشام ص774 .

[2] لقمان 16 ، 17 .

[3] انظر: تفسير النيسابوري 5 / 426 ، وتفسير الجلالين ص542 .

[4] نظم الدرر 6 / 20 .

[5] الفرقان 53 .

[6] القصص 15 .

[7] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الإيمان والإحسان والإيمان بالقدر، 36/1 ، حديث رقم 8 .

[8] تفسير ابن عرفة 3 / 237 .

15–قوله تعالى: « أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِى الزبر»[1].

ذكر النيسابوري ما أحال إليه اسم الإشارة (أولئكم) فقال: « خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ المكذبين »[2]، وقال البقاعي: « (من أولائكم) أي الكفار العظماء الجبابرة الأشداء الذين وعظناكم بهم في هذه السورة »[3]، وقال جلال الدين المحلي: « (خير من أولئكم) المذكورين من قوم نوح إلى فرعون فلم يعذروا »[4]، أي أن مرجع الإشارة هنا كلام سابق مذكور.

فالربط تحقق في هذه الآية عن طريق الإحالة باسم الإشارة إلى ما سبق من الأقوام السابقين « قوم نوح وهود وصالح ولوط وآل فرعون »[5].

وهكذا اهتم مفسرو القرن التاسع الهجري ببيان العلاقة بين الإشارة ومرجعها، من خلال تحديد مرجع اسم الإشارة، حيث إن من خلال هذا التحديد يُعرف الكلام المشار إليه من خلال اسم الإشارة ومن ثم يتضح المعنى .

---

[1] القمر 43 .
[2] تفسير النيسابوري 6 / 222 .
[3] نظم الدرر 7 / 365 .
[4] تفسير الجلالين ص707 .
[5] الكشاف للزمخشري 4/ 440 .

الفصل الثالث

الربط بالموصول

لاسم الموصول أهمية كبيرة في ربط أجزاء التركيب وجعله متماسكا، ولذلك أدرجه علماء اللغة المحدثون ضمن وسائل التماسك النصي.

وقد بين الدكتور مصطفى عبد العليم الكيفية التي يتحقق بها الربط وتماسك النص من خلال اسم الموصول إذ يقول: « يعد الاسم الموصول وسيلة من وسائل التماسك النصي ؛لأنه يستلزم وجود جملة بعده ، وعادة ما تكون هذه الجملة فعلية، وقد يعطف على هذه الجملة بعدة جمل فيطول الكلام ، ويكون نصًا كاملا ، ويظل مرتبطًا كله بالاسم الموصول الأول . ومن جهة أخرى يعد الموصول أداة من أدوات الإحالة فيرتبط بمذكور سابق ، وقد يتكرر بصورة واحدة ، ويظل مرتبطًا بهذا المذكور السابق محدثًا نسقًا واحدًا للنص كله »[1].

فالربط باسم الموصول يتحقق من خلال عطف جمل متعددة على جملة الصلة التي يستلزم وجودها اسم الموصول، ويكون اسم الموصول في هذه الحالة هو نواة النص[2] الذي ترتبط به جملة الصلة وما عطف عليها، وقد مثل الدكتور مصطفى عبد العليم لذلك بالآيات الأولى في سورة المؤمنون التي تكرر فيها اسم الموصول سبع مرات، ومثلها الآيات من 22–35 من سورة المعارج فقد تكررت فيها كلمة "الذين" ثماني مرات ، وكلها يرجع إلى الاسم الأول" المصلين " الذي هو محور النص .

وكذلك الآيات الأخيرة من سورة الفرقان فقد تكررت كلمة " الذين" في هذه الآيات ثماني مرات أيضًا. وفي الوقت ذاته فإن اسم الموصول أحال القارىء أو المستمع إلى مذكور سابق، ففي آيات سورة الفرقان نجد أن أسماء الموصول التي تكررت كلها يحيل إلى مذكور سابق هو (عباد الرحمن).

---

[1] العلاقات النصية في القرآن الكريم ص17 .

[2] نواة النص: هي كلمة واحدة أو جملة واحدة منها يتطور النص وتتعلق بها جمل كثيرة تالية من خلال الروابط. انظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق د/ صبحي إبراهيم الفقي 1/ 168 .

ومثل ذلك قوله تعالى: « هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون»[1]، فاسم الموصول الذي تكرر مرتين هنا يحيل إلى كلمة (المتقين).

والدليل على كون اسم الموصول رابطا هو أنه يحل محل الضمير في الربط، وقد تناول البلاغيون ذلك تحت عنوان: (الإظهار في مكان الإضمار)، فالملحظ الذي لحظه البلاغيون الذين استعملوا هذا المصطلح كان مرتبطا بفكرة المعاقبة؛ إذ يحل شئ في مكان شئ آخر، كحلول (هل) محل الهمزة مثلا، وهنا لفت الدكتور/ تمام حسان النظر إلى ما في الموصول من طاقة الربط بين أوصال الجملة أو السياق القائم على أكثر من جملة، والمقصود هنا جميع الموصولات، ومنها: (مَنْ ، وما، وأي، وأل)، والدليل على أن الموصول رابط أنه – كما قال البلاغيون: (حل محل الضمير، فلو عدلت عن الموصول، واستعملت الضمير المطابق له لحدث الربط المطلوب.

ومن ذلك قوله تعالى: « قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطاً قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا » بر ن أئ به وبغيره ن وقوله تعالئ « إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً»[3]، أي: (لا نضيع أجرهم) [4].

وقد عُني مفسرو القرن التاسع الهجري ببيان دور اسم الموصول في الربط بين أجزاء التركيب، وكان ذلك عند تفسيرهم للآيات التي حل فيها اسم الموصول محل الضمير في الربط، وكانوا يطلقون على ذلك: إحلال الظاهر موضع المضمر، كما عنوا ببيان السر الدلالي الذي من أجله عُدل إلى اسم الموصول للقيام بعملية الربط.

فمن ذلك ما نجده عند النيسابوري والبقاعي في تفسيرهما لقوله تعالى: « فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزاً مِّنَ السَّمَآءِ بِمَا

---

(1) البقرة 2 – 4 .

(2) العنكبوت 32 .

(3) الكهف 30 .

(4) مقالات في اللغة والأدب د/ تمام حسان 1/ 200 ، 201 ، وانظر: المعايير النصية في القرآن الكريم للدكتور/ أحمد محمد عبد الراضي ص102 .

كَانُواْ يَفْسُقُونَ »[1]، حيث حل اسم الموصول في قوله: (فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا) محل الضمير وقام مقامه في الربط، وكان ذلك من أجل غاية دلالية لا تتحقق إلا بالعدول عن الضمير إلى اسم الموصول، يقول النيسابوري: « وفي تكرير الَّذِينَ ظَلَمُوا ووضع المظهر موضع المضمر، زيادة في تقبيح أمرهم وإيذان بأن إنزال الرجز عليهم لظلمهم، وهو أن وضعوا غير ما أمروا به مكان ما أمروا به »[2]، ويقول البقاعي: « (على الذين ظلموا) أي خاصة »[3].

والدليل على أن اسم الموصول هنا حل محل الضمير في القيام بعملية الربط أنه قد جاء التعبير بالضمير في قوله تعالى من سورة الأعراف: « فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزاً مِّنَ السَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ »[4]، حيث قال: عليهم، ولم يقل: على الذين ظلموا – كما في سورة البقرة، وقد ذكر البقاعي دلالة الربط بالضمير هنا فقال: « (فأرسلنا) أي بما لنا من العظمة (عليهم) بالإضمار تهويلاً لاحتمال العموم بالعذاب (رجزاً من السماء)، ولفظِ الظلم في قوله : (بما كانوا يظلمون) بما يقتضيه من أنهم لا ينفكون عن الكون في الظلام »[5].

ومن الآيات التي جاء فيها الربط بالموصول أيضا قوله تعالى: «وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَاباً فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَذَآ إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ»[6]، فقد حل اسم الموصول في قوله: (لقال الذين كفروا) محل الضمير، وقام مقامه في عملية الربط، يقول البقاعي: « وأظهر ولم يضمر تعليقاً للحكم بالوصف، وتنبيهاً على أن من الموجودين من يسكت ويؤمن ولو بعد ذلك فقال : (الذين كفروا) أي حكماً بتأبد كفرهم ستراً للآيات عناداً ومكابرة »[7].

---

(1) البقرة:59 .
(2) تفسير النيسابوري 1/ 295 .
(3) نظم الدرر 1 / 143 .
(4) الأعراف 162 .
(5) نظم الدرر 3 / 139 .
(6) الأنعام 7 .
(7) نظم الدرر 2 / 591 .

ومن ذلك أيضا قوله تعالى: « قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِن شَهِدُواْ فَلاَ تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ »[1]، فقد حل قوله: (الذين كذبوا) محل الضمير، والتقدير: ولا تتبع اهواءهم، وكان ذلك لغاية دلالية أشار إليها كل من النيسابوري والبقاعي، يقول النيسابوري: « فوضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا عليهم بالتكذيب وليرتب عليه باقي الآية فيعلم أن المتصف بهذه الصفات لا تكون شهادتهم عند العقلاء مقبولة »[2]، ويقول البقاعي: « وأظهر موضع الإضمار تعميماً وتعليقاً للحكم بالوصف دلالة على أن القائد إلى التكذيب وكل ردى إنما هو الهوى ، وأن من خالف ظاهر الآيات إنما هو صاحب هوى ، فقال : (الذين كذبوا) »[3].

ومن إحلال اسم الموصول محل الضمير أيضا ومن ثم قيامه بعملية الربط ما نجده في قوله تعالى: « وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ»[4].

ففي هذه الآية حل الموصول وصلته محل الضمير في قوله: (وقال الذين كفروا)، إذ الأصل: وقالوا، وقد ذكر البقاعي دلالة هذا العدول فقال: « ولما دل سبحانه بملازمتهم للاستهزاء بهذا الإنذار على أنهم غير منفكين عن مذاهب الكفار، ذكر تصريحهم بذلك وحالهم في بعض الأوقات المنطبقة عليها الآية السالفة في قوله: (قال الذين كفروا) حيث عبر بالموصول وصلته في موضع الضمير، قطعاً للأطماع عن دعائهم »[5].

---

(1) الأنعام 150 .
(2) تفسير النيسابوري 3 / 184 .
(3) نظم الدرر 2 / 740 .
(4) سبأ 29 – 31 .
(5) نظم الدرر 6 / 182 .

ومن ذلك أيضا ما جاء في قوله تعالى عقب الآية السابقة: « وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ»[1].

فقد حل الموصول وصلته في قوله: (وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا) محل الضمير، والتقدير: (وجعلنا الأغلال في أعناقهم)، وهذا ما أشار إليه النيسابوري وهو يفسر هذه الآية مبينا دلالة التعبير بالموصول وصلته، حيث يقول: « وقوله (فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا) أي في أعناقهم من وضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على ما استحقوا به الأغلال »[2].

وهناك دلالات أخرى أشار إليها البقاعي تنتج عن استعمال اسم الموصول في بعض الآيات.

من ذلك مثلا ما نجده عنده في تفسيره لقوله تعالى: « ادْفَعْ بالتى هِىَ أحسنُ»[3] ، فقد ذكر دلالة استعمال اسم الموصول هنا فقال: « وفخم الأمر بالموصول لما فيه من الإبهام المشوق للبيان ثم بأفعل التفضيل فقال: (بالتي هي أحسن) أي من الأقوال والأفعال بالصفح والمداراة »[4].

أي أن استعمال اسم الموصول هنا له مزية دلالية بجانب وظيفته في تحقيق الربط، حيث إنه يتضمن إبهاما يجعل المتلقي متشوقا لبيان هذا الإبهام.

وللتعبير بالموصول وصلته في بعض التراكيب دلالة بليغة أخرى يتطلبها المقام، ذلك أن الموصول لا بد له من صلة تبينه وتوضحه، وهذه الصلة عادة ما تكون جملة فعلية، وفي بعض التراكيب يدعو المقام إلى التعبير بصيغة الفعل الماضي أو المضارع

---

(1) سبأ 33 .
(2) تفسير النيسابوري 5 / 498 .
(3) فصلت 34 .
(4) نظم الدرر 5 / 221 .

نظرا لما يحمله كل منهما من دلالة، ولا يمكن الإتيان بالفعل في هذه الحالة إلا بجعله صلة للموصول، حيث تتحقق هذه الدلالة عن طرق الفعل الذي تبدأ به جملة الصلة.

وهذا ما أشار إليه البقاعي عند تفسيره لقوله تعالى: « وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِى اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ»[1]، إذ نجده يقول: « ولما كان التقدير: فالذين رجعوا إليه طوعاً في هذه الدار بعد هذا البيان والإظهار، وتركوا الجدال حجتهم ثابتة ولهم الرضا والنعيم المقيم، عطف عليه قوله مبتدئاً بالموصول ليصله بما يفهم التجدد والاستمرار: (والذين يحاجّون)، أي يوردون تشكيكاً على دينه الحق من الشبه ما يسمونه حججاً»[2].

فالابتداء بالموصول هنا في قوله: (والذين يحاجون) كان من أجل وصله بالفعل المضارع (يحاجون) نظرا لحاجة التركيب إلى الدلالة التي يفيدها هذا الفعل وهي التجدد والاستمرار، وليس من الممكن التعبير بهذا الفعل لتحقيق الغاية الدلالة منه إلا بجعله صلة للموصول.

وتتحقق هذه الفائدة للتعبير بالموصول وصلته في التراكيب التي يتطلب فيها المقام التعبير بصيغة الفعل (آمنوا) أو (كفروا)؛ إذ هناك فرق دلالي بين التعبير بالاسم (المؤمنون) أو (الكافرون) والتعبير بالفعل (آمنوا) أو (كفروا)، وحينما يتطلب المقام التعبير بالفعل فإنه لا يمكن ذلك إلا من خلال جعله صلة للموصول.

وقد ذكر البقاعي هذا الفرق الدلالي بين التعبير بالاسم والفعل، فنراه يفسر صيغة الفعل (آمنوا) بعبارات تدل على أنها تطلق على مرتبة من الإيمان أقل من مرتبة من يعبر عنهم الله سبحانه وتعالى بصيغة (المؤمنين)، كأن يذكر مثلا أن صيغة (آمنوا) تعني: « ادعوا الإيمان بألسنتهم »[3] كما في قوله تعالى: « يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى »[4] ، أو يذكر أنه عبر بالفعل « ليشمل الإقرار باللسان ،

---

(1) الشورى 16 .
(2) نظم الدرر 6 / 615 .
(3) السابق 1 / 330 .
(4) البقرة 178 .

الذي هو أدنى وجوه الإيمان »[1] وذلك عند قوله تعالى: « إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ »[2] .

ويؤيد كلامَ البقاعي هنا فيما يخص دلالة (الذين آمنوا) من أنها تدل على الإقرار باللسان ما ذكره مجاهد عند تفسيره لقوله تعالى: « يا أيها الذين آمنوا آمِنوا بالله ورسوله »[3]، يقول مجاهد: « أَرَادَ بِهِ الْمُنَافِقِينَ، يَقُولُ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللِّسَانِ آمِنُوا بِالْقَلْبِ ».

بينما يرى البقاعي أن صيغة (المؤمنين) تدل على ثبوت الصفة ورسوخها، حيث يقول عند تفسيره لقوله تعالى: « هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ »[4]: « أي الذين لهم الإيمان وصف لازم ، فلا يفرقون بين كتب الله ولا بين رسله ، بل حيثما قادهم الحق انقادوا ؛ فلا يدخل في ذلك الذين آمنوا بألسنتهم »[5] .

ويقول عند قوله تعالى: « وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا »**(6)**: « أي الذين صار لهم الإيمان وصفاً راسخاً »[7] .

ويؤكد هذه الدلالة التي ذكرها البقاعي للتعبير بالاسم المؤمنين أنها جاءت في مواضع كثيرة في سياقات التشريف والمدح والثناء، ومن ذلك قوله تعالى: « إِنَّما المؤمِنُون الَّذينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ »[8]، وقوله تعالى: « والْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنات بَعْضهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ »[9] ، وقوله تعالى: « قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُون »[10] ، وقوله تعالى: «

([1]) نظم الدرر 5 / 140 .
([2]) البقرة 62 .
([3]) النساء 136 .
([4]) النمل 2 .
([5]) نظم الدرر 1 / 203 .
([6]) الأحزاب 47 .
([7]) نظم الدرر 1 / 424 .
([8]) الأنفال 2 .
([9]) التوبة 71 .
([10]) المؤمنون 1 .

وكانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ »[1]، وقوله تعالى: « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ»[2]، وقوله تعالى: « وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ[3] »[4].

وتتضح هذه التفرقة بصورة أكبر عند تفسيره لقوله تعالى: « وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ »[5] ، حيث يذكر البقاعي هنا أن المراد بالمؤمنين: الراسخين في الإيمان، والمراد بالذين آمنوا: الذين أظهروا الإيمان بألسنتهم، فهو إشارة إلى المنافقين ومَنْ في حكمهم ممن جزم لسانه وقلبه مزلزل[6].

ومثل هذه التفرقة نجدها بين (كفروا) و(الكافرين)، حيث نفهم من كلام البقاعي أن صيغة الفعل (كفروا) تطلق على من قد يؤمن بعد كفره، أما صيغة الاسم (الكافرين) فهي تطلق على من كان الكفر صفة راسخة فيه، يقول عند تفسيره لقوله تعالى: « مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ »[7] : « وعبر بالوصف اللازم صرفاً للخطاب عمن يتعظ منهم فيرجع فلا تلحقه المعاداة لذلك »[8] .

فالتعبير بصيغة الاسم (الكافرين) يدل على أن الله عدو لمن كان الكفر ثابتا راسخا فيه، أما من كان عدوا لله وجبريل والملائكة ولكنه اتعظ فلا تلحقه المعاداة.

وهكذا فإن للفعل (آمنوا) و(كفروا) دلالة يتطلبها المقام في بعض التراكيب، ولا يمكن أن يؤدي الفعل هذه الدلالة إلا يمجيئه صلة للموصول.

---

(1) الروم 47 .
(2) الحجرات 10 .
(3) المنافقون 8 .
(4) انظر: شذرات الذهب: دراسة في البلاغة القرآنية لمحمود توفيق محمد سعد ص37.
(5) التوبة 61 .
(6) انظر: نظم الدرر 3 / 339 .
(7) البقرة 98 .
(8) نظم الدرر 1 / 204 .

وقد تنبه ابن عرفة إلى هذه الدلالة التي يفيدها التعبير بصيغة الفعل الواقع صلة للموصول، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: « عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ »[1]، يقول: « عبر في الأول بالفعل وهو (صدقوا)، وفي (الكاذبين) بالاسم؛ إشارة إلى التحقق، وأن أدنى وصف في الصدق في ذلك كاف، فجعل الحق متوقفا على تبين أعم الصدق؛ لأن صدقوا أعم من الصادقين، وجعل الباطل متوقفا على أخص الكذب »[2].

ومن القيم الدلالية التي يأتي لها الموصول أيضا التخصيص، ذكر هذه القيمة الدلالية ابن عرفة عند تفسيره لقوله تعالى: « وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ »[3]، حيث قال: « البناء على الضمير للاختصاص، والإتيان بالموصول في الخير تأكيد في الاختصاص؛ لأن قولك: وهو الذي فعل كذا يفيد الاختصاص»[4].

وعلى الرغم من أن الصلة تكون متتمة لمعنى الموصول، وأن الموصول لا يتضح معناه إلا بذكر الصلة، غير أنه قد يأتي الموصول وصلته ويظل التركيب بحاجة إلى تحديد ما أحال إليه الموصول حتى يكتمل المعنى، من ذلك قوله تعالى: « وإنَّ الذينَ أُورِثوا الكتاب من بعدهم لفى شك منه مريب »[5]، ففيما أحال إليه اسم الموصول هنا يذكر الثعالبي وجهين، يقول: « وقوله: (وإنَّ الذينَ أُورِثوا الكتاب) إشارة إلى معاصري نبينا محمد – عليه السلام – من اليهود والنصارى، وقيل هو إشارة إلى العرب »[6].

([1]) التوبة:43 .
([2]) تفسير ابن عرفة 2/309 .
[3] الفرقان 53 .
[4] تفسير ابن عرفة 3 / 236 .
[5] الشورى 14 .
[6] تفسير الثعالبي 5 / 153 .

خاتمة

بعد هذه الدراسة التي قمت بها من خلال كتب المفسرين الذين عاشوا خلال القرن التاسع الهجري يمكن الخروج بالنتائج التالية

1-للنحو دور كبير في تحليل النصوص بصفة عامة، والنص القرآني بصفة خاصة، فبه يستطيع مفسر النص القرآني أن يصل إلى الدلالات والأسرار البلاغية الكامنة فيه.

2-ليس النحو مجرد علامات إعرابية يراعيها المتكلم في كلامه ، ويراعيها المعرب في إعرابه ، بل هو بجانب ذلك أداة مهمة لدى كل من منشئ النص ومحلله، فمنشئ النص يوظف ما يقدمه النحاة من قواعد في إنشاء النص وفق علاقات نحوية ليست عشوائية بل يختارها اختيارا مقصودا لأداء معنى معين يريده بحيث لا يمكن أداء ذلك المعنى إلا بهذه العلاقات النحوية المختارة، ومحلل النص ينطلق في تحليله للنص من هذه العلاقات النحوية المختارة للوصول إلى المعنى المراد؛ إيمانا منه بمدى العلاقة القوية بين النحو والمعنى.

3-إن النحو يشتمل على أحكام كثيرة جائزة تتيح للمتكلم أن يصوغ المعنى الواحد في أكثر من بنية نحوية، إلا أن كلَّ بنية تنفرد عن الأخرى بأدائها غرض بلاغي معين لا تؤديه البنى الأخرى على الرغم من جوازها، وهنا يتضح مدى بلاغة منشئ النص، وتمكنه من استخدام القواعد النحوية، فالبليغ هو الذي يستطيع اختيار بنية نحوية معينة من بين عدة بنى كلها جائز، نظرا لأدائها وجها بلاغيا معينا يناسب المقام الذي يسوق فيه كلامه، وقد اتضح فيما سبق كيف كان مفسرو القرن التاسع الهجري يربطون بين اختيار وجه نحوي معين من بين عدة وجوه جائزة والمعنى.

4-ليست العبرة في تحليل النصوص نحويا ببيان ما إذا كان منشئ النص التزم بالقواعد النحوية أو لا – وإن كان الالتزام بها في غاية الأهمية – بقدر ما هي ببيان دور هذه القواعد في أداء المعاني المختلفة، وما للعلاقات النحوية والظواهر النحوية المختلفة من حذف وتقديم وتأخير من دلالات في ضوء المقام الواردة فيه.

5- أولى مفسرو القرآن الكريم في القرن التاسع الهجري النحو عناية كبيرة وجعلوه ركيزة أساسية اعتمدوا عليها في الوصول إلى الدلالات الكامنة في تراكيب الآيات القرآنية.

6- لم يكن اهتمام مفسري القرن التاسع الهجري بالنحو من ناحية التقعيد أو ذكر الخلافات أو الترجيح بين الآراء والاستدلال لها كما هو شأن المؤلفات الخاصة بالنحو التعليمي، بل كان اهتمامهم به من ناحية بيان علاقات الكلمات بعضها ببعض داخل النص نحويا، وبيان سر مجيء هذه العلاقات على شكل معين، ومدى تأثير ذلك على دلالة النص، ودلالة اختيار وجه نحوي معين من بين عدة أوجه جائزة، أي: كان اهتمامهم منصبا على الربط بين النحو والدلالة، مع وجود تفاوت بينهم في مدى هذا الاهتمام وذلك الربط، فقد كان البقاعي أكثرهم عناية وربطا بين النحو والدلالة.

7- أوصي بضرورة العناية بتدريس النحو للطلاب ليس على أنه علامات إعرابية تُراعى في الكلام أو خلافات نحوية فقط، بل على أنه بجانب ما سبق أداة مهمة لدى الطالب لفهم النصوص الأدبية، وعلى رأسها أفصح النصوص وأبلغها: القرآن الكريم، ثم الحديث النبوي الشريف.

المصادر والمراجع

1. الإبداع الموازي (التحليل النصي للشعر)، د/ محمد حماسة عبد اللطيف، دار غريب – القاهرة – 2001م.

2. الإتقان في علوم القرآن، تأليف الإمام جلال الدين السيوطي – المكتبة الثقافية – بيروت – لبنان – 1973م.

3. الأسلوب والنحو (دراسة تطبيقية في علاقة الخصائص الأسلوبية ببعض الظاهرات النحوية) د/ محمد عبد الله جبر، دار الدعوة للطباعة والنشر بالاسكندرية، الطبعة الأولى 1988م.

4. الأصول في النحو : لأبي بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي، تحقيق/ عبد الحسين الفتلي – مؤسسة الرسالة – الطبعة الثانية 1996م .

5. أصول النحو العربي د/ محمد خير حلواني، الناشر: الأطلسي، الرباط 1981م.

6. إعراب القرآن وبيانه لمحي الدين درويش ، نشر: دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص – سوريا، الطبعة الرابعة 1415هـ .

7. الأعلام لخير الدين الزركلي، بيروت – دار العلم للملايين – الطبعة الرابعة 1979م.

8. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، لابن هشام (المتوفى: 761هـ) ، تحقيق/ يوسف الشيخ محمد البقاعي، نشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

9. البحر المحيط، لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – طبعة مصورة عن طبعة السلطان عبد الحفيظ سلطان المغرب – الطبعة الثانية 1398هـ – 1978م.

10. البدر الطالع بمحاسن مَنْ بعد القرن السابع ، تأليف / محمد بن علي الشوكاني.

11. البلاغة العربية: أسسها، وعلومها،وفنونها– تأليف/ عبد الرحمن حسن حبنَّكة الميداني – دار القلم بدمشق، والدار الشامية ببيروت، الطبعة الأولى 1996م.

12. بلاغة العطف في القرآن الكريم (دراسة أسلوبية) د/ عفت الشرقاوي، دار النهضة العربية – بيروت – لبنان 1981م.

13. بناء التركيب وقضاياه في المقالة الأدبية عند محمود محمد شاكر – رسالة دكتوراه للباحث/ عبد الرحمن صبري أحمد – كلية الآداب جامعة المنصورة.

14. بناء الجملة العربية، د/ محمد حماسة عبد اللطيف، دار غريب بالقاهرة 2003م.

ﻫﺘﺮ. البيان في روائع القرآن– دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني للدكتور تمام حسان – عالم الكتب، الطبعة الثانية 1420هـ – 2000م .

ﻟﻲﺘﺮ. تاج العروس من جواهر القاموس ، تأليف : محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني ، أبو الفيض ، الملقّب بمرتضى ، الزَّبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين، الناشر دار الهداية.

ﺑﻲﺘﺮ. التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء العكبري، تحقيق/ علي محمد البجاوي – طبع بدار إحياء الكتاب العربي – عيسى البابي وشركاه، وهو المسمى بإملاء ما منَّ به الرحمن.

ﺗﻲﺘﺮ. تحبير التيسير في القراءات العشر لابن الجزري: شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن يوسف (ت 833هـ)، تحقيق : د.أحمد محمد مفلح القضاة، دار النشر : دار الفرقان – الأردن / عمان – ﺘﺮﻳﺮﺷﻤﺘﺮ هـ – ﺒﺮﺒﺮﺒﺮﻳﺮ م الطبعة : الأولى.

ﻧﻲﺘﺮ. التحرير والتنوير للشيخ/ محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس 1997م.

ﺑﺮﻳﺮ. التعريفات، المؤلف : علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق : إبراهيم الأبياري، الناشر : دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الأولى ، ﻟﻬﺒﺮﺷﻤﺘﺮ .

ﺘﺮﻳﺮ. تفسير الثعالبي الجواهر الحسان في تفسير القرآن المؤلف : عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، الناشر : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت.

يرير. تفسير الجلالين، المؤلف : جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، وجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، الناشر : دار الحديث – القاهرة، الطبعة الأولى.

سمير. تفسير ابن عرفة المالكى، المؤلف : أبو عبد الله محمد بن محمد بن عرفة الورغمي، تحقيق : د. حسن المناعي، دار النشر : مركز البحوث بالكلية الزيتونية – تونس – ليتيئتر م، الطبعة : الأولى.

شمير. تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن ، المؤلف : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى : ترييلِهـ)، تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر : دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة : الثانية ، شميسمترهـ – شمليئتر م.

لهير. التفسير الكبير المسمى مفاتيح الغيب للرازي، المؤلف : الإمام العالم العلامة والحبر البحر الفهامة فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار النشر دار الكتب العلمية – بيروت – تريرشمترهـ – بربربرير م، الطبعة : الأولى.

26. تفسير النسفي: عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، دار إحياء الكتب العربية– فيصل عيسى البابي الحلبي، د. ت .

27. تفسير النيسابوري(غرائب القرآن ورغائب الفرقان)، لنظام الدين الحسن بن محمد، دار الكتب العلمية– بيروت، الطبعة الأولى 1416هـ.

28. توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك للمرادي المعروف بابن أم قاسم، شرح وتحقيق الدكتور/ عبد الرحمن علي سليمان، مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة، الطبعة الأولى 1976م.

29. الجملة الاسمية، الدكتور/ علي أبو المكارم، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 2007م.

30. اشية محي الدين شيخ زاده على تفسير البيضاوي، تأليف: محي الدين شيخ زادة، ضبطه وصححه: محمد عبد القادر شاهين، دار الكتب العلمية.

31. حجة القراءات للإمام الجليل أبي زرعة: عبد الرحمن بن محمد زنجلة، محقق الكتاب ومعلق حواشيه: سعيد الأفغاني – مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة الرابعة 1404هـ – 1984م.

32. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب لعبد القادر البغدادي، تحقيق وشرح / عبد السلام محمد هارون – الناشر/ مكتبة الخانجي – القاهرة – مطبعة المدني – الطبعة الثالث 1409هـ / 1989م.

33. دراسة أسلوبية في سورة الكهف، رسالة ماجستير إعداد/ مروان محمد سعيد عبد الرحمن، جامعة النجاح الوطنية بنابلس – فلسطين .

34. دلائل الإعجاز ، قرأه وعلق عليه/ محمود محمد شاكر ، الناشر : مطبعة المدني بالقاهرة ودار المدني بجدة – الطبعة الثالثة 1992م.

35. دلالة الإحالة الضميرية في القرآن الكريم، د/ أحمد محمد عبد الراضي، بحث منشور بمجلة كلية دار العلوم – جامعة الفيوم – ديسمبر 2006م.

36. دور البنية الصرفية في وصف الظاهرة النحوية وتقعيدها، رسالة ماجستيرل/ لطيفة إبراهيم النجار، نشر/ دار البشير – عمان – الأردن، الطبعة الأولى 1994م.

37. الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، تأليف: ابن فرحون المالكي، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر.

38. ديوان عنترة بن شداد، تحقيق/ محمد سعيد، المكتب الإسلامي.

39. الربط في سياق النص العربي ، لمحمد حماد ، رسالة ماجستير بكلية اللغة العربية جامعة أم القرى 1408هـ.

40. الربط في اللفظ والمعنى: تأصيل وتطبيق في ضوء علم اللغة النصي د/ محمود عكاشة، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي – الطبعة الأولى برتربريرم.

41. الربط النحوي ووسائله اللفظية د/ مها عبد العزيز إبراهيم ، مجلة كلية الآداب – جامعة سوهاج – العدد الخامس والثلاثون – أكتوبر 2103م.

42. السبعة في القراءات لابن مجاهد، تحقيق الدكتور/ شوقي ضيف، دار المعارف، الطبعة الثانية د . ت.

43. سير أعلام النبلاء، تأليف: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، مؤسسة الرسالة 2001م.

44. شذرات الذهب: دراسة في البلاغة القرآنية لمحمود توفيق محمد سعد، الطبعة الأولى 1422هـ.

45. شذرات الذهب في أخبار من ذهب لأبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي – تحقيق محمود الأرناؤوط – دار ابن كثير – دمشق – ط.أ 1986م.

46. شرح التصريح على التوضيح للشيخ خالد الأزهري، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى 2000م.

47. شرح الرضي على كافية ابن الحاجب، نشر جامعة قار يونس – ليبيا.

48. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، طبعة الأزهر – الجهاز المركزي للكتب الجامعية والمدرسية والوسائل التعليمية 1404هـ – 1984م – وطبعة دار التراث – القاهرة ، بتحقيق الشيخ / محمد محي الدين عبد الحميد، ودار مصر للطباعة – الطبعة العشرون 1400هـ – 1980م.

49. شرح الكافية الشافية لابن مالك، تحقيق/ علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، منشورات محمد علي بيضوب، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، الطبعة الأولى 2000م.

50. شرح المفصل لابن يعيش، مكتبة المتنبي – القاهرة – د . ت.

51. شرح شذور الذهب، لابن هشام ، تحقيق: حنا الفاخوري ، دار الجيل ، بيروت ، ط1 ، 1988 .

52. شرك الآمل لصيد شوارد المسائل، تأليف/ علي صقر، المطبعة العامرة الشرقية 1892م.

53. صحيح البخاري، تحقيق/ محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط.أ 1422هـ.

54. صحيح مسلم، تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت – د.ت.

55. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، تأليف: شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (المتوفى: 902هـ) الناشر: منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت.

56. طبقات المفسرين، المؤلف : أحمد بن محمد الأدنروي، تحقيق : سليمان بن صالح الخزي، الناشر : مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، الطبعة الأولى ، 1997.

57. العلاقات الفعلية في كتاب سيبويه: دراسة في التراث النحوي وعلم اللغة الحديث ، تأليف/ خليل عبد الله– دار النهضة العربية – الطبعة الأولى لهترببريم .

58. العلاقات النحوية وأثرها في بناء الأسلوب (رياض الصالحين للنووي نموذجا)، رسالة ماجستير للباحثة/ سليمة عياض، جامعة قاصدي مرباح – الجزائر 2010م.

59. العلاقات النصية في القرآن الكريم– دراسة نحوية لجهود المفسرين، للدكتور مصطفى عبد العليم، بحث منشور بمجلة الشريعة والقانون – جامعة الإمارات المتحدة – كلية القانون – العدد 205 ، 2007م.

60. العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم د/ أحمد عزت يونس ، دار الآفاق العربية القاهرة، الطبعة الأولى 2014م.

61. علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: دراسة تطبيقية على السور المكية د/ صبحي إبراهيم الفقي ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 1421هـ – 2000م.

62. علم المعاني، د/ درويش الجندي، مكتبة نهضة مصر بالفجالة، الطبعة الثانية 1962م.

63. غاية النهاية في طبقات القراء المؤلف: محمد بن محمد بن محمد علي بن

الجزري الدمشقي الشافعي شمس الدين أبو الخير؛ المحقق: ج برجستراسر، الناشر: دار الكتب العلمية؛ سنة النشر: 1427 - 2006

64. فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، تأليف : عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني ، المحقق : إحسان عباس، الناشر : دار الغرب الإسلامي – بيروت ، الطبعة : 2 ، 1982 .

65. الكتاب لسيبويه، تحقيق وشرح الأستاذ/ عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1977م .

66. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للإمام/ محمود بن عمر الزمخشري، المكتبة التجارية الكبرى بمصر – الطبعة الأولى 1354هـ.

بيلي. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون المؤلف: مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة (المتوفى: بيليبرترهـ، الناشر: مكتبة المثنى – بغداد.

68. الكليات ، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ،تأليف: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري، دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت – يترشمترهـ – تييخيترم.

69. لسان العرب لابن منظور ، طبعة دار صادر – بيروت. د.ت.

70. لسانيات النص لمحمد خطابي مدخل إلى انسجام الخطاب، د/ محمد خطابي، المركز الثقافي العربي – بيروت، الطبعة الأولى 1991م..

71. اللغة العربية معناها ومبناها د/ تمام حسان الدكتور تمام حسان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية 1979م .

72. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لضياء الدين بن الأثير، قدمه وعلق عليه د/ أحمد الحوفي، ود/ بدوي طبانة، دار نهضة مصر – الفجالة – القاهرة، د.ت.

73. المحكم والمحيط الأعظم ، المؤلف : أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي ت يلهشمهـ، تحقيق عبد الحميد هنداوي، الناشر دار الكتب العلمية – بيروت، بربربريرم.

شمبي. مختار الصحاح ، المؤلف : محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، تحقيق : محمود خاطر، الناشر : مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، الطبعة طبعة جديدة ، لهترشمتر – لهنيخيتر.

75. المخصص لابن سيده ، تحقيق/ خليل إبراهيم حفال، دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان، الطبعة الأولى 1996م.

76. المصدر المؤول: بحث في التركيب والدلالة للدكتور / طه الجندي ، دار الثقافة العربية بالقاهرة، الطبعة الأولى 1999م.

77. معاني القرآن للكسائي (ت189هـ)، تحقيق/ عيسى شحاته عيسى علي، دار قباء، الطبعة الأولى 1998م.

78. معاني القرآن وإعرابه لأبي إسحاق الزجاج، شرح وتحقيق الدكتور/ عبد الجليل عبده شلبي – منشورات المكتبة المصرية – صيدا – بيروت – د . ت.

79. المعايير النصية في القرآن الكريم د/ أحمد محمد عبد الراضي، نشر مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة 2010م.

80. معجم ديوان الأدب، المؤلف: أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي (ت 350هـ)، تحقيق د/ أحمد مختار عمر، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر – القاهرة .

81. معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 1993م.

82. معجم المطبوعات، إليان سركيس، مطبعة سركيس بمصر 1928م.

83. المعنى والنحو د/ عبد الله أحمد جاد الكريم، مكتبة الآداب – القاهرة، الطبعة الأولى 2002م.

84. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: لابن هشام الأنصاري المصري، حققه وفصله وضبط غرائبه: محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده.

85. المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية للإمام أبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، تحقيق الدكتور/ عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، معهد البحوث العلمية حياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى – مكة المكرمة، الطبعة الأولى 1428هـ – 2007م.

ليتي. مقالات في اللغة والأدب د/ تمام حسان، عالم الكتب ، ط. أ بييرشمتر هـ – ليبربريرم.

.87 مقاييس اللغة ، المؤلف : أبي الحسين أحمد بن فارِس بن زكَرِيّا، المحقق : عبد السَّلام محمد هَارُون، الناشر : اتحاد الكتاب العرب، الطبعة : سميرشمتر هـ = يربربريرم.

88. المقرب لابن عصفور، تحقيق/ أحمد عبد الستار الجواري، عبد الله الجواري، الجزء الأول ط. أ 1391هـ – 1971م ، والجزء الثاني – الطبعة الأولى 1392هـ – 1972م.

يتي. الموسوعة الفقهية الكويتية صادر عن : وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت، الطبعة : (من شمبرشمتر – بييرشمتر هـ)، ..الأجزاء تر – سمير : الطبعة الثانية ، دارالسلاسل – الكويت، الأجزاء شمير – يتيسم : الطبعة الأولى ، مطابع دار الصفوة – مصر، الأجزاء يتيسم – لهشم : الطبعة الثانية ، طبع الوزارة.

.90 النحو والدلالة: مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي د/ محمد حماسة عبد اللطيف – مكتبة غريب بالقاهرة .

91. النشر في القراءات العشر للحافظ أبي محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري– طبعة دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، أشرف على تصحيحه ومراجعته الشيخ/ على الضباع، د . ت.

92. نظرية علم النص (رؤية منهجية في بناء النص النثري)، د/ حسام أحمد فرج، مكتبة الآداب، الطبعة الأولى 2007م.

93. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، المؤلف : برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، دار النشر : دار الكتب العلمية – بيروت – لهترشمتر هـ – لهنيخيتر م.

94. النور السافر عن أخبار القرن العاشر، المؤلف: محي الدين عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العَيْدَرُوس (المتوفى: 1038هـ) الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة : الأولى، 1405هـ.

95. همع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربية للإمام جلال الدين السيوطي، عُني بتصحيحه/ السيد محمد بدر الدين النعسان، دار المعرفة للطباعة والنشر – بيروت – لبنان – د . ت.

لبي. الوصل والفصل في التركيب العربي وأثره في الدلالة، تأليف/ عادل سلمان، رسالة دكتوراه، كلية الآداب – جامعة اليرموك – الأردن سمبربريم.

بجي. والعلاقات الإسنادية في كتاب ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبي حيان الأندلسي – في ضوء النظرية التوليدية التحويلية ، تأليف/ طارق حسن، رسالة ماجستير – جامعة مؤتة يبربريم.

دراسة علمية

أثر العلاقات النحوية في القرآن الكريم

السيد أحمد محمد عبد الراضي

الطبعة الأولى
1443 هـ 2022 م
دار ديوان العرب للنشر والتوزيع
مصر – بورسعيد
جوال: 00201211132879
00201030502390
E-mail: mohamedhamdy217217@gmail.com

حقوق الطبع والنشر لهذا المصنف محفوظة للمؤلف، ولا يجوز بأي صورة إعادة النشر الكلي أو الجزئي، أو نسخه أو تصويره أو ترجمته أو الاقتباس منه، أو تحويله رقمياً وإتاحته عبر شبكة الإنترنت، إلا بإذن كتابي مسبق من المؤلف أو الناشر .